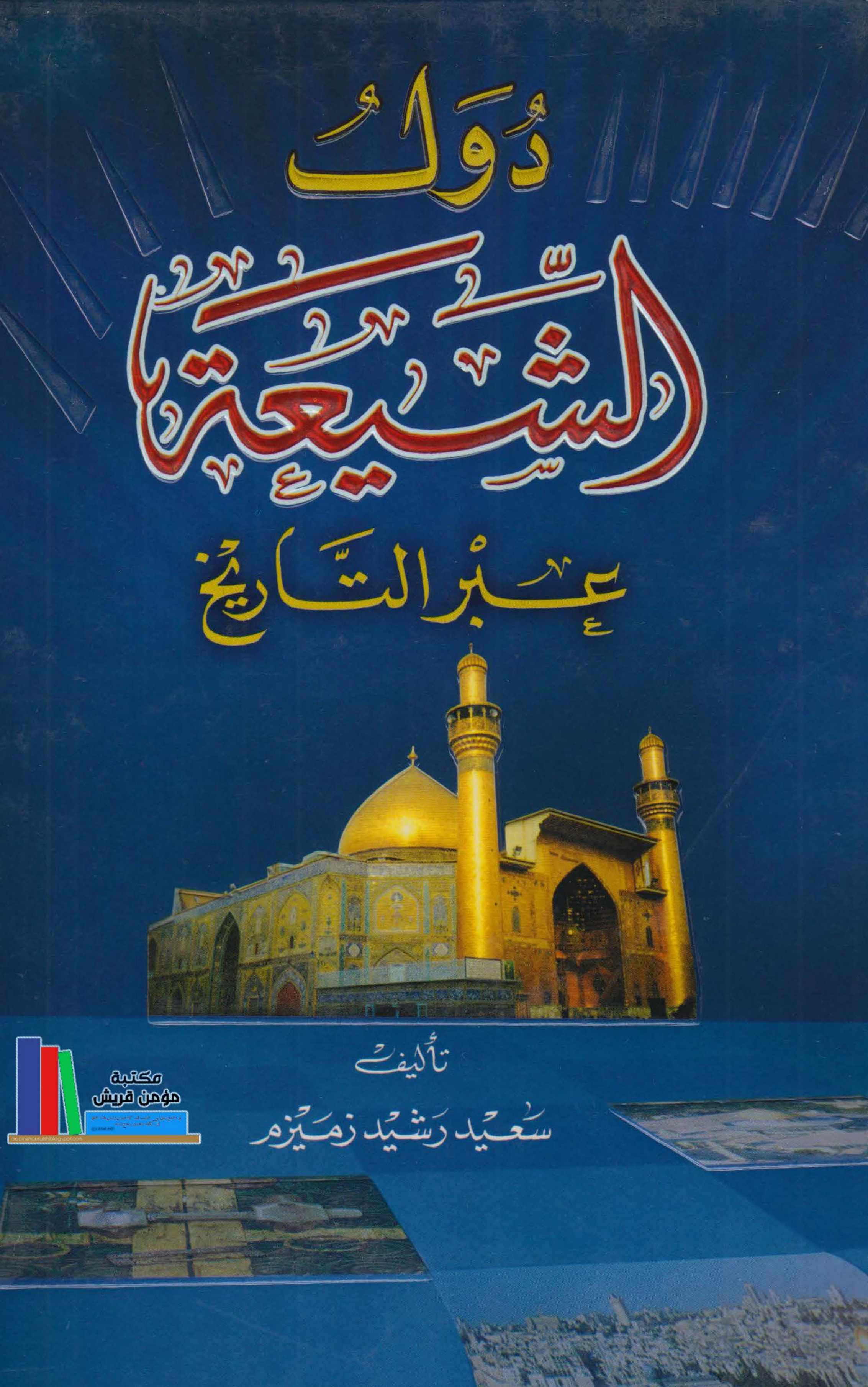

دول
الشيعة
عبر التاريخ
تأليف
سعيد رشيد زميزم
مكتبة
مؤمن قريش

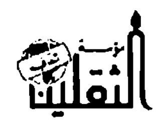

دُوَلُ
الشِّيعَةِ
عِبْرَ التَّارِيخِ



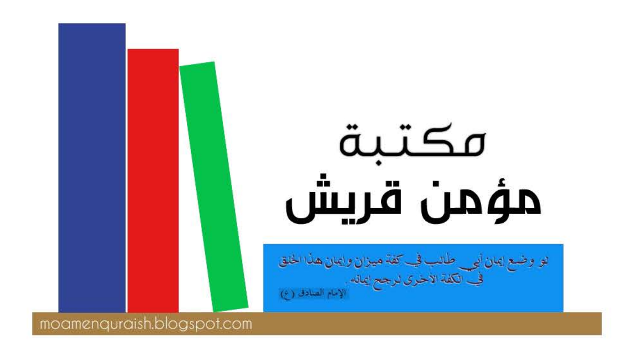
دول الشيعة عبر التاريخ

تأليف

سعيد رشيد زميزم



دار القارئ



الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م



Al-Thaqalain Foundation

♦ العراق - كربلاء المقدسة - تلفون : ٣٣١٩٩٧ - ص.ب : ٢٩٤
♦ سوريا - دمشق - السيدة زينب (ع) - تلفون : ٦٤٧٠٤٩٥ - ص.ب : ٤٤٩

دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٤١٣٢٥٦ / ٠٣ بيروت - لبنان بريد إلكتروني: DAR_ALKARI@hotmail.com

محتويات الكتاب

الإهداء ٧
المقدمة ٩
الدول الغورية _ أفغانستان ١١
الدول الإدريسية _ المغرب.. ٢٩
الدولة العلوية _ إيران ٤٩
الدولة المتوكلية _ اليمن ٦٣
الدولة الحمدانية _ سوريا ٩١
الدولة الفاطمية_ سوريا ١٠٣
دولة آل المسيب _ العراق ١٢٧
الدولة الصليحية_ اليمن ١٣٩
الدول البويهية _ إيران ١٥٥
الدولة الإسماعيلية _ إيران ١٧٣
دولة بني حمود _ الأندلس ١٨٩
الإمارة الشيرازية _ جزر القمر ٢٠١
الدولة المزيدية _ العراق ٢١٥
الدولة السريدارية_ إيران ٢٣٩
الدولة الجلائرية_ إيران.. ٢٤٣
مملكة الجك_ كشمير ٢٦٧
مملكة أوده_ الهند ٢٨١

الدولة الصفوية ـ إيران ٢٩٥
الدولة القاجارية ـ إيران ٣١٩
الخاتمة ٣٣٥
المصادر ٣٣٧
كتب المؤلّف ٣٥١

الإهداء

إلى رموز الشيعة الخالدين الذين أسَّسوا تلك الدُّول العملاقة

أهدي هذا الجهد المُتواضع.

المقدّمة

أسست عبر التاريخ عدد كبير من الدّول الشيعية التي كان لها دور مهمّ في نشر الإسلام في العديد من بقاع العالم، وقد ساهمت هذه الدول الرائدة في إحياء التراث الإسلامي الخالد من خلال تشييدها للعشرات من المدارس والمعاهد العلمية التي يفخر بها المسلون وإلى يومنا هذا.

كان في مقدمة تلك الصروح الشامخة جامعة الأزهر الشريف في مصر والتي هي إحدى منجزات الدولة الفاطمية التي تعدّ أكبر دولة شيعية رائدة أنشئت عبر التاريخ، وهناك جامعات إسلامية أخرى كان للعلماء ورجال الشيعة دور كبير في تأسيسها وهي تتوزّع في دول المغرب وتونس وإيران واليمن والعراق وسوريا وغيرها من الدول الإسلامية، كان مؤسسو هذه الدول من الرجال الذين يمتلكون رجاحة العقل وسعة الصدر وحسن التدبير والإخلاص للدين الإسلامي الأمر الذي دعى بهم إلى رفع راية الثورة ضدّ الحكام الذين تسلّطوا على رقاب الجماهير المسلمة، ومن ثم الوقوف أمام جبروتهم، أسفرت تلك الجهود الخيّرة التي قام بها رموز الشيعة عن تأسيس العديد من الدول الشيعية في بقاع كثيرة من أرض المسلمين الشيء الذي أزعج هؤلاء الحكام مما دعاهم إلى العمل المتواصل من أجل القضاء على هذه الدول إلا أن فرسان الشيعة الأبطال تصدّوا لتلك المحاولات حيث رفعوا السلاح بوجه الجيوش الجرارة التي جاءت للقضاء على

هذه الدول، فتمكنوا من الوقوف بوجهها ومن ثم إلحاق الهزيمة بها، وهكذا انتصر أبناء الشيعة الأشاوس وتمكّنوا من تأسيس دول شيعية عديدة في مناطق مختلفة من عالمنا الإسلامي الكبير، بعد اطّلاعنا على العديد من الكتب التي تحدثت عن تاريخ تلك الدول التي حاول الكثير من المؤرّخين والكتاب التعتيم على أخبارها لأنها دول الرافضة على حد زعمهم، إلا أننا وبحمد الله فقد وفّقنا في إعداد هذا البحث عن الدول الشيعية وعن سيرة مؤسسيها وسلاطينها وأمرائها الذين تعاقبوا على حكمها وعن المنجزات والخدمات الجليلة التي قدّموها لشعوبهم وغيرها من الأمور التي يفتخر بها رجال الشيعة.

وهكذا تمّ وبعون الله الانتهاء من تأليف هذا الكتاب بعد أن بذلنا جهدًا كبيرًا في إكماله بسبب قلّة المصادر إلا أن صبرنا الطويل مكّننا والحمد لله من أن نحصل ونطلع على معلومات وافية عن التاريخ المجيد لهذه الدول الشيعية الخالدة وأخيرا نطلب من القارئ الكريم أن يستميحنا عذرًا إن وجد في كتابنا هذا تقصيرًا أو بعض الهفوات، إذ أن الكمال لله وحده، وهنا لابدّ لنا أن نشكر أخينا العزيز أبي زينب الذي أبدى لنا تعاطفه الكبير، وكان له الدور الرائد في إظهار هذا الكتاب إلى عالم النور.

المؤلّف.

الدولة الغورية
في أفغانستان

الدول الغورية:

الغوريون قبيلة أفغانية معروفة في أفغانستان، اسلم زعيمها (شنسب بن خزنك) على يد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك عندما أعطاه الإمام راية وعهدًا، وقد بقيت الراية والعهد تتناقل من ملك إلى آخر من ملوك هذه الدولة الشيعية، ويفتخر أبناء هذه العشيرة الذين يطلق عليهم اليوم بـ(الهزارة) بقدم تشيعهم، ويقول مؤرخو هذه القبيلة الشيعية أن العهد الذي منحه الإمام علي عليه السلام لهم كان قد وصلهم على يد (جعدة بن هبير المخزومي) وهذا الشخص هو ابن أخت الإمام علي عليه السلام وقد نصّبه الإمام عليه السلام واليًا على خراسان، وكانت منطقة (الغور) تابعة لخراسان، وقد اقترح الوالي على الإمام عليه السلام أن تبقى بلاد الغور تحت تصرّف أمراء عائلة (شنسب) الذين كانوا يحكمونها بسبب عدلهم وتسامحهم وحسن إسلامهم وولائهم للإمام علي عليه السلام.

ظلّ أبناء هذه القبيلة موالين للإمام علي عليه السلام حتّى بعد استشهاده عليه السلام حيث أنهم رفضوا أوامر معاوية بن أبي سفيان بشتم وسبّ الإمام علي عليه السلام على منابر المساجد، وعلى أثر إصرارهم على ذلك أرسل إليهم معاوية جيشًا بقيادة (حكم بن عمر سنة ٤٧هـ) متهمهم بالارتداد، لم نسمع بارتداد أية ملّة سوى الارتداد الذي حدث بعد وفاة الرسول إلا أن هذه التسمية كانت على ما يبدو سببًا لقمع هؤلاء لأنهم من أتباع الإمام عليّ عليه السلام، وكانت هذه

التهمة بابًا للدخول منها للقضاء على هؤلاء الموالين لآل البيت عليهم السلام.

بعد وصول الجيش الأموي إلى مناطق هذه القبيلة جرى قتال ضاري بين الطرفين أسفر عن تدمير وحرق القرى والمزارع إلا أن الجيش الأموي لم يتمكّن من القضاء على مقاومة أبناء القبيلة بسبب مقاومتهم العنيفة وبسبب تحصنهم في الجبال الشاهقة مما جعل مهمة الجيش الأموي في غاية الصعوبة إلا أنّ الجيش الأموي تمكّن من جعل هذا الأمر إنذارًا لكلّ من يرفع راية الثورة ضدّ السلطة الأموية وعليه وقعت الجرّة كما يقول المثل العربي برأس هؤلاء .

بقيت القبائل الشيعية في منطقة الغور رافعة راية الثورة ضدّ السلطة الأموية إلى أن قام أبو مسلم الخراساني بالدّعوة للعباسيّين الذين استغلوا ما تعرض له العلويون من اضطهاد على أيدي بني أمية فجعلوا شعارهم المطالبة بحقوق آل البيت عليهم السلام وعلى أثر هذا الشعار انظمّت العديد من القبائل العربية وغير العربية تحت لواء دعوة العباسيين وكانت قبيلة الغور الأفغانية أحد القبائل التي دعمت أبو مسلم الخراساني.

على أثر الدعم الكبير الذي تلقته الدعوة العباسية تمكن العباسيّون من إسقاط الدولة الأموية وكان ذلك عام (١٣٢هـ).

قلنا من قبل أن الزعيم القبلي (شنسب بن خرنك) كان أوّل زعيم شيعي يحكم منطقة الغور الأفغانية بعد أن أعلن إسلامه وعلى ضوء

الدعم الذي تلقّاه من والـي الإمـام عليه السلام فـي مدينـة خراسـان قـام بحملة قويّة في منطقته لدعوة العشائر الأفغانيـة إلـى اعتنـاق الإسـلام ومن خلال جهوده تلك اعتنقت العشرات من قبائل المنطقة الإسـلام، وبعد اعتناق هذه القبائل الدين الإسلامي قام هذا الزعيم الغوري الذي أصبح من محبّي آل بيت النبوّة بإرسال العشرات مـن رجـال الـدين إلى مناطق العشائر التي اعتنقـت الإسـلام لغـرض توعيتهـا وإفهامهـا بمبادئ الدين الإسلامي.

باشر هؤلاء الرجال بمهامهم تلك وقد أدوها على أحسن ما يرام.

واصل الزعيم شنسب جهوده في نشر الإسلام إلى أن توفى عام ٨٠ هـ بعد وفاته تولى حكم الدولة ولده المدعو (بولاد) والذي لقب فيما بعد بالأمير، وبذلك يكون أول أمير رسمي للدولة الغورية التـي مهـد لها الزعيم شنسب بل أنه يعتبر المؤسس الحقيقي لهـذه الدولـة، بعـد تولّيه السلطة قام هذا الأمير بخدمات جليلة لبلاده حيث قام بالإشراف على تشييد العديد من المساجد وحفر الآبار وإقامة القناطر وتـشجيع العلم والاهتمام بالزراعة ودعم رجال الدين الذين كانوا يشرفون على إدارة المدارس الدينية والمساجد التي أنشئت في العديد من المنـاطق التي خضعت لسلطته.

استمر الأمير في المضي في مساعيه الخيرة من أجل خدمة الإسلام والمسلمين إلى أن توفى فخلفه في الحكم نجله الأمير (كرور) الـذي سار بالدولة وفق النهج الذي رسمه له والده فظل وفيًّا لتلـك الوصـايا

التي كتبها له والده بل أنه زاد عليها حيث قام بجهود مضنية من أجل انتشار الإسلام في مناطق غير خاضعة لسلطته وقد نجح في هذا الأمر حيث قامت قبائل عديدة باعتناق الدين الإسلامي.

استمرّ الأمير ــ كرور) في مسعاه هذا حتى أعلن عن وفاته.

بعد وفاته تولّى نجله (ناصر) السلطة فكان الأمير ناصر رجلا زاهدًا محبًّا للعلم والعلماء مواليًا لآل البيت عليهم السلام، أشرف على إنشاء العشرات من المساجد في القرى النائية من بلاده كما قام بدعم الفقراء والمحتاجين من أبناء دولته من خلال منحهم مساعدات مالية ومن أروع ما قام به هذا الأمير المصلح هو تفقّده للمرضى حيث كان يزور هؤلاء باستمرار ويأخذ معه الأطباء لمعالجتهم.

تذكر بعض الأخبار بأنه كان يتنقّل بين القرى النائية على الحيوانات التي كان يطعمها بيده وهذا دليل على تواضعه وحبّه للخير، هذا من جانب، أما من الجانب الآخر فإنه عمل على تقوية جيش بلاده للدفاع عن دولته التي كان أعوان العباسيّن يمهّدون للقضاء عليها بسبب موالاتها لآل بيت محمد عليهم السلام.

في خضمّ انغماس الأمير ناصر في تقديم خدماته الجليلة لبلاده أعلن عن وفاته، بعد وفاته تولّى السلطة الأمير (بنجي بن نهاران) وكان هذا زعيمًا محنّكًا سيطر على بلاده بقوّة وتمكّن من ردع الأعداء بعد أن تمكّن من إعداد جيشه بالشكل المطلوب.

بعد أن تأكّد من أنّ جيشه أصبح بإمكانه دفع الأذى عن بلاده اتّجه نحو شعبه حيث قام بالاهتمام بالأمور الخدمية التي يحتاجها أبناء البلد.

وكان من أهم الأمور التي تابعها باستمرار هو اهتمامه بالزراعة التي كان يعمل بها غالبية أبناء شعبه بل أنها المصدر الوحيد لأبناء هذه البلاد، استمرّ حكم الأمير (بنجي) إلى عام ١٧٥هـ.

بعد وفاته تولّى السلطة الأمير محمد الغوري وقد دام حكمه فترة طويلة تخللها معارك ضارية بين العديد من خصومه بعد أن فكّر في إخضاع عدد من المناطق وبالخصوص تلك المناطق التي كانت خاضعة لإيران والهند، وقد تمكّن من السيطرة على هذه المناطق وإخضاعها لحكمه.

لم تحن الفرصة لهذا الأمير بالاهتمام ببلاده بسبب كثرة الفتوحات التي قام بها والتي كانت سببًا في تدهور صحته ومن ثم وفاته، بعد وفاته تولّى الحكم الأمير محمد بن سوري الغوري، وما أن تولّى السلطة حتّى باشر بتقديم ما يحتاجه أبناء شعبه من رعاية وفي مختلف المجالات، وكان من أبرز الأمور التي اهتمّ بها هي كيفية توفير المياه اللازمة لسقي المزارع في البلد فمن المعروف بأنّ بلاد أفغانستان بلاد جبلية وليست فيها أنهار كثيرة بل أن معظم البحيرات والأنهار تعتمد على الأمطار وعليه قام الأمير بالاهتمام بهذه المسالة الهامّة، وبعد جهد كبير تمكّن من فتح قنوات لتجميع مياه الأنهار في

العديد من المنخفضات ومن ثم استعمالها فيما بعد حيث قام عشرات الآلاف من العمال بالعمل ليل نهار لتنفيذ هذا الأمر.

أشرف الأمير محمد بنفسه على تنفيذ هذه المشاريع العملاقة حيث كان يتنقّل مع العمّال ويقضي معهم أيام طويلة حتى يزيدهم بهم الهمم فكان لوجوده معهم أثر كبير في إتمام هذه المشاريع التي خدمت الزراعة كثيراً.

لم تقتصر جهود الأمير محمد في هذا المجال فقط بل أنه سهر من أجل خدمة الدّين الإسلامي ومذهب آل البيت عليهم السلام حيث أمر بإنشاء مدارس تختص بدراسة الفقه الشيعي وغيرها من الأمور الدينية التي يحتاجها المسلمون من كافّة المذاهب الإسلامية التي كان زعماؤها يحضون بمنزلة كبيرة لدى هذا الأمير حيث أنه أمر أيضًا ببناء مدارس لتدريس المذاهب السنيّة الأربعة، وفي عام (٣٥٥ هـ) أعلن عن وفاته فتولى السلطة ولده المدعو (أبو علي) الذي أدار شؤون دولته حسب المطلوب حيث نال رضا أبناء دولته بسبب سياسته المرنة وتفقده لأحوال الناس وخاصّة في أيام الجمعة حيث كان يظلّ جالسًا إلى الليل ليستمع إلى مشاكل المسلمين وحلّها وظلّ على هذا المنوال إلى أن توفى في عام (٣٨٥) بعد وفاته تولّى السلطة الأمير (غياث الدين بن شيش)، فأحكم سيطرته على البلاد التي أخذت تتعرّض إلى هجمات قبائل الخوارز مشاهيون الذين بدو بآثارهم المتاعب لأمراء الدولة الغورية، وفي أثناء استعداد الأمير غياث

الدين لهؤلاء المعتدين أعلن عن وفاته في عام (٤٢٦ هـ) حيث لم يدم حكمه مدة طويلة، بعد وفاته تولّى السلطة الأمير محمد الغوري، وما أن تولّى السلطة حتّى جهّز جيشه للتّصدّي للأعداء، وما أن علم هؤلاء باستعداد الأمير محمد لهم خففوا من هجماتهم وغيّروا سياستهم حيث انتهجوا سياسة أخرى وهي التّدخّل في الشؤون الداخلية للدولة من خلال دعم بعض القبائل الأفغانية التي كانت قد تعرّضت مصالحها للضّرر جرّاء سياسة الحزم التي سار عليها أمراء الدولة الغورية ضدّ هذه القبائل التي كانت تقوم بين الحين والآخر بالسلب والنهب أي إنهاء من القبائل التي كانت تشجّع العصابات وقطّاع الطرق وغيرها من الأمور التي لم يرضى بها الأمراء الشيعة.

تصدّى الأمير محمد بحزم وبقوّة لهذه القبائل التي حاولت إسقاط الدول الشيعية بدعم من أعداء البلاد وعلى الخصوص قبائل الخوارز مشاهيون.

ظلّ الشغل الشاغل للأمير محمد هو كيفية المحافظة على أمن البلاد ودحر الأعداء إلى أن توفى عام (٤٦٠ هـ).

عند الإعلان عن وفاته تولّى السلطة الأمير قطب الدين بن حق فسار بالبلاد سيرة حسنة وتمكّن خلال حكمه الذي استمرّ عشرات السنين إلى استقرار أمن البلاد وردع الأعداء وإقامة المشاريع الزراعية الواسعة وفتح المدارس الدينية وغيرها من الأمور التي خدمت الشعب الأفغاني كثيرًا، اتّصف هذا الأمير بالتقوى والورع وكان عالمًا فاضلاً

إضافة إلى أنه كان يمتلك شجاعة فائقة حيث قاد جيوش بلاده في معارك عديدة مع خصومة وتمكّن من إلحاق الهزيمة بهم وقد طاردهم بنفسه حيث كان يتسلّق الجبال رغم البرد القارص من أجل اجتثاث خصومة وطردهم من الأماكن التي كانوا يتخذونها مواقع حصينة، وعلى اثر بطولاته هذه لقّب بـ(ملك الجبال) وخلال عهده أصبحت دولته دولة قويّة صمدت بوجه أعداءه الذين دبّ الخوف في قلوبهم جرّاء الشجاعة التي كان يمتلكها هذا الأمير، وهكذا تمكّن من أن يعيد هيبة دولته التي قام خصومها بإثارة بعض القلاقل التي شهدتها البلاد خلال حكم الأمراء الذين سبقوه.

استمرّ حكم الأمير ملك الجبال إلى عام (٥١٠ هـ) وبعد وفاته تولّى الأمير قطب الدين محمد بن عزّ الدين السلطة، وقد دام حكمه إلى عام (٥٤١ هـ)، وقد اشتهر هذا الأمير بعدله وحكمته واهتمامه بالعلماء والشعراء حيث نشطت الحركة الفكرية في عهده وبرز العدد من رجال الدين الشيعة خلال فترة حكمه، وقد اهتمّ بهؤلاء العلماء الأجلاء الذين قدّموا خدمات جليلة للطائفة الشيعية ليس في أفغانستان وحدها بل كانوا يذهبون إلى كشمير والهند والصين لنشر أفكار الشيعة.

في عام (٥٤٤ هـ) أعلن عن وفاة هذا الأمير فخلّفه على السلطة الأمير (بهاء الدين سام) وظلّ يحكم البلاد إلى عام (٥٥٤ هـ) وقد اتّسم بحكمه بالاستقرار باستثناء بعض المشاكل التي كان وراءها

بعض القبائل الموالية للخروازرمشايه لكنه تمكّن من حلّ المشاكل هذه بالطرق السلمية دون أن تراق الدماء.

استمرّ حكم بهاء الدين لأفغانستان عدّة سنوات إلى أن توفّى ، وبعد وفاته خلّف على السلطة الأمير (شهاب الدين خرنك) فكان أميرًا فذًا يحبّ العلم والعلماء ونظم الشعر؛ قرب العشرات من الشعراء البارزين وأغدق عليهم الأموال وأسند إليهم مناصب عليا في الدولة، واستمرّ في هذا الطريق حتّى وافاه الأجل، وبعد وفاته تولّى السلطة الأمير الذي أطلق على نفسه لقب (السلطان) علاء الدين حسين فكان رجلاً ذكيًا جنّد نفسه لخدمة البلاد، فحثّ رجاله على القيام بجولات في جميع أنحاء دولته للتعرّف على مشاكل أبناء شعبه كما أنه أمر بدعم المزارعين وتقديم الخدمات لهم كما عيّن لجنة للإشراف على تنظيف وكري الأنهر لغرض تقدم الزراعة، كما اهتمّ بتقوية وتسليح الجيش وغيرها من الأمور التي تساهم في تطور وتقدّم البلاد. استمرّ حكمه إلى عام (٥٥٨ هـ) حيث وافته المنية في هذه السنة.

بعد الإعلان عن وفاته في هذا العام تولّى السلطة السلطان (غياث الدين بن سام) وكان هذا السلطان مهتمًا اهتمامًا كبيرًا في رفد الحركة الفكرية، ودعم العلماء المسلمين الكبار حيث أصبحت عاصمة الدولة الغورية تغصّ بهؤلاء العلماء الأجلاّء، وكان في مقدّمة هؤلاء المفكر الإسلامي الكبير فخر الدين الرازي الذي كانت لديه

منزلة كبيرة لدى السلطان غياث الدين، إضافة إلى احتضانه للعشرات من العلماء الأعلام، وهنا لابدّ من الإشارة إلى أن غالبية هؤلاء العلماء الأعلام كانوا من علماء السنة، أمّا من ناحية الخدمات التي قدّمها لشعبه فكانت كثيرة جدًّا ومتنوّعة، هذا من جانب ومن الجانب الآخر فإن السلطان غياث الدين اهتمّ ببناء المساجد الضخمة، ومن اشهر المساجد التي ما زالت عامرة إلى يومنا هذا، (مسجد هرات) ومسجد (بلخ) اللذين تحدّث عنهما العشرات من المؤرّخين، وهكذا أصبحت أفغانستان تزدحم بالعشرات من رجال الفكر الإسلامي الذين قرروا العيش في هذه البلاد وبالخصوص في مدينة (هرات) حيث يوجد الآن مقابر العديد من هؤلاء العلماء الكرام أمثال المحدّث الشهير أبو الوليد أبو الرجاء، والشيخ الجليل عبد الله الأنصاري، وبديع الدين الهمداني، ونور الدين الجامي، وغيرهم من فطاحل رجال العلم.

استمرّ حكم السلطان غياث الدين إلى عام (٥٩٩) حيث أعلن عن وفاته، بعد وفاته تولّى السلطة شهاب الدين وقد دام حكمه إلى بداية القرن السابع الهجري، حيث قتل على يد الخوارزمشايه.

وبذلك تمّ القضاء على هذه الدولة الشيعية التي تعدّ أقدم وأول دولة أسست للشيعة في التاريخ، وقد بيّنا تاريخ تأسيسها في بداية البحث، وهكذا انتهت الدولة الغورية التي قدمت خدمات جليلة للإسلام والمسلمين حيث قام أمرائها وسلاطينها بثّ الدعوة الإسلامية إلى خارج حدود بلادهم الشيء الذي أدّى إلى اعتناق العشرات من

قبائل هذه المناطق الإسلام وهذا أمر يستحقّ عليه أمراء الشيعة كل الثناء والتقدير.

بعد سقوط هذه الدولة لم ينتهي دور الشيعة في أفغانستان بل أنهم اثبتوا وجودهم بالرغم من أنهم يشكّلون نسبة ٣٠٪ من سكّان البلاد. وهنا أحب أن أقول شيئًا هو أن بعض المؤرّخين لا يشيرون إلى أنّ أمراء هذه الدولة كانوا من الشيعة، بينما يذكرون بأن أحد أمراء هذه الدولة وهو الأمير (شهاب الدين) كان يحمل الأفكار الشافعية وقيل الأفكار الحنفية، ونحن نسأل هنا ما هي الأفكار التي كان يحملها هذا الأمير قيل أن يحمل الأفكار الشافعية والحنفية؟ فالجواب قطعًا يكون أنه كان يحمل الأفكار الشيعية مثل الأمراء الذين سبقوه.

لم ينتهي طموح شيعته أفغانستان بل قاموا بتأسيس كيانا ثانيا، بعد سقوط دولتهم الأولى حيث تمكنوا من إقامة دولة أخرى استمرّت حكمها من (٨٨٤_ ٩٦٤) أي ما يقارب الثمانين عامًا حيث حكم ثلاثة من زعماء الشيعة خلال الفترة المذكورة وهم : (الأمير ذو النون رغون) وهو مؤسس هذه السلالة، وقد حكم مدّة سبعة وعشرين عامًا، وقد نال الشهادة وهو يدافع عن مدينة هراة في حربة ضدّ محمد خان_ ملك الأوزيك، وبعد استشهاده تسلّم السلطة ابنه (شجاع بيگ) الذي تمكّن من توسيع سلطته حيث تمكّن من إخضاع منطقة السند الهندية لحكمه، وكان هذا السلطان من رجال العلم

والمنطق، ومن أشهر مفسري القرآن الكريم في زمانه، وقد قام بتأليف العشرات من الكتب القيّمة التي تخصصت بالعلوم الإسلامية.

توفّى هذا السلطان في عام (٩٢٩ هـ) ، وبعد وفاته بويع بالسلطة لابنه (ميرزا شاه حسن بيگ) وكان هذا كأبيه عالمًا فاضلاً، وقد دام حكمه خمسة وثلاثين عامًا، توفى (٩٦٤ هـ)، وبعد وفاته انتقلت السلطة إلى قبيلة (ترخانيان) الشيعية بسبب عدم وجود ولدًا لهذا السلطان، وقد ظلّت هذه القبيلة تحكم البلد إلى أن تمكّن مغول الهند من القضاء عليها بعد عدّة أعوام من حكمها.

وبهذا انتهى حكم الشيعة لأفغانستان حيث لم يتمكّنوا فيما بعد من تأسيس دولة لهم إلا أن قبائلهم بقيت مؤثّرة في تأريخ أفغانستان حيث لعب أبناءها دورًا كبيرًا في مقاومة الاستعمار، ولهذا كان أبناء الشيعة في أفغانستان يناضلون جنبًا إلى جنب مع شعوب هذا البلد لمقاومة العدوان الأجنبي، وكان رجال الشيعة من السبّاقين في التّصدّي للإنجليز حيث قاد العالم الشيعي الكبير (الملا عبد الله) من مدينة قندهار النضال ضدّ القوّات الإنجليزية التي احتلّت أفغانستان وقد تمكّن رجال الشيعة وبقية أبناء أفغانستان من طرد القوّات البريطانية وإيقاع أفدح الخسائر بها، أمّا في الحرب الثانية التي وقعت بين الإنجليز والأفغان فكان للشيعة دور مهمّ في هذه الحرب، وقد تزعّم أبناء الشيعة الزعيم الديني الشيعي البارز (مير غلام) الثوار

الشيعة، تصدّى هؤلاء للقوات الإنجليزية، وقد نال المئات من أبناء الشيعة الشهادة بعد أن لقّنوا الإنجليز درسًا بليغًا.

أمّا في حرب الاستقلال التي يطلق عليها الحرب الثالثة والتي حدثت عام (١٩١٩) وأسفرت عن حصول أفغانستان، فقد كان للشيعة دورًا رياديًا في تحقيق الاستقلال حيث خاض أبناء الشيعة نضالاً مريرًا ضدّ القوّات البريطانيّة، وعلى أثر هذا النضال البطولي أمر الملك (أمان الله) بنقش أسماء عدد من الشيعة الأبطال من الهزارة الذين أبدوا بطولات عظيمة في حرب الاستقلال، وكان من الأسماء اللامعة لهؤلاء القادة الشيعة نور محمد شاه، محمد عبد الله هزارة، عباي خان هزارة، شير احمد نوري، عبد الله قياق، أبو القاسم خان، وغيرهم من رجال الشيعة الكبار.

أمّا بعد الاحتلال الروسي لأفغانستان فكان لأبناء الشيعة دور كبير في مقاومة هؤلاء حيث رفع راية الثورة فرسان الشيعة في جميع المدن التي يتواجدون بها، وبهذا أصبحت (الهزارات) وهو الاصطلاح الذي يطلق على شيعة أفغانستان قطعة من النار والدم، فقد سطّر هؤلاء الشجعان أروع الملاحم في تلك المعارك التي دارت مع القوّات الحكومية المدعومة بقوّات الاحتلال الروسي.

وهكذا كان تاريخ الشيعة في أفغانستان تاريخيا وطنيًا صميميًا ممزوجًا بدم الشهادة مقتدين بنضال أئمتهم وجهادهم المرير ضدّ ائمّة الجور الذين قاموا بأعمال يندى لها جبين الإنسانية، وعلى مدى

التاريخ حيث لم يسلم أئمة الشيعة عليهم السلام وأتباعهم من الأذى والقتل والتّدمير والتشريد والتهجير منذ استشهاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وإلى يومنا هذا، وما الأعمال التي يقوم بها أعداء الدين الإسلامي ضدّ أبناء هذه الطائفة المؤمنة المجاهدة إلا دليل على أن الذين يقومون بهذه الأعمال الإجرامية هم أحفاد أولئك الحكّام الطغاة الذين استعملوا الحديد والنار ضدّ المسلمين عامّة والشيعة خاصّة لأنّ هؤلاء رفعوا راية الثورة ضدّ تلك السياسة الهوجاء التي سار عليها أعداء الدين والذين كان همّهم الأوّل والأخير هو كيفية المحافظة على كرسي الحكم، وليس خدمة الإسلام والمسلمين. فتحيّة لأولئك الرجال الميامين الذين زيّنوا صفحات التاريخ من خلال أعمالهم ومواقفهم الجليلة التي نفتخر بها نحن الشيعة أينما كنا.

أختتم بحثي هذا بما قاله الكاتب المصري أبو العينين فهمي في كتابه: (أفغانستان اليوم والأمس) عن الشيعة الهزارية بما يلي: (يتّصف الهزارة بالأمانة والشجاعة وطيب القلب، وهم يقدّمون للبلاد أفضل الخدمات، وقد امتاز شبابهم في صفوف الجيش بالشجاعة النادرة والوطنية الصادقة)، هؤلاء هم الشيعة، أناس كرام، فرسان شجعان، مسلمين أصلاء، مخلصين لوطنهم.

مراجع البحث:

١ــ أفغانستان ــ تأريخها ــ رجالاتها : ٧٢، ١٧٠، ١٥٧.

٢ــ طبقات سلاطين الإسلام: ٢٧١.

٣ـ أفغانستان در مسير تاريخ: ١٢٩.
٤ـ دائرة المعارف الإسلامية ج٢ـ ٣٥٩.
٥ـ ابن بطوطة في أفغانستان : ٤٧.
٦ ـ تاريخ هزارة ـ حسين علي يزداني
٧ـ المسلمون في أفغانستان: ٤٧.
٨ـ دائرة المعارف الشيعية – المجلّد ٢ـ: ١٦٥.
٩ـ الدول الإسلامية: ٦٣١.
١٠ـ تاريخ الإسلام ج٢: ١٧٣.
١١ـ أفغانستان بين اليوم والأمس: ١١٨
١٢ـ التاريخ العام لإيران: ٤٨
١٣ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ج٣: ٦٣.
١٤ـ روضات الجنات في أوصاف مدينة هرات : ٣٦٠
١٥ـ تاريخ تشيع أفغانستان : ٨٧.
١٦ـ أفغانستان عبر التاريخ: ٢٥.
١٧ـ مختصر المنقول: ١١٦ـ ١٢٥.
١٨ـ هرات تاريخها ـ آثارها ـ رجالها ـ خليل الله خليلي.
١٩ـ الهزارة والأفغانيون: ٦٠ـ ٨٠.

الدولة الإدريسيّة في المغرب

الدولة الإدريسيّة:

على أثر الظلم الكبير الذي تعرّض له أبناء الشيعة على أيدي خصوم آل البيت عليهم السلام بالأخصّ بني العباس الذين تتبّعوا أبناء ورجال هذه الطائفة التي لاقت ما لاقت من مآسي ومحن وتعذيب وتهجير وحرق للبيوت وقطع للرؤوس والموت في تلك السجون الرهيبة وغيرها من الأعمال البشعة التي يندى لها جبين البشرية.

نجح أحد أبناء هذه الطائفة المجاهدة من الإفلات من قبضة السلطة العباسية الغاشمة وهو الثّائر الكبير إدريس بن عبد اله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام والذي سبق وأن قام مع إخوانه الفرسان يحيى وسلمان وإبراهيم وعدد من أبناء آل أبى طالب الميامين بأعنف ثورة شيعية ضدّ الحكم العباسي كادت أن تقضي على هذا الكيان لولا سياسة الإرهاب القمعية التي سارت عليها السلطة العباسية حيث استعملت أقسى الأساليب البوليسية لغرض القضاء على هذه الثورة الشيعية الرائدة وهو ما تمّ فقد قامت القوات العباسية بحملة واسعة تمكّنت خلالها من اجتثاث الشيعة أينما كانوا إلا أن هؤلاء الأبطال تمكّنوا من الصمود والتّحدّي لهذه القوات فحافظوا على تراثهم وتأريخهم المشرق وإلى يومنا هذا.

تمكّن القائد الشيعي الباسل إدريس العلوي من الإفلات من قبضة العباسيين كما ذكرنا الذين تمكّنوا من القضاء على ثورة اخوته والهروب إلى مصر ومنها إلى المغرب، حيث استقر في هذا الإقليم

وبالذّات في مدينة (وليلة) التي كان يحكمها الوالي العباسي إسحاق بن محمد والذي كان محبًا لآل البيت عليهم السلام.

ما إن علم الوالي بقدوم إدريس في هذه المدينة قامت العديد من القبائل بمبايعته وكانت قبيلة (أورية) البربرية من أول القبائل التي بايعته، ثم تبعتها القبائل الأخرى التي كانت تتواجد في هذه المناطق.

وهكذا استمرّت القبائل بمبايعة إدريس ومن جميع مناطق المغرب الأقصى.

بعد مبايعة القبائل للقائد العلوي إدريس، أعلن عن تأسيس الدولة الإدريسية وبذلك أصبحت هذه الدولة أوّل دولة شيعية يعلن عن تأسيسها في منطقة المغرب العربي وثاني دولة شيعية تأسست في التاريخ.

وصلت أخبار إعلان تأسيس هذه الدولة إلى مسامع الخليفة العباسي هارون الرشيد فجنّ جنونه وكاد أن يفقد أعصابه لما لهذا الأمر من تأثير كبير على معنويّات أبناء الشيعة الذين سبق وأن تلقّوا ضربات موجعة جعلت قادة بني العباس يظنون أن الشيعة لم تقم لهم قائمة فيما بعد.

استدعى هارون الرشيد كبار قادته العسكريين لدراسة هذه القضية الهامّة، اجتمع هؤلاء القادة وتباحثوا في كيفية القضاء على هذه الدولة الشيعية التي أخذت تتوسّع يومًا بعد يوم.

اقترح هارون الرشيد على قادته إرسال جيش كبير على الفور للقضاء على هذه الدولة قبل أن يستفحل أمرها وتكون نداً قوياً للدولة العباسيّة.

اعترض قادة الرشيد على هذا الرّأي لسببين الأوّل منها هو بُعد المسافة والثاني تذمّر أفراد الجيش العباسي من كثرة الحروب التي خاضوها ضدّ الثوار الشيعة الذين سبقوا وأن قاموا بالعديد من الثورات.

اقتنع الرشيد بأقوال قادته إلا أنه لم يهدأ له بال من أن يتّخذ عمل ما من أجل القضاء على هذه الدولة وقائدها إدريس العلوي، بعد مناقشات عديدة من أركان سلطته اقترح أحد أعوانه خطّة خبيثة ألا وهي دسّ السّمّ لإدريس العلوي ومن ثَمّ الخلاص منه.

استحسن الرشيد هذه الفكرة فطلب من أزلامه البحث عن رجل ينفذ هذه المهمّة الصعبة.

نشط أعوان الرشيد لاختيار الرجل الذي يعتمد عليه لتنفيذ هذا العمل الإجرامي.

بعد جهود مضنية قام بها أركان السلطة العباسية وقع الخيار على رجل دجال يدعى بأنه من محبّي آل البيت عليهم السلام وكان يدعى هذا الشخص بـ(الشماخ)، جرى استدعاء هذا الرجل الخبيث والطلب منه القيام بتنفيذ هذا الأمر، فوافق الشماخ على القيام بعمله الدّنيء بعد أن قبض أموالاً طائلة من هارون الرشيد شخصيًا.

توجّه الشماخ إلى بلاد المغرب لتنفيذ ما طلب منه، وبعد فترة وصل إلى هذه المنطقة.

بعد وصوله أخذ يتقرّب إلى حاشية إدريس العلوي متظاهرًا بأنه من وجوه الشيعة في العراق، وأنه هرب من جور وظلم الرشيد وأعوانه.

خلال وجود الشماخ بين حاشية إدريس العلوي تمكّن من أن يقيم معهم علاقات واسعة جعلت من هؤلاء أن يطمئنّوا له.

على أثر الموقع المتقدّم الذي احتله هذا النفر الضّالّ تمكّن من الاتّصال بالزّعيم إدريس العلوي ومن ثمّ أصبح أقرب المقرّبين له لما كان يمتلك من بلاغة ومعرفة بأفكار الشيعة.

اطمئنّ إدريس له مما جعله أن يكون أحد خواصّه ومن المقرّبين له في حلّه وترحاله.

في هذه الأثناء شكى إدريس من ألمًا في أسنانه فأخبر الشماخ عن ذلك فما كان من الشماخ إلا أن يعطيه دواءً مسمومًا أدّى إلى تدهور صحّته.

بعد تدهور الحالة الصحّية لإدريس العلوي تمكّن الشماخ من الاختفاء ومن ثم الهرب.

لم يمض عدّة أيّام على تدهور صحّة إدريس حتّى أعلن عن وفاته وكان ذلك عام (١٧٧ هـ) .

بعد وفاة إدريس انتشر أعوانه ومحبّيه بالبحث عن الشماخ الذي حامت الشكوك حوله وبالخصوص بعد اختفائه حيث اقتنع أتباع القائد إدريس بأن سبب وفاة قائدهم وزعيمهم هو السمّ الذي دسّه له هذا الرجل النّكرة.

بعد جهد جهيد تمكّن هؤلاء من اعتقال الشماخ الذي اعترف بفعلته الجبانة التي أدّت إلى وفاة إدريس العلوي، بعد الاعتراف بعمله الغادر صدر أمرًا بقتله وتمّ تنفيذ الأمر بسرعة وجيزة.

بعد وفاة إدريس تولّى مسؤولية الدولة أحد أعوانه وكان يدعى: (راشد) كان هذا الرجل محبًّا ومخلصًا لإدريس وأسرته.

ما إن تولّى راشد المسؤولية حتّى قام باستدعاء رؤساء القبائل والتداول معهم بشؤون الدولة الإدريسية ومن الذي يتحمّل المسؤولية القادمة.

في أثناء الاجتماع قال للمجتمعين ما نصّه: (إن رأيتم أن تصبروا حتى تضع زوجة إدريس حملها، فإن كان ذكرًا أحسنا تربيته حتّى يبلغ مبلغ الرجال، وبايعناه تمسّكًا بدعوة آل البيت عليهم السلام وتبرّكًا بذريّة الرسول صلى الله عليه وآله وإن كانت أنثى نظرتم لأنفسكم).

استحسن المجتمعون رأي راشد هذا وقالوا له: (مالنا رأي إلا ما رأيت، وأنت عندنا عوض عن إدريس، حتى تلد امرأته حملها، وتكون ما أشرت، على أنها وضعت بنتًا كنت أحقّ الناس بهذا الأمر، لفضلك وعلمك ودينك).

انتظر قادة الدولة ولادة زوجة إدريس فولدت ولدًا سمّي بإدريس الثاني إحياءً لاسم أبيه.

قام راشد برعايته لهذا الولد على أحسن قيام فأقرأه القرآن الكريم ثمّ حفّظه الحديث والسّنة والفقه ومبادئ اللغة العربية والشعر وأمثال العرب، كما علمه ركوب الخيل والرماية والسياحة وغيرها من القضايا التي كانت سائدة عند العرب.

كما شرح لإدريس الثاني تأريخ الشيعة وكيف أنهم اضطهدوا من قبل الأمويين والعباسيّين وكم لاقوا من الحرمان والخوف والتّهجير والمتابعة والسجن والقتل وانتهاك الأعراض، وحرق المزارع، وغيرها من الأعمال الخسيسة والتي هي بعيدة كلّ البعد عن المبادئ والقيم الإسلامية والتقاليد العربية التي كان ينادي بها هؤلاء الحكّام الطّغاة.

كما شرح راشد له أيضًا نضال وكفاح وجهاد أبناء الشيعة ضدّ هؤلاء الولاة والحكام، وكيف أن أبناء الشيعة تحدّوا هؤلاء الجهلة عندما وقفوا بوجههم من خلال ثوراتهم المستمرّة التي سطروا فيها أروع الملاحم التي أعطوا بها دروسًا بليغة لأزلام السلطة الجائرة التي حكمت المسلمين بالحديد والنار.

استمرّ راشد بالإشراف على رعاية إدريس الثاني إلى أن بلغ مبلغ الرجال، وما أن بلغ عمره ثمانية عشر سنة حتى بايعته جميع القبائل الخاضعة لسلطته.

بعد مبايعته استمرّت الوفود بالتقاطر عليه لتهنئته ومن ثمّ السّكن في مدينة (وليلة) التي أصبحت عاصمة لهذه الدولة الشيعية.

على أثر تدفّق أبناء العشائر للسكن في العاصمة الجديدة لهذه الدولة التي ازدهرت وتطوّرت من كافّة الوجوه، قرّر إدريس الثاني إنشاء مدينة جديدة أطلق عليها اسم (فاس) وقد شيّدت مرافق هذه المدينة وفق طراز إسلامي جميل حيث شيّدت الأسواق العامة والدور المصممة وفق الريازة الإسلامية البديعة كما شيد العديد من المدارس الدينية والعلمية وغيرها من الأماكن التي كانت غاية في الذوق والتصميم.

بعد الانتهاء من بناء هذه المدينة الحديثة افتتح إدريس الثاني جامع المدينة الكبير إلى أشرف بنفسه على إنشائه.

بعد افتتاح هذا المسجد الرائع، صعد إدريس الثاني المنبر وخاطب الجماهير المسلمة التي جاءت لحضور الاحتفال بمناسبة إكمال هذا المسجد قائلا: « اللهمّ إنّك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة، وإنما أردت أن تُعبد فيها، ويتلى فيها كتابك، وتقام بها حدودك، وشرائع دينك، وسنّة نبيّك ما بقيت الدنيا، اللهمّ وفّق سكّانها للخير، وأعنهم عليه واكفهم مؤونة أعدائهم، وأدرر عليهم الأرزاق، واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق، إنّك على كلّ شيء قدير».

بهذه الكلمات المهذّبة والمقرونة بالإيمان الأصيل النابع من القلب السليم والتوسّل بالباري عزّ وجلّ أن ينعم على أفراد الرعية بالأمن والإيمان، استهلّ هذا القائد الشيعي الكبير سليل الدوحة النبوية الشريفة خطبته وهو يدعو المسلمين إلى العمل على إطاعة الله جل وعلا وإقامة العدل في البلاد والتعاون بين أفراد الرعية وإشاعة روح المحبّة والألفة.

من يلاحظ مضامين هذه الكلمة الطيبة يرى فيها كيف أن هذا الزعيم الكبير يريد الخير لأبناء شعبه، وكيف أنه لا يرغب بسفك الدماء وإثارة الفتن وكيف أنه يريد أن يغمد السيف لا أن يُرفع فوق رقاب المسلمين، مثلما كان يقوم به خلفاء بني أمية وبني العباس، ومن يتتبّع ويقرأ تلك الخطب النارية التي كان يلقيها حكّام الجور يلاحظ فيها كيف أن هؤلاء كانوا يستعملون لغة التهديد والوعيد وغيرها من الأساليب القمعية التي سار عليها هؤلاء الحكّام الظلمة.

فهذا معاوية بن أبى سفيان يهدد أهل العراق بالإبادة، وهذا الحجّاج الثقفي يهدد المسلمين بقطع الرؤوس، وهذا بسر بن أرطأ يذبّح الصحابة الأجلاء، وهذا هارون الرشيد يدفن المسلمين وهم أحياء، وهذا المتوكّل العباسي يقطع أيادي زائري الإمام الحسين عليه السلام، وهذا صدّام يرمي المسلمين في أحواض التيزاب، وهؤلاء أعداء الإسلام يصدرون الفتاوى التي تبيح قتل شيعة آل البيت عليهم السلام.

أنظر عزيزي القارئ الكريم إلى سياسة قادة الشيعة وحبّهم للخير، وانظر إلى تلك السياسة غير الصائبة التي سار عليها الحكام الطغاة.

بعد استتباب الأمن في ربوع الدولة الإدريسية قرر إدريس الثاني توسيع أركان دولته فقام بتحرير العديد من الأقاليم الإسلامية التي كانت خاضعة للخوارج والذين كانوا قد تمكّنوا من إنشاء دويلات صغيرة لهم في هذه المناطق.

هذا من جانب أمّا من الجانب الآخر فإنه قام بإرسال العديد من الرجال الذين يعتمد عليهم للعديد من القبائل التي كانت لاتدين بالإسلام لتوعيتها ومن ثمّ دعوتها لاعتناق الإسلام.

نجح هؤلاء الرجال الجديرين بتنفيذ المهام الصعبة من إقناع أعداداً كبيرة من أبناء هذه القبائل على اعتناق الإسلام ومن ثمّ الإخلاص له، هذا من ناحية، أمّا من الناحية الأخرى فإن إدريس قام بقيادة قواته العسكرية في معظم المعارك التي خاضها ضدّ القبائل التي رفعت راية العصيان ضد حكومته، وقد كان يجتثّ رؤوس خصومه بشجاعة فائقة.

يذكر العديد من المؤرّخين الذين نقلوا أخباراً من أفواه عدد من الذين شاهدوا تلك الشجاعة المنقطعة النظير التي كان يمتلكها هذا القائد المخضرم ما نصّه: (يقول أحد الذين شاركوا هذا القائد في هذه المعارك التي قادها إدريس الثاني أنه كان يشاهد هذا الفارس عندما كان ينقضّ على خصومه، فقال له إدريس: مالي أراك تديم

النظر إليّ ؟ قال: أعجبني ما أراه من قبلك، وطلاقة وجهك عند اللقاء_ فقال له إدريس: (ذاك ببركة جدّنا رسول الله ﷺ ووارثه من أبينا علي بن أبي طالب عليه السلام).

هؤلاء هم آل أبي طالب سيوف صارمة وإيمان أصيل وإسلام حقيقي خالي من الرياء والوجاهة.

استمرّ إدريس الثاني يرعى شؤون دولته بأحسن صورة إلى أن توفّى سنة (٢١٣ هـ) عن عمر ناهز (٣٦ عامًا)، قضاه في تقوية أركان دولته، والسّهر على رعاية أبناء شعبه، وتوفير لقمة العيش الكريم لهم وخدمة العلم والأدب، وازدهار دولته في جميع المجالات وبالخصوص انتشار الأفكار الشيعية في بلاد المغرب العربي وأفريقيا.

يفتخر أبناء المغرب العربي وإلى يومنا هذا بالأعمال الجليلة التي قام بها هذا المجاهد الكبير، ومن هذه الأعمال الخالدة: تلك الصروح الشامخة المساجد العظيمة التي لا تزال عامرة والتي أذهلت الناس وخاصّة الأجانب بذاك الطراز المعماري الرائع والعجيب.

ترك إدريس الثاني اثني عشر ولدًا وهم: (محمد، عبد الله، عيسى، إدريس، أحمد، جعفر، يحيى، القاسم، عمر، علي، داود، وحمزة).

قبل وفاته استدعى إدريس الثاني أولاده هؤلاء وأوصاهم خيرًا بأبناء دولته كما أمرهم بالعمل وفق مبادئ الإسلام، وما جاء به كتاب الله العزيز القرآن المجيد، كما أوصاهم بالعفو عن المسيئين ومساعدة

الفقراء والمساكين وغيرها من الوصايا التي كانت تصبّ في مجملها على العمل من أجل وحدة المسلمين وازدهار بلادهم.

بعد وفاته تولّى ابنه محمد الخلافة وكانت من أولى أعمال الخليفة محمد هي تقسيم بلاد المغرب بين إخوته الذين نالوا حبًّا كبيرًا من قبل جميع المسلمين حيث أسند إلى كل واحد منهم إمارة من إمارات البلاد الواسعة.

نجحت سياسته نجاحًا كبيرًا إذ ظلّ جميع إخوانه موالين له إلى نهاية حكمه.

سار الخليفة محمد واخوته وفق النهج الذي خطّه لهم جدّهم إدريس الأوّل حيث التفّ أبناء الشعب حول الخليفة محمد واخوته الذين تمكّنوا من كسب ودّ المناطق التي كانوا يحكمونها بالرغم من صغر سنهم حيث كان معظمهم في العقد الثاني من العمر، وصاحب هذا العمر ليست لديه دراية واسعة بشؤون الحياة إلا أنّ الأسرة الكريمة التي نمى وترعرع فيها هؤلاء الشباب المؤمنين جعلت منهم أن يكونوا أبناء طيبين ومسالمين وكفوئين ومؤمنين مما جعلهم أن يحظون بمكانة مرموقة لدى أبناء شعوبهم التي خدموها كثيرًا.

بقي الخليفة محمد موضع احترام وتقدير أبناء شعبه إلى حين وفاته عام (٢٢١ هـ).

قبل وفاته أوصى بأن يكون ابنه عليّ هو الخليفة بعده وهو ما تمّ بالفعل حيث بايعه جميع القبائل وأبناء رعيته دون استثناء.

بعد تولي عليّ الخلافة انظمّ إليه أعمامه الذين دعموه ووازروه دون أن تنشب بينهم أية خلافات.

اتّجه الخليفة الجديد نحو تطوير البلاد وتقديم أفضل الخدمات لأبناء شعوب دولته وكان من أولى أعماله هو :دعوة أركان دولته إلى عقد اجتماع دوري لمناقشة سبل ازدهار الوضع الاقتصادي واستتباب الأمن وتذليل الصعوبات التي تقف أمام نموّ اقتصاد متين يجعل أبناء البلد يعيشون حياة هانئة مستقرّة.

تابع الخليفة الجديد أعمال الجان التي شكّلها والتي كانت تظمّ أهم أتباعه وأعوانه، وأمر بإعطائها جميع الصلاحيات التي تؤدّي إلى تنفيذ ما يقرّره هؤلاء.

أمّا الجانب الآخر الذي اهتمّ به الخليفة الجديد هو تقوية الجيش وتسليحه وانضمام عناصر كفوءة له وتخصيص المبالغ اللازمة لأغراض التموين وغيرها من الأمور التي تساعد على تقويته، أمّا أسباب اهتمامه بالجيش فكان هو التهديدات المستمرّة التي كان يقوم بها أعوان الأمويّين الذين كانوا قد تمكّنوا من تأسيس دولتهم الثانية في الأندلس إضافة إلى عملاء بني العباس الذين كانوا يتحيّنون الفرص لإسقاط الدولة الإدريسيّة.

عمل الخليفة بكلّ ما يستطيع من أجل استتباب الأمن والأمان في ربوع دولته إلى لأن وافته المنية سنة ٢٢٤هـ بعد أن دام حكمه ثلاثة عشر عاماً.

أوصى الخليفة بالأمر من بعده إلى أخيه يحيى الذي كان له الساعد الأيمن.

تولّى يحيى الخلافة بعد وفاة أخيه فسار بالبلاد سيرة حسنة مما جعل امتداد سلطته وعظم دولته، حيث قام بتشييد العديد من المدن وإعمارها، وإنشاء الكثير من المدارس الدينية في معظم مدن البلاد، لغرض نشر الوعي الديني بين صفوف المسلمين.

كان أضخم عمل قام به هو تشييد (مسجد القرويّين) المعروف اليوم بـ(جامعة القرويّين) وهي جامعة دينية إسلامية عملاقة يدرس بها الآلاف من الطلاب المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية، كما قام بتشييد جامع (الزيتونة) الذي يعتبر اليوم في تونس من أندر الآثار الإسلامية في هذا البلد من حيث التصميم الرائع والزخرفة الإسلامية الجميلة.

إن تشييد هكذا معالم معتبرة لهو دليل على نضج ورجاحة عقل الخلفاء الأدارسة وعملهم الدءوب من أجل إحياء مجد الأمة الإسلامية.

ظلّ الخليفة يحيى يرعى الإسلام والمسلمين وشؤون دولته حتى وافاه الأجل سنة (٢٦٤ هـ).

عندما أعلن عن وفاته اسند أمر الخلافة إلى ابنه (يحيى الثاني) الذي لم يكن مؤهّلاً لتولّي هذه المسؤولية الكبيرة وبناء على هذا الأمر اجتمعت الأسرة الإدريسية وقرّرت إسناد المسؤولية إلى ابن

عمّه الأمير علي وقيل أن ابن عمه قام بالاستيلاء على السلطة إلا أنه لم تمض عدّة أسابيع على تولّي الأمير علي السلطة وإذا به يتنازل عنها ومن ثم يغادر البلاد بعد أن رفض أبناء البلاد سياسته غير الصائبة، وهذا دليل على وجود ديمقراطية حقّة في ربوع هذه البلاد جراء حريّة التعبير الذي كان سائدًا في دولة الأدارسة ، وهذه إحدى مناقب الشيعة .

بعد مغادرة الأمير علي تولّى الخلافة الأمير يحيى حفيد إدريس الثاني فتمكّن هذا الرجل المصلح من استقطاب الناس وفرض القانون واستقرار الأمن وحلّ بعض المشاكل التي حدثت خلال حكم الأمير علي.

بعد عودة الاستقرار إلى جميع أنحاء الدولة قام يحيى بخطوات عديدة لتحسين الوضع المعيشي الذي أصابه بعض الضرر بسبب عدم سقوط الأمطار، أما سبب حدوث هذه الأمور هو عمل شريحة واسعة من أبناء البلاد بحقل الزراعة وأن عدم سقوط الأمطار قد أدّى إلى إتلاف مساحات واسعة من الأراضي الزراعية التي كانت تسقى من خلال هطول الأمطار .

على أثر تدخّل الخليفة في هذا الأمر تنفّس الفلاحون الصعداء حيث قامت الدولة بتعويضهم بمبالغ مالية مكّنت هذه المجموعة الواسعة من إصلاح أمورها ومن ثمّ استقرار وضعها الاقتصادي.

استمرّ الخليفة يحيى بتقديم الكثير من الانجازات لأبناء شعبه إلا أن حكمه لم يدم طويلا إذ سرعان ما قام أحد قادة الفاطميين بالزّحف على مدينة فاس ومن ثم محاصرتها.

استمرّ حصار العاصمة فاس فترة من الوقت مما جعل الناس يمرون بظروف صعبة بسبب حصار المدينة من قبل قوات الدولة الفاطمية .

لما رأى الخليفة يحيى تدهور الوضع المعيشي لأبناء دولته طلب من قائد القوات الفاطمية إجراء مفاوضات لإنهاء هذا الوضع، فوافق القائد الفاطمي على إجراء المفاوضات.

ذهب الخليفة يحيى لعقد اجتماعا مع القائد الفاطمي وبعد لقاء قصير وافق الخليفة يحيى على التنازل عن العرش حقنا لدماء المسلمين، وهذه سجية أخرى تضاف إلى سجايا رجال الحكم في الدولة الإدريسية ألا وهي حقن دماء المسلمين.

وهكذا تمّ القضاء على الدولة الإدريسية التي قدّمت خدمات جليلة للمسلمين وللحضارة الإسلامية، والتي امتدّت سلطتها إلى كافة بلاد المغرب الأقصى.

من المؤسف أن يتمّ القضاء على هذه الدولة الشيعية على أيدي دولة شيعية أخرى بسبب اختلاف في بعض الأفكار التي كان يسير عليها رجال الدولة الفاطمية التي تمكّنت من القضاء على دولة

الأدارسة النموذجية، هذه الدولة التي أقلقت خصوم الشيعة الذين حاكوا الكثير من المؤامرات من أجل القضاء عليها.

أليس لنا الحق أن نعلن عن أسفنا الشديد من أن تكون نهاية هذه الدولة الشيعية التي ساهمت في نشر الأفكار الشيعية الصائبة في بلاد المغرب العربي على يد دولة شيعية كانت هي الأخرى قد قدمت عشرات الآلاف من الشهداء من أجل إقامة هذه الدولة.

ألا لعنة الله علي السياسة التي لم تراع مصالح الشعوب.

بعد الانتهاء من الحديث عن تاريخ دولة الأدارسة الشيعية نأتي هنا ونذكر عما قاله المستشرق (سيديو) في كتابه (تاريخ العرب العام) عن الأعمال الخالدة التي قام بها رجال هذه الدولة الشيعية فيقول: (ظل الأدارسة قابضين على ما ملكوه من سنة ٨٠٣ إلى سنة ٩٤٩م مقيمين في البلاد التي هي مدينة لهم بجليل الأعمال).

هؤلاء هم رجال وقادة الشيعة أناس محترمون يحبون الخير لكل الناس ويقدمون الغالي والنفيس من أجل إسعاد شعوبهم وخدمة الشريعة الإسلامية، هذا وفاتنا أن نذكر بأنه توجد في المغرب العربي وإلى يومنا هذا أسر عديدة هي من نسل إدريس العلوي مؤسس الدولة العلوية ومن هذه الأسر(الطاهريون، الطالبيون، العلميون، الوزانيون، الدباغيون، الزكاريون وغيرهم).

مصادر البحث:

١ـ تاريخ الطبري ج١٠: ٢٩.

٢ـ مختصر تاريخ العرب: ١٠٠ـ ١١٢.

٣ـ تاريخ العرب العام: ٢٧٨.

٤ـ ثورات العلويين: ٣٩١.

٥ـ مقاتل الطالبيين: ٤٨٧ـ ٤٩١.

٦- تاريخ ابن خلدون ج٤: ١٢ـ ١٤.

٧- تاريخ أبو الفداء ج٢: ١٢.

٨ـ الفرق بين الفرق : ٢٤.

٩- ثورات الشيعة : ٣١٣ـ ٣١٥.

١٠ـ الدر النفيس في مناقب إدريس: ٩٩.

١١ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ح١: ٦٧.

١٢ـ تاريخ الشيعة السياسي والثقافي: ٧٤.

١٣ـ الكامل في التاريخ ـ مجلد ٦: ٩٢ـ ٩٤.

١٤ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ج٣: ١٦٢. ج٢: ٢٢٣ـ ٢٤٦.

١٥ـ العبر ـ لابن خلدون ـ ج٤: ١٩.

١٦ـ زهرة الأس في مدينة فاس: ٢٢

١٧ـ دول الشيعة عبر التاريخ: ٦ـ ١٧.

١٨ـ البيان المغرب في أخبار المغرب ج١: ٧٠.

١٩_ التمدّن الإسلامي ج٤: ١٢٠.

٢٠_ الأعلام _ المجلد الأول: ٢٧٩.

٢١_ إتحاف أعلام الناس ج٢: ١٧.

٢٢- الأزهار العاطرة الأنفاس: ٣٢_ ١١٧.

٢٣_ سلوة الأنفاس ج١: ٦٩_ ٨٣.

٢٤_ مجلة المنبر الحسيني السورية _ العدد ١٤_ لسنة ٢٠٠٤.

الدولة العلوية
في إيران

الدولة العلوية:

أسست هذه الدولة الشيعية من قبل الثائر العلوي الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

بعد أن أعلن ثورته ضدّ الحكم العباسي وكان ذلك في زمن الخليفة العباسي المستعين بالله، وهذا ما أكّده المسعودي في كتابه: (مروج الذهب) وقال ما نصّه: (في خلافة المستعين عام ٢٥٠ هجرية ظهر في بلاد طبرستان الحسن بن زيد بن محمد).

بعد الإعلان عن الثورة أعلن الآلاف من أبناء الشيعة الذين نالوا العذاب المرير على أيدي أزلام بني العباس والذين تمكّنوا من الإفلات من عساكر العباسيين التي كانت قد ساهمت في القضاء على ثورة يحيى بن عمر والتي كان الحسن العلوي أحد قادتها.

التفّ هؤلاء حول الحسن العلوي الذي تمكّن من الإفلات مع العديد من أعوانه من قبضة القوات العباسية من الوصول إلى منطقة طبرستان وهي إحدى أقاليم إيران، وما أن وصل إلى هذه المنطقة حتى بدأ بإعداد رجاله للتهيؤ لإعلان الثورة ضدّ بني العباس.

بعد مضيّ فترة من الوقت وبعد أن أيقن الحسن العلوي بأن الوقت قد أصبح مناسبًا لإعلان الثورة.

رفع رايته معلنا بدء حركته الثورية ضدّ العباسيين، بعد أن أعلن الثورة بدأت القوات الشيعية التي قام بإعدادها بالسيطرة على المناطق

القريبة من طبرستان ثم توجّهت قوات أخرى إلى العديد من المدن، وبعد قتال ضاري مع القوات العباسية التي كانت ترابط في هذه المناطق تمكّنت قوات الثوار من السيطرة على هذه المناطق.

لما تمّت السيطرة على هذه المناطق قام القائد العلوي الحسن بن زيد بالإعلان عن تأسيس ثالث دولة شيعية في العالم الإسلامي بعد دولة الأدارسة التي أسست في المغرب في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد.

وهكذا نجح هذا القائد الكبير من أن يؤسس دولة عادلة ينعم فيها المسلمون بالعدالة والمساواة.

بعد الإعلان عن تأسيس هذه الدولة والتي أصبح الزعيم العلوي الحسن بن زيد أول حاكم لها أصاب الفزع بني العباس فأعدوا العدّة للقضاء عليها حيث قاموا بإرسال المزيد من قواتهم للقضاء عليها إلا أن أبناء الشيعة كانوا بالمرصاد لها حيث تصدّوا لهذه القوات الأمر الذي أدى إلى حدوث معارك عنيفة بين القوات العباسية والقوات الشيعية أسفرت عن إلحاق الهزيمة بالقوات العباسية.

واصل خلفاء بنو العباس إرسال المزيد من العساكر بين الحين والآخر للقضاء على هذه الدولة إلا أن قادة الدولة وأبناءها كانوا حذرين ففشلت جهود بني العباس من إسقاطها.

على أثر الهزائم المرة التي منيت بها القوات العباسية قرّر القادة العباسيون الإذعان للأمر الواقع وإيقاف إرسال العساكر والجيوش

لإسقاط الدولة العلوية التي تصدى أبناءها بشجاعة فائقة للدفاع عنها، وهكذا أثبت رجال الشيعة قوّة صمودهم وتفانيهم.

بعد استقرار الوضع الأمني لهذه الدولة بدء زعيمها بتقديم أفضل الخدمات لأبناء دولته حيث قام بتقديم خدمات جليلة شملت بناء المدارس الدينية وإنشاء السواق العامة وكري الأنهر، هذا من جانب أما من الجانب الآخر فإنه كان يتفقّد أحوال رعيته، ويأمر بمساعدة الفقراء وتخصيص مبالغ مالية لإعانتهم، أما أهمّ عمل اهتمّ به هو تقوية الجيش وتسليحه حتى يكون جاهزا لصدّ هجوم الأعداء الذين كانوا يتحينون الفرص للإطاحة بدولته.

استمر حكم الحسن زيد تسعة عشر عاما كانت كلها أعواما زاخرة بالعمل من اجل بقاء دولته دولة قوية يصعب على الأعداء إسقاطها.

بعد وفاته تولى الأمر أخيه محمد بن زيد الذي كان قائدا فذًا تمكّن من حفظ حدود دولته من خصومه بل أنه قام بتوسيع دولته حيث قاد قواته لاحتلال منطقة الديلم وهي أراضي شاسعة في إيران بعد أن انتصر على أمير هذه المنطقة المدعو رافع بن هرثمة وكان ذلك عام ٢٢٧ هجرية.

بعد سيطرته على هذه المنطقة استعدّ لمقاتلة السامانيين وهي قبائل بدوية كانت تنوي الهجوم على الدولة العلوية.

قائد قواته وتوجه نحو المناطق التي يتواجد بها هؤلاء، ما أن وصل إلى المنطقة حتى جرى قتال ضاري بين القوات العلوية وقوات

السامانيين أسفرت عن إيقاع المزيد من الخسائر بين قوات الطرفين وأدّت إلى إصابة محمد العلوي بجروح خطيرة نقل على أثرها إلى الخلف إلا أنه سرعان ما توفى وبوفاته خسرت الدولة العلوية أحد ابرز رجالها الأشداء الذين بذلوا الغالي والنفيس من أجل تقوية أركان الدولة وإسعاد الشعب حيث قام القائد محمد العلوي منذ تولية السلطة ولحين استشهاده بخدمات وأعمال كبيرة لأبناء الدولة العلوية وقد ساهمت هذه المنجزات في بسط الأمن وانتعاش الوضع الاقتصادي وإقامة المدارس الدينية التي درس فيها وتخرج منها المئات من رجال العلم والأدب والذين أصبحوا فيها يعد من رموز الشيعة وخاصة علماء المذهب الزيدي الذي كان المذهب الرسمي لهذه الدولة الشيعية.

كان من أهمّ الأعمال الجليلة التي قام بها القائد محمد بن زيد هي بناءه لمرقد الإمام الحسين عليه السلام وإنشاء العديد من الأسواق والأماكن التي أصبحت مسكنا للزائرين الكرام الذي كانوا يتوافدون على المرقد المقدس على مدار العام.

كانت فترة حكم محمد بن زيد العلوي سبعة عشر عاما وبضعة شهور.

بعد وفاته تولى مسؤولية الدولة الإمام الناصر للحق أبي محمد الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأطروش.

بعد توليه المسؤولية أمر العديد من زعماء الشيعة ببذل الجهود من أجل دعوة أبناء الديانات غير الإسلامية إلى اعتناق الإسلام، قام هؤلاء بمساعي حثيثة من أجل إقناع أبناء هذه القبائل بالدخول إلى الدين الإسلامي.

أثمرت هذه المساعي الحميدة حيث قام الآلاف من أبناء هذه الديانات باعتناق الإسلام، وهكذا ساهم هذا القائد الشيعي الكبير في نشر مبادئ الدين الإسلامي ودخول مجاميع كبيرة من أبناء القبائل إليه، وقد أوصى القائد حسن الأطروش أتباعه بإعطاء حرية الرأي لهؤلاء المسلمين الجدد لاختيارها أي مذهب إسلامي يرغبوا به.

يقول المسعودي في كتابه: (مروج الذهب) عن الجهود الكبيرة التي بذلها حسن الأطروش من أجل دعوة الناس إلى الدخول للإسلام ما نصه: (قام الأطروش في الديلم والجبل سنين، وهم جالية ومنهم مجوس، فدعاهم إلى الله، فاستجابوا، وأسلموا إلا قليلاً منهم في مواضع من بلاد الجبل، والديلم جبال شاهقة، وقلاع وأودية، ومواضع خشنة، وقد بنى الأطروش في بلادهم الكثير من المساجد).

هذا من ناحية أما من الناحية الأخرى فإن هذا القائد المتفتح سعى طيلة فترة حكمه من أجل تطوير دولته وإقامة العدل فيها إضافة إلى قيامه بمشاريع عديدة كان لها دور كبير في ازدهار الوضع الاقتصادي والزراعي والخدمي حيث شعر أبناء البلاد بالأمان والاستقرار والتعليم

المجاني وغيرها من الأمور التي جعلت من البلد يشعر وكأنه قد حصل على كل ما يريد.

استمر الحسن الأطروش في نهجه القويم هذا إلى أن قتل سنة ٣٠٤ هجرية من قبل مجموعة من الرعاع التي لم ترق لهم السياسة الحكيمة التي سار عليها.

حزن أبناء البلاد باستشهاد هذا القائد العظيم الذي لم تقتصر خدماته على خدمة البلاد وأبنائها بل أنه قدّم أعمالا كبيرة جدا كان في مقدمتها تلك الجهود الرائدة ألا وهي دخول الآلاف من الناس إلى الدين الإسلامي، هذا وكانت سنة استشهاده عام ٣٠٤ هجرية.

بعد وفاته تولى الحكم صهره الحسن بن القاسم العلوي الذي تمتّع أبناء البلاد خلال فترة حكمه بالأمن والأمان حيث جنّد نفسه لخدمة أبناء شعبه من خلال كثرة المشاريع التي قام بها حيث شيد عشرات الأسواق والمدارس، كما أنه اهتمّ بفتح الطرق وإقامة القناطر ودعم الفقراء والمحتاجين، كما قام بتشييد العشرات من المساجد في القرى والأرياف النائية، وتعيين الأئمة لهذه المدارس لغرض إيصال المفاهيم الإسلامية إلى أبناء هذه المناطق الذين كانوا لا يعلمون إلا القليل عن القضايا التي تخص الشريعة الإسلامية.

أثارت هذه الأعمال الجليلة التي قام بها الحسن العلوي حفيظة خصومه وبالأخصّ بني العباس وأعوانهم، فقاموا بتجنيد عدد من

عملائهم لاغتياله وبعد جهود حثيثة تمكّن هؤلاء من اغتيال الحسن العلوي.

بعد استشهاده تولّى مسؤولية الدولة محمد بن الحسن بن القاسم بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط.

بعد توليه الحكم سار على نفس الخطى التي سار عليها الحكام الذين سبقوه، حيث واصل إكمال المشاريع العمرانية التي بدأها القائد الحسن الأطروش بل أنه أضاف عليها أمور أخرى كان أهمها قيامه ببناء مرقدي الإمام علي بن أبي طالب والإمام الحسين عليه السلام.

ومن الأعمال الجليلة الأخرى التي قام بها هي تشييده للعديد من مراكز الاستراحة لزوار الإمام الحسين عليه السلام من الأراضي الإيرانية وإلى كربلاء.

كما قام بتتبع العصاة الذين كانوا يعتدون على قوافل زائري الإمام الحسين عليه السلام حيث شكل مجاميع من المتطوعين لملاحقة هذه العصابات الضالة وقد تمكّن هؤلاء المتطوعين من القضاء على هذه العصابات المجرمة وتأمين الطرق كافة.

ومن الأعمال التي تشير إلى اهتمامه بالعلم والعلماء فإنه أمر بتشييد عدد كبير من المدارس الدينية وفي جميع المناطق الخاضعة لسلطته.

وهكذا بذل القائد محمد بن الحسن كل ما يملك من أجل تطوّر بلاده وجعل أبناء البلد يعيشون حياة هانئة دون منغصّات.

إن السيرة المستقيمة التي انتهجها القائد محمد بن الحسن لم تـرق للرجال الذين تضرروا جراء هـذه الـسياسة الـصائبة ممـا جعلهـم أن يعدّوا خطة للقضاء على حياته إلا أنهم لم يتمكّنوا من ذلـك فعمـدوا إلى خطّة خبيثة وهي دسّ السّمّ له عن طريـق أحـد المقـربين عنـده مقابل حفنة من المال، فتمّ ذلك حيث قام هذا المجرم بدسّ السّم له، وما هي إلا عدّة أيام حتـى أعلـن عـن وفاتـه وكـان ذلـك عـام ٣٦٠ هجرية.

بعد وفاته تجزأت الدولة العلوية التي كانت قد توسّعت إبّان حكـم الحكام الذين تحدثنا عنهم حيث أعلن حكام الأقاليم الإسـلامية التـي كانت تتكون منها الدولة العلوية الاستقلال والانفـراد بحكـم المنـاطق التي كانوا يحكمونها، وبهذا انتهت الدولة العلوية الشيعية بعد أن قـدّم حكامها خدمات جليلة للإسلام والمسلمين وبالخصوص إقناع مئـات الآلاف من غير المسلمين باعتناق الد ين الإسلامي وعـن قناعـة دون رفع السيف على رقابهم كما كان يفعل بعـض الحكـام الـذين تولـوا الحكم في العديد من الأقاليم الإسلامية التي كانت خاضـعة لـسلطتهم وهذه منقبة تضاف إلى رجـال الـشيعة الـذين كـانوا يتمتّعـون بـسعة الصدر ورجاجة العقـل وسـهولة الإقنـاع وسـلامة المنطـق، إنّ هـذه الصفات والأخلاق العالية التي كان يتّصف بها رجال وعلمـاء الـشيعة جعلتهم أن يمتلكوا قدرة فائقة على إقناع الخصوم وتـذليل الـصعاب

ومن ثم هداية الناس إلى الدخول بالإسلام، ذلك الدين القويم الذي أنزله الباري عزّ وجلّ لإسعاد البشرية.

وهكذا كان رجال الشيعة رجال أكفاء أهل للمسؤولية، والتاريخ خير شاهد على تلك الأعمال الفذّة التي قام بها هؤلاء من أجل خدمة الدين الإسلامي، وما الملاحم التي سطّرها الإمام علي عليه السلام رمز الشيعة إلا دليل أكيد على أن أبناء الشيعة ورجالهم الذين ساروا على خطى قائدهم وإمامهم الملهم أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام إلا أبناء بررة نذروا أنفسهم ممن أجل إعلاء كلمة الدين التي حملها فيما بعد الأئمة الأطهار عليهم السلام وأحفادهم ومواليهم وإلى يومنا هذا، حاول الحكام الطغاة واصحاب الأقلام المأجورة النيل من أبناء هذه الطائفة المنتصرة بإذن الله حيث قام الحكام الجائرون بمجازر رهيبة من أجل القضاء على أبناء الشيعة أينما كانوا فلم يفلحوا لأن أبناء الطائفة الشيعية وعلى اختلاف فرقهم هم رجال مؤمنون بقضيتهم العادلة لا يبالون الموت وما الملاحم التي سطرها أبناء الشيعة في الجنوب اللبناني عام ٢٠٠٦ م إلا مفخرة يعتزّ بها كل مسلم غيور.

ومن هنا نناشد جميع الإخوة المسلمين أصحاب الأقلام النظيفة أن يقفوا ضدّ الأبواق التي تدعوا إلى تمزيق وحدة المسلمين وإلى الطعن بالشيعة من خلال الزّعم بأن هؤلاء رافضة وبعيدون عن الإسلام، ونودّ أن نقول لهم بأن هذه الأبواق الخائبة ستخرس عما قريب بإذن الله بفضل وحدة المسلمين وتعاضدهم وتعاونهم.

فالخزي والعار لوعاظ السلاطين الذين يحاولون بثّ أفكارهم المسمومة التي تدعوا إلى تكفير الشيعة ولعنهم وهدر دمائهم، وأخيراً نقول لهؤلاء اتّقوا الله يا من تدّعون الإسلام والإسلام منكم براء، فأيّ إسلام تدّعون؟ ألم يقول الرسول الأكرم محمد ﷺ نبي الرحمة والسلام إنّ دم المسلمين حرام على المسلم، وأن من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله هو مسلم، وأن المسلم أخو المسلم، وغيرها من الأقوال الخالدة المأثورة التي قالها نبي الإنسانية والرحمة محمد ﷺ.

مصادر البحث:

١_ ثورات العلويين: ٣٩١.

٢_ عمدة الطالب: ١٥٧_ ١٥٨.

٣_ الشيعة في إيران: ١٧٦.

٤- تاريخ الطبري ج٦: ١٢٠.

٥- الزيدية والإمامية جنب إلى جنب: ٧٨.

٦_ فهرست ابن النديم: ٢٢٤.

٧- الكامل في التاريخ_ لابن الأثير ج٧: ١٣٣.

٨_ دائرة المعارف الحسينية ج٣: ٤٠٠.

٩_ تاريخ طبرستان ووديان ومازندران_ للمرعشي: ٢٩٩.

١٠_ رياض العلماء ج١: ١٨٨.

١١_ مروج الذهب ج٤: ٤٨.

١٢_ الزيدية في موكب التاريخ: ٣٧٩.

١٣_ التحف شرح الزلف: ٨٣_ ٨٤.
١٤- ثورات الشيعة: ٣١٧_ ٣١٩.
١٥- أعيان الشيعة ج٤٥: ١٤١.
١٦_ تاريخ الشيعة_ للشيخ المظفر: ١٢٠.
١٧_ الأعلام _ للزركلي_ ج١: ٢٧٩، ج٢: ٢١٠.
١٨_ عمدة الطالب: ١٥٧_ ١٥٨.
١٩_ الجدي للنسابة العمري: ٦٢.
٢٠_ الأدب في ظل بني بويه: ١٥.
٢١_ روضات الجنات ج٢: ٦٠.
٢٢_ تاريخ ابن خلدون ج٢: ٢٥، ١٨٤.
٢٣_ الدر الفاخر: ٢٤٦.
٢٤_ إتحاف المسترشدين: ٤٤.
٢٥- تاريخ ابن خلدون ج٤: ١٥ن ١٤.

الدولة المتوكّلية
في اليمن

الدولة المتوكّلية:

هذه الدولة الشيعية أنشأت جذورها في اليمن سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م.

أول رجل بويع له لرئاسة هذه الدولة والذي كان يطلق عليه بالإمام، هو الإمام المرتضى لدين الله محمد بن يحيى ولم يدم حكم هذا الإمام إلا عدّة أشهر حيث قام بالتنازل إلى أخيه بسبب مرض ألمّ به، وكان ذلك عام ٣٠١ هجرية.

بعد تولّي الأمر من قبل الإمام المرتضى الذي تنازل لأخيه فيما بعد اتّخذ المذهب الزيدي وهو أحد الفرق الشيعية مذهبا رسميا لهذه الدولة، ومن المعروف بأنّ المذهب الزيدي أسس من قبل أصحاب الشهيد زيد بن علي الذي قام بأعظم ثورة شيعية بعد ثورة جدّه الإمام الحسين عليه السلام، ويعتبر الإمام المرتضى المؤسس الحقيقي بهذه الدولة حيث كان يحظى بمنزلة كبيرة عن أصحابه.

بعد تأسيس هذا المذهب أخذ مريديه الانتشار في الأقاليم الإسلامية والقيام بنشر أفكاره التي تتلخّص بما يلي:

١ـ الإمامة في كل أولاد السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سواء كانوا من نسل الحسن أو الحسين عليهما السلام.

٢ـ الإمامة لديهم ليست بالنص، إذ لا يشترط فيها أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق.

٣ـ يجوز وجود أكثر من إمام واحد في وقت واحد في بلدين مختلفين.

٤ـ الإقرار بخلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب مع بعض الملاحظات على الخليفة عثمان بن عفان.

٥ـ وجود الإمام المفضول مع وجود الفضل.

٦ـ وجوب الخروج على الإمام الظالم الجائر.

٧ـ العصمة لأربعة فقط هم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

٨ـ إن مصادر الاستدلال هي كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وآله.

٩ـ باب الاجتهاد مفتوح لكل من يريد الاجتهاد ومن عجز عن ذلك قلد، وتقليد آل البيت أولى من غيرهم.

١٠ـ إن مرتكب الكبيرة يعتبر بين منزلتين لكنه غير مخلّد في النار، إذا يعذب فيها حتى يطهر من ذنبه ثم ينتقل إلى الجنة.

هذه أهمّ أفكار المذهب الزيدي كما لدى أبناء المذهب أطروحات أخرى لا مجال لذكرها هنا مخافة للإطالة، ومن أراد الإطلاع على المزيد لأفكار هذا المذهب فليراجع كتابنا (الفرق والجماعات الإسلامية) الذي صدر في بيروت عام٢٠٠٢.

هذا وقد انتشر المذهب الزيدي في العديد من دول العلم وبالأخص إيران وسوريا واليمن والحجاز ومصر والعراق ودول الخليج العربي، إلا أنّ وجودهم بقي كثيفا وإلى يومنا هذا في اليمن حيث لا يزالون يشكّلون حوالي ٥٠٪ من سكان هذا البلد.

هذا وقد انقسم أتباع المذاهب إلى أربعة أقسام وهي:

١ـ الجارودية ـ أصحاب أبي الجارود بن أبي زياد.

٢_ السليمانية- أصحاب سليمان بن جرير.

٣- الصالحية_ أصحاب الحسن بن صالح بن حي.

٤- البترية_ أصحاب كثير النوي الأبتر.

نعود إلى صلب موضوعنا قلنا إن أول إمام لهذه الدولة كان المرتضى لدين الله وقد تنازل هذا لأخيه الذي كان يدعى الناصر أحمد والذي إدارة شؤون هذه الدولة بأحسن وجه، كما أنه يعتبر المرجع الديني للدولة إضافة إلى حكم البلاد ظلّ إلى ٢٣٦ إلى أن توفّى، بعد وفاته بويع الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني هذا هذا وقد سار هذا الإمام وفق السيرة التي سار عليها الإمام الناصر وكان هذا الإمام يتمتّع بمنزلة كبيرة لدى علماء ومراجع الطائفة الزيدية في جميع الأقاليم الإسلامية التي كان يوجد فيها أتباع الزيدية وذلك لسعة علمه وتبحره في الأفكار الزيدية لأنه درس على يد العديد من العلماء والفقهاء حتى أصبح أحد رموز هذه الطائفة، وظلّ زعيما وإماما وحاكما للدولة المتوكلية حتى الإعلان عن وفاته. بعد وفاته تولى السلطة والإمامة الإمام الناصر أبو الفتح وينتهي نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب، بعد توليته مسؤولية الحكم والإمامة سار بالبلاد سيرة حسنة حيث نالت سياسته استحسان جميع أبناء البلد بما فيهم أبناء الطوائف الأخرى وبالخصوص الطائفة الإمامية والتي كان ينتمي إليها جمع غفير من أبناء اليمن، أما أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى كانوا يتمتعون بحرية تامّة في ظلّ هذه الدولة ليس في عهد

هذا الإمام فقط وإنما في جميع العهود التي حكم فيها الأئمة الزيديين منذ تأسيس الدولة المتوكّلية ولحد اليوم الذي سقطت فيه هذه الدولة.

توفّى الإمام أبي الفتح عام ٤٣٠ هجرية، وبعد وفاته بأيام بويع بالإمامة الإمام المتوكّل على الله أحمد بن سلمان الهادي، وما أن تولّى المسؤولية حتى قام بتوسيع المدارس الدينية التي كانت قد أنشئت عند قيام الدولة المتوكلية، وأمر بتنويع الدراسة بها حيث أصدر أمرا إلى أستاتذة هذه المدارس بدراسة أفكار المذاهب الإسلامية الأخرى وليس الاختصار على أفكار ومبادئ الفقه الزيدي فقط، هذا من جانب أما من الجانب الآخر فإنه قام بتعيين العديد من كبار رجال الدولة على رأس مؤسسات للإشراف على تطوير الحالة المعيشية لأبناء الشعب الذين كان يمتهن معظمهم الزراعة، وعلى أثر توصيات هذه اللجان قامت الدولة بإنشاء العديد من السدود والقناطر لخدمة المزارعين كما أن الدولة قامت بتقديم مساعدات مالية لصغار المزارعين لدعمهم في مواصلة أعمالهم، استمرّ الإمام المتوكّل يرعى شؤون رعيته على أحسن وجه، خلال فترة حكمه نشط دعاة الإسماعيلية وهي إحدى الفرق الشيعية أيضًا، فلم يقف بوجهها علما بأن هؤلاء قد تمكنوا من السيطرة على بعض المناطق التي أعلنوا منها فيما بعد دولة لهم هي (الدولة الصليحية)، وسنتحدّث عنها لاحقا.

في خضمّ هذه التطورات أعلن عن وفاته فبويع بعده المنصور بالله عبد الله بن حمزة الذي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

بعد توليه شؤون الإمامة قام بتقريب رجال العلم والأدب والشعر وأمر بالاهتمام بهم، كما أنه أمر بتقوية الجيش وتسليحه كما واصل دعم المؤسسات التي كان تعنى بتقديم الخدمات الإنسانية إلى أبناء البلاد.أما في المجالات الأخرى فإنه اهتمّ بشؤون القضاء اهتمام واسعا حيث قام بتأسيس معاهد ومدارس لإعداد القضاة الجيدين وأنه أمر بتشكيل لجان تتكوّن من أساتذة بارعين في مجال الفقه والعلوم الإسلامية، وأوكل إلى هؤلاء اختبار وامتحان القضاة قبل أن يصدر أمر بتعيينهم في دوائر الدولة، ومن الأعمال الأخرى التي قام بها الإمام المنصور بالله هي الإيعاز إلى العاملين معه بفتح أبوابهم لسماع شكاوى المواطنين وحلّها، ومن القضايا التي اهتمّ بها اهتماما كبيرا هي إشرافه على توزيع الأموال للمحتاجين في المناسبات الدينية وبالخصوص صلاة الجمعة، حيث كان يجلس في المسجد الكبير الذي كان يؤدي به صلاة الجمعة ويضع الأموال بالقرب منه ثم يستدعي المحتاجين والفقراء ويقوم بمنحهم قسما من هذه الأموال.

توفي الإمام المنصور بالله عام ٤٩٨ فتولى الإمامة بعد الإمام المهدي بن أحمد بن الحسين والذي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين عليه السلام أيضًا.

بعد تولّي الإمام المهدي مسؤولية الدولة قام برعاية أبناء البلاد رعاية خاصة حيث كان يقضي معظم أوقاته وهو ينتقل بين الأسواق والشوارع التي كان يتواجد فيها جمهور غفير من الناس كما أنه كان يقوم بزيارة المدن اليمنية النائية ليطلع على الخدمات التي تقدم للناس، استمر الإمام المهدي يسير بهذه السيرة الجيدة حتى وفاته، فخلفه على الإمامة الإمام المنصور بالله الحسن بن بدر الدين فسار هذا الإمام برعيته على أحسن حال حيث تابع مسيرة حياتهم، وقام بحلّ المشاكل التي كان يعاني منها أبناء البلاد.

هذا وانصب جلّ اهتمامه في اجتثاث العناصر المسيئة التي كانت تسيء للفقراء حيث كان يتجول في الليل والنهار ليستمع من الناس بما يعانوه من مشاكل ومن مظالم على يد بعض المسيئين المحسوبين على السلطة، فكان يأتي بهؤلاء المجرمين وينزل بهم القصاص العادل أمام مريء الناس.

على أثر أعماله الجليلة هذه نال حبّ وتقدير أبناء البلاد اليمنية جمعاء، وظلّ موضع احترامهم حتى وفاته.

بعد وفاته تولّى الإمامة الإمام المتوكّل على الله المطهّر بن يحيى فقام بإدارة شؤون الدولة على ذلك النهج القويم المستقيم الذي سار عليه أئمة الزيدية الذين سبقوه حيث قام بإكمال المشاريع العمراني والخدمية التي كان قد أمر بها الإمام المنصور بالله، وظلّ يتابع تلك المشاريع حتى وفاته، فخلفه على الإمامة الإمام المهدي بن محمد

المطهر، بعد تولّيه منصب الإمامة قام بتأسيس مؤسسة لطبع وتدوين أفكار الطائفة الزيدية والفقه الزيدي وتوزيعه على عامة الناس وبالخصوص أبناء القرى النائية الذين كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة، وأمر الكتاتيب والملالي الذي يتواجدون في هذه المناطق بشرح الفقه الزيدي إلى أبناء هذه المناطق لغرض الاطّلاع عليه، ومن الأمور الأخرى التي اهتمّ بها هو رعايته للشعراء حيث أغدق عليهم الأموال مما ساعد على عقد الندوات الشعرية التي كانت تعقد في دواوين العشائر اليمنية والتي كان يحضرها العشرات من هؤلاء الشعراء الذين كانوا يتغنون بأمجاد الإسلام ورموزه وبالأخصّ الأئمة الأطهار عليهم السلام، وفي مقدمتهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هذا وقد انصبّ معظم الشعر الذي كان ينظمه هؤلاء الشعراء بمدح ورثاء الإمام علي عليه السلام ومآثر ومناقب الشهيد الثائر الكبير الإمام زيد بن علي عليه السلام.

توفي الإمام المهدي فخلفه الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة والذي ينتهي نسبه إلى الإمام الرضا عليه السلام.

بعد توليه منصب الإمام اتّجه إلى العمل على انتشار أفكار المذهب الزيدي حيث أمر بإرسال المزيد من الدعاة إلى خارج البلاد اليمنية لشرح أفكار المذهب الزيدي الذي لقي رواجًا من أبناء المناطق الإسلامية التي توجّه إليها هؤلاء الدعاة وبالأخصّ عُمان وزنجبار وأريتيريا ومناطق أخرى.

كما قام الإمام المؤيد بالله بتشييد عدد من المساجد الفخمة التي لا تزال باقية آثارها إلى يومنا هذا في اليمن، استمرّ في المسير على ما كان يدور في ذهنه حتى وافته المنية، فخلفه الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد فسار في البلاد سيرة حسنة نال بها استحسان أبناء شعبه حيث قرب العلماء والشعراء والأدباء ، كما قام بتشييد المساجد في معظم المدن اليمنية وبالذات في القرى والأرياف التي تقع في المناطق النائية، كما قام بتعيين المئات من أئمة المساجد لإدارة شؤون المساجد التي شيّدها في القرى اليمنية لتوعية وتوجيه أبناء هذه القرى الذين كانوا لا يعلمون بالفقه الزيدي إلا القليل، كما أنه اهتم بتعبيد الطرق وإقراض المزارعين سلف ومنح لمساعدتهم على الزراعة.

لم يبق الإمام المهدي سوى عدّة سنوات إذ سرعان ما اختطفته المنية بسبب مرض عضال.

بعد وفاته تولّى الإمامة ومسؤولية الدولة الإمام الهادي لدين الله علي بن المؤيد، بعد توليه المسؤولية اشرف بنفسه على أحوال القضاء التي كانت تعاني من بعض المحسوبيات، فقام بتغيير العديد من هؤلاء القضاة وإحالة قسم منهم على التقاعد، كما أمر بتشكيل لجنة عليا يشرف عليها شخصيا لمعالجة السلبيات والتجاوزات التي كانت تحدث في مجال القضاء.

بعد أن تمكّن من استقرار الوضع القضائي في البلاد قام بجولات للعديد من مناطق اليمن لتفقّد أحوال الناس في هذه المناطق، ومن

خلال جولاته هذه استقبل والتقى بالمئات من أبناء اليمن فاستمع إلى مشاكلهم ومطالبهم التي قام بتنفيذها على الفور من خلال اللجان التي اصطحبها معه لمعالجة هذه الأمور.

بعد عودته من جولاته هذه أصدر أمرا بتغيير معظم ولاة المناطق التي زارها بسبب أن قسما من هؤلاء كانوا قد قربوا أقاربهم الذين وضعوهم في أبرز المراكز الحكومية، ومن الأعمال المهمة التي انفرد بها هذا الإمام عن غيره من أئمة الزيدية الذين حكموا البلاد أنه قرر انتخاب الوالي أو الرجل الذي سيحكم المنطقة التي يتواجد فيها من قبل أبناء المنطقة وكان هذا الأمر غير مألوف في اليمن.

بقي الإمام الهادي لدين الله على هذا الطريق حتى وافته المنية.

بعد وفاته تولّى الإمام الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى فسار بالبلاد سيرة طيبة حيث قام بأعمال وخدمات جليلة لأبناء اليمن ولعل أهم هذه الأعمال هو أنه وضع جل اهتمامه في خدمة المذهب الزيدي والعناية والاهتمام بعلماء هذا المذهب حيث وفّر جميع ما يطلبه هؤلاء من تشييد المدارس والمساجد وطبع الكتب التي تهتمّ بأفكار المذهب وغيرها من الأمور، واصل عمله في هذا المجال الذي جعله من أهمّ واجباته حتى وفاته.

عند وفاته أعلن علماء المذهب الزيدي وكبار رجال القبائل عن مبايعة الإمام المتوكّل على الله المطهّر بن محمد والذي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

بعد توليه الأمر توجّه إلى خدمة أبناء شعبه لمعالجة السلبيات التي كانت موجودة في اليمن في تلك الفترة، وإن من أهمّ هذه الأمور هي نقص المياه الذي أدّى إلى تدهور الوضع الزراعي فقام هذا الإمام بإنشاء عدد من السدود لتخزين المياه ومن ثم إعادة توزيعها على الأراضي الزراعية حيث كان أغلب المزارعين يعتمدون على الأمطار الموسمية، ساهم هذا العمل الجبار بازدهار الوضع الزراعي والذي أدّى إلى ارتياح أغلب المزارعين في اليمن، في أثناء متابعة الإمام لهذه القضية التي وصلت إلى نهايتها أعلن عن وفاته فجرى مبايعة الإمام الهادي عزّ الدين بن الحسين لقيادة الدولة التي كانت تنعم بالاستقرار والأمان جراء السياسة الرشيدة التي سار عليها الأئمة الزيدية، بعد توليه الحكم أشرف على إدارة دولته بكل همّة وحزم حيث تمكّن من القضاء على بعض العصابات التي كانت تقوم بعمليات النهب والسلب حيث جعل اهتمامه منصبا على هذا الأمر وظل يواصل خطواته في هذا الطريق حتى قضى على هذه المجاميع الضالّة، أما خدماته في المجالات الأخرى فكانت كثيرة تصب معظمها في خدمة أبناء اليمن الذين كانوا مطيعين بشكل تام لأئمتهم الذين قدموا لهم كل ما يستطيعون من أمور تساهم في اسعاد شعبهم المسلم.

وهكذا ساهم الإمام الهادي في استقرار بلاده ورفاهية شعبه حتى أعلن عن وفاته، فبويع بعده الإمام المتوكّل على الله يحيى بن شرف

الدين، بعد توليه الإمام انتهج نهج من سبقه من أئمة الزيدية حيث بذل مساعي حثيثة من أجل توفير الأمن والأمان والعيش الرغيد لأبناء اليمن وهو ما كان موجودا أثناء حكم الأئمة الزيدية لبلاد اليمن، وظل يواصل مسيرته بخدمة اليمن وأبنائها حتى وفاته.

بعد وفاته تولّى الإمامة الإمام الهادي بن الحسن بن عزّ الدين، بعد مبايعته سلك نفس السلوك الذي سار عليه أئمة الزيدية وبالخصوص الاهتمام بأفكار المذهب والعناية بعلماء المذهب وتشييد المساجد والمدارس الدينية التي كان يدرّس فيها أفكار ومبادئ المذهب الزيدي، أما من الجانب الثاني الذي يهمّ حياة أبناء الشعب فقد ساهم الإمام الهادي في تذليل الصعاب التي كانت تقف أمام تطور الوضع الاقتصادي والخدمي حيث تابع بنفسه العمل على توفير لقمة العيش المريحة لأبناء اليمن وحلّ النزاعات القبلية التي كانت تحدث بين أبناء اليمن والتي كان لها أثر كبير في إثارة المشاكل وأعمال الشغب التي كانت تحدث في بعض المناطق القبلية.

ومن الأعمال الأخرى التي قام بها الإمام الهادي هي دعوته لرؤساء القبائل اليمنية بعقد اجتماع دوري كل بداية شهر لمناقشة ما يحتاجه أبناء اليمن، ومن الأشياء الأخرى التي انفرد بها الإمام الهادي دون غيره من الأئمة الزيديين هي تعيين عدد من أئمة المذاهب الإسلامية السنية في مناصب عليا في الدولة بعد أن كان هؤلاء مستشارين للأئمة الزيدية، وقد ساهمت هذه الخطورة إلى تعزيز الوحدة اليمنية

وإن كانت الوحدة أصلا مترابطة وقوية بسبب السياسة الصائبة التي كان ينتهجها الأئمة الزيديون الذين حكموا البلاد قبل تولى الإمام الهادي المسؤولية.

واصل الإمام الهادي مسيرته وفق هذه الخطوات المباركة التي كان لها دور كبير في تقدم اليمن ونهوضه حتى وفاته، بعد وفاته تولّى شؤون الإمامة الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي الذي اتّبع نفس السيرة التي سار عليها الأئمة السابقون إلا أن هذا الإمام اهتمّ بالشعر والشعراء كثيرا حيث قرّب الشعراء من جميع المناطق اليمنية، كما أنه استقطب شعراء الحجاز وعُمان والعراق وأغدق عليهم الأموال والهبات، وبهذا أصبحت اليمن مقرًّا لمعظم الشعراء العرب الذين تغنّوا بأمجاد أمتنا العربية والإسلامية وكان الشغل الشاغل لهذا الإمام هو تقريب الشعراء وإقامة الأماسي الشعرية لهم، هذا بالإضافة إلى اهتمام الإمام بشؤون البلاد وأهلها إلا أنه كان أشهر أئمة الزيدية في مجال رعاية الشعراء، وظلّ على هذا المنوال حتى وافته المنية.

بعد الإعلان عن وفاته بويع الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد، بعد توليه الأمر قام بالإشراف على شؤون دولته ومن جميع الوجوه فكان يقوم بجولات ميدانية إلى المدن اليمنية للوقوف على احتياجات الشعب وحلّ مشاكلهم ، كما أنه كان يولي اهتماما واسعا بالشؤون الدينية حيث كان يرعى علماء المذهب الزيدي رعاية خاصة، وقد انفرد دون غيره من الأئمة الزيديين بحضوره شخصيا، وفي كل يوم

مجلسا لأحد علماء المذهب الزيدي، وكان يجري حوارا معمّقا مع كل إمام، بعد انتهاء محاضرته.

أما اهتماماته الأخرى فكانت عديدة تؤدي جميعها في خدمة الإسلام والمسلمين، وبقي على هذا المنوال حتى وفاته.

بعد وفاته أعلن عن مبايعة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم نجل الإمام السابق فسار هذا الإمام وفق النهج الذي سلكه والده والذي نال احترام أبناء البلاد وظل الإمام المؤيد يسير على الخطى التي رسمها له والده حتى وفاته.

عند الإعلان عن وفاته تمّت مبايعة الإمام المتوكّل على الله إسماعيل بن القاسم الذي كان يتمتّع باحترام معظم شرائح البلاد قبل توليه منصب الإمام لأنه كان عالما جليلا اتّصف بالزهد والتقوى وكثرة التنقل بين المدن اليمنية.

سلك الإمام إسماعيل سلوكا دينيا سمحا حظي بموجبه موفّقا خاصا في قلوب أبناء اليمن.

ومن خلال مسيرته هذه تمكّن من استقطاب بعض الشباب الذي كانوا يحملون بعض الأفكار البعيدة بعض الشيء عن الأفكار الزيدية، وقد تمكّن الإمام إسماعيل بحكمته وسعة صدره وغزارة علمه من التأثير على هؤلاء الشباب ومن ثم العودة إلى جادة الصواب.

هذا من جانب أما من الجانب الآخر فإنه اهتمّ بشؤون أبناء البلد، وعمل جاهدا على استتباب الأمن وقيام ازدهار اقتصادي ساهم كثيرا

في رفاهية الشعب وجعل معظم أبناء البلاد يعيشون في بحبوحة من العيش الكريم، وبهذا نال الإمام إسماعيل رضا الشعب اليمني بكل فئاته وطوائفه حتى اغتالته المنية.

بعد وفاته تولى شؤون الدولة الإمام المنصور بالله عبد الله بن المؤيد فعمل على استقرار وضع البلاد والاهتمام بالمدارس الدينية وإنشاء المعاهد الخاصة بتخريج الأئمة والوعاظ لخدمة المذهب الزيدي.

كما أنه عمل على إنشاء جمعيات إنسانية لمساعدة الفقراء الذين لا يتمكّنون من الزواج وقد قامت هذه الجمعيات بتوفير بعض الأموال ومنحها لهؤلاء الناس لغرض تسهيل مهمة الزواج بين العوائل.

أما المجالات الأخرى فقد اهتمّ بها الإمام إسماعيل اهتماما كبيرا حيث أمر بتشكيل لجان خاصة من كبار أعوانه لتنفيذ كل ما يساهم من مشاريع خدمية تؤدّي إلى خدمة أبناء الشعب، ظل الإمام إسماعيل بدعم هذه اللجان والإشراف على الجمعيات الخيرية التي ذكرناها حتى وفاته.

بعد وفاته بويع الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل فاتّخذ خطوات كثيرة خدم فيها الدين والمذهب وأبناء البلد على أحسن وجه وظل يسلك هذا الاتجاه المستقيم الذي جعل من بلاد اليمن بلادًا سعيدة مستقرة تنعم بالأمن والأمان يتمتع أبناءها بالعيش الرغيد حتى مماته.

بعد وفاته تولى شؤون الدولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن أحمد الكبيسي، بعد تولي الكبيسي منصب الإمامة اتّجه إلى العمل على إقامة الخدمات المطلوبة لأبناء البلد وكان من هذه الخدمات إقامة الجمعيات الزراعية، حيث أمر بإنشاء هذه الجمعيات التي ساهمت مساهمة كبيرة في نموّ الزراعة وتحسّن الوضع المعيشي للمزارعين، حيث قامت هذه الجمعيات بتوزيع الأراضي المملوكة للدولة على المزارعين الذين لا يملكون الأرض وتقديم منح مالية لهم من أجل زراعتها ثم شراء المحاصيل الزراعية التي تنتجها هذه الأراضي من المزارعين بأسعار عالية لغرض دعمهم وتشجيعهم، هذا من جانب ومن الجانب الآخر فإن الإمام الكبيسي شدد طيلة أيام حكمه على تنظيف المذهب الزيدي من البدع والأفكار الغريبة حيث كان يعقد اجتماعات بين الحين والآخر مع كبار علماء المذهب الزيدي لتوجيههم وحثهم على التمسك بالمبادئ والقيم الإسلامية الصحيحة والأصيلة والقضاء على مروّجي الأفكار التي تسيء للإسلام وتسعى لإثارة الخلافات المذهبية وغيرها من الأمور التي يجب على المسلم إتباعها دون المساس بحقوق الآخرين.

أما من الجوانب الخدمية فكان الإمام الكبيسي يتابع تنفيذ هذه الأمور بنفسه من خلال جولاته الميدانية المتواصلة لمختلف المدن والقرى اليمنية المترامية الأطراف.

إن هذه الأعمال التي قام بها الإمام الكبيسي جعلته أن يكونوا محطّ أنظار أبناء اليمن طيلة فترة حكمه حتى وفاته.

فخلفه على الإمامة الإمام المنصور بالله أبو محمد بن أحمد بن هاشم المحسن الذي سعى إلى مواصلة ما قام به الإمام الكبيسي وقد وفّق في ذلك حيث لم يقم في قصره إلا في المناسبات الدينية حيث كان دائم التنقّل بين المدن والقرى اليمنية من أجل إسعاد الشعب اليمني والوقوف على احتياجاته وتنفيذ الأعمال التي بدأها الإمام الذي سبقه والتي خدمت أبناء اليمن كثيرا، أما من الأعمال الأخرى التي قام بها الإمام المنصور بالله فكانت هي اهتمامه بنشر أفكار المذهب الزيدي حيث أرسل الكثير من الدعاة إلى خارج اليمن وقد تمكّن هؤلاء من كسب مجاميع غفيرة من المسلمين للانضمام للمذهب الزيدي، كما أنه قام بإنشاء مكتبة ضخمة تحتوي على عشرات الآلاف من الكتب الدينية والعلمية والفقهية ودواوين الشعر وغيرها من الكتب القيمة التي تهتم بشؤون الإسلام والمسلمين وأمر بأنّ تكون أبواب هذه المكتبة مفتوحة أمام كل من يريد الاطّلاع على محتوياتها من الكتب وخاصة الكتب التي تناولت أفكار المذهب الزيدي الذي انتشر انتشارا واسعا في تلك الفترة، واصل الإمام المنصور بالله مسيرته هذه حتى أعلن عن وفاته فخلفه على منصب الإمامة الإمام المنصور بالله محمد بن عبد الله الوزير الذي عمل على خدمة أبناء اليمن وانتشار المذهب الزيدي وتوفير الخدمات التي ينتفع منها أبناء

المدينة كتعبيد الطرق وتشييد القناطر وشق الأنهر وحفر الآبار وإقامة السدود وإنشاء المستشفيات وبناء المدارس وتعيين أئمة ووعاظ لشرح أفكار المذهب الزيدي في القرى والمناطق النائية التي كان يصعب على أبنائها الدخول إلى المدارس الدينية التي أنشئت في المدن اليمنية الرئيسية، أما أهمّ الأعمال التي قام بها والتي اشرف عليها شخصيا هي تشييده للعديد من المستشفيات وتزويدها بأنواع الأدوية لتقديم أفضل الخدمات لأبناء اليمن وهكذا ساهم هذا الإمام في استقرار وضع البلاد وازدهار اقتصاده وجعل المواطن اليمني يعيش حياة هانئة في ظل هذه الدولة الشيعية الرائدة، في خضمّ هذه الأعمال الجليلة التي قام بها الإمام المنصور أعلن عن وفاته فأصيب الشعب اليمني بالصدمة بسبب هذا الخير، وبعد وفاته أعلن عن مبايعة الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد الحوثي، تولى الحوثي شؤون الإمامة والدولة فقام بإدارة شؤونها بالشكل المطلوب حيث واصل مسيره الأئمة الذين حكموا البلاد من قبل بل أنه زاد عليهم بخصوص تعلم أبناء الشعب اليمني من خلال الجهود الكبيرة التي قام بها لتثقيفهم وتوعيتهم فقد جنّد نفسه لتشييد مئات المدارس وفي مختلف المدن اليمنية وخاصة القرى والأرياف وقد ساهمت هذه المدارس في زيادة الوعي الثقافي الذي كان مركّزا على المدن اليمنية بشكل عام.

استمر الإمام الحوثي في تقديم أفضل الخدمات لبناء اليمن حتى وفاته.

وهنا لابد من الإشارة بأن هذا الإمام هو الجدّ الأعلى للإمام الحوثي الذي يرفع الآن راية الثورة ضدّ الحكومة اليمنية التي غضت الطرف عن أبناء المذهب الزيدي وأبناء المذهب الجعفري حيث تركت مناطقهم دون تطوير وتعمير بل أن هذه المناطق التي يتواجد بها أبناء المذهب الزيدي والمذهب الجعفري أصبحت من المناطق الموبوءة والمتأخرة من حيث عدم وجود الخدمات وعدم شمولها بالمخصصات المالية اللازمة التي تقدمها الحكومة اليمنية لتعمير وتطوير المدن اليمنية.

بعد وفاة الإمام الحوثي بويع بالإمامة الإمام المهدي لدين الله أبو القاسم بن محمد الحسيني الذي قدم خدمات جليلة للمدرسة الزيدية حيث كان من أصحاب المؤلفات المعتبرة التي تبحث في أفكار ومبادئ المذهب الزيدي، إضافة إلى الحديث عن التاريخ المشرف لأئمة وعلماء وأدباء وشعراء الزيدية عبر التاريخ، ومن أعماله الأخرى التي تصبّ في خدمة البلاد اليمنية هي اهتمامه بشؤون الرعية والسهر على راحة أبناء البلد، ومن الأمور التي يشهد لها بهذا المجال هي أنه اهتمّ بالقضاء حيث كان يتنقّل بين القبائل اليمنية وإجراء العديد من اللقاءات مع أبناء هذه القبائل والاستماع منهم عن المشاكل التي يعانوها وكيفية أداء القضاة لأعمالهم وغيرها من الأمور التي تخصّ

الشارع اليمني، بذل الإمام المهدي جهودا مضنية من أجل إسعاد شعبه وإزالة المعوقات التي تقف أمامه حيث وضع صناديق للشكاوى في الساحات والشوارع في معظم المدن والقصبات اليمنية حتى يتمكّن المواطن اليمني من رفع شكواه من خلال كتابة مما كان يعانيه وضع رسالة الشكوى في هذه الصناديق والتي كانت تفتح بين الحين والآخر ومن ثم يطّلع عليها الإمام بنفسه وبعد اطّلاعه عليها يأمر بحلها وبمعاقبة الموظف الذي كان السبب في إيذاء المواطن، وهكذا استمرّ الإمام أبو القاسم الحسيني الهادي لدين الله شرف الدين بن محمد الحسيني الذي واصل ما كان يقوم به الإمام أبي القاسم بل أنه زاد على ذلك حيث كان يقوم بتفقّد أبناء رعيته بالليل من خلال ارتدائه زيا يختلف عن زيّ أئمة الزيدية حتى يطلع بنفسه على المشاكل التي كان يعاني منها أبناء اليمن دون أن يعلم الحاكم أو المواطن اليمني على شخصية الإمام، وبهذا تمكّن من تحقيق العدالة بين أبناء الشعب، ومن أعماله الأخرى هي متابعته لشؤون المواطنين وبالذات المزارعين منهم حيث أمر بتقديم الخدمات اللازمة لهذه الشريحة الواسعة، أما اهتمامه بالمناسبات الدينية فكان كبيرا، ومن أهمّ المناسبات التي كان يهتمّ بها هي مناسبة ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام حيث كان يأمر بتعطيل الدوائر وإقامة المجالس الدينية في الساحات والشوارع العامة لشرح إبعاد الثورة الحسينية الخالدة.

هذا جزء يسير عن تلك السيرة المعطاء لهذا الإمام الذي ساهم مساهمة فعالة في تطوير وازدهار دولته وإسعاد شعبه، وظلّ على هذا الطريق حتى وافته المنية.

بعد وفاته آل الأمر إلى الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى بن محمد بن حميد الدين.

بعد تولية الإمام محمد بن يحيى مسؤولية الإمام تابع بشغف ما قام به الإمام الهادي حيث واصل السير على النهج الذي سلكه، فقد جنّد نفسه للعمل من أجل تحقيق ما بدءه الإمام السابق إضافة إلى أنه عمل على تقوية الجيش الذي كان قد تعرّض لتحرشات القوات العثمانية التي كانت قد تمكّنت من احتلال العديد من مناطق الجزيرة العربية، كما أنه اهتمّ بعلماء المذهب الزيدي وتابع أحوالهم وأمرهم بتقديم المزيد من الخدمات لنشر أفكار هذا المذهب الذي بدأت الحكومة العثمانية بمحاربته بتوحيد صفوفهم من أجل الوقوف بوجه الأعداء الذين حاولوا القضاء على المذهب الزيدي والوقوف أمام انتشاره، في خضمّ هذه التطورات أعلن عن وفاة الإمام محمد بن يحيى فتمّ مبايعة الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين، ما أن تولّى المسؤولية حتى قام الأتراك بالوقوف بوجهه فتصدّى لهم بكل قوّة حيث قاد القبائل اليمنية الموالية له واصطدم مع القوات العثمانية وبعد معارك ضارية وعنيفة استبسل بها الشباب الشيعي تمكّن هؤلاء الفرسان من دحر القوات العثمانية الغازية بعد أن

أوقعت فيها الخسائر الجسيمة حيث فقدت القوات العثمانية آلاف القتلى والجرحى والأسرى، وكان ذلك عام ١٣٢٢ هجرية، وبهذا تمكّن هذا الإمام الثائر من طرد هذه القوات وإخراجها من اليمن وبذلك أثبت أبناء الشيعة وطنيتهم التي لا غبار عليها.

بعد هذه الهزيمة المرّة التي تعرض لها الأتراك حسب هؤلاء ألف حساب لهذا القائد الكبير وعليه قاموا بتجنيد عدد من أزلامهم للقضاء على حياته وقد نجحت خطتهم حيث تمكّن نفرٌ ضالٌّ من اغتيال هذه الشخصية الفذّة.

بعد اغتياله تولّى مسؤولية الدولة الإمام الناصر لدين الله أحمد يحيى وكان ذلك عام ١٣٦٧ هجرية، وبعد توليه المسؤولية أعلن النفير العام تحسبًا من قيام الأتراك بالهجوم على دولته إلا أنه لم يترك الجوانب الخدمية التي تهمّ شؤون أبناء البلد وظل يتابع الأمور العسكرية بنفسه وحثّ أبناء اليمن بالتصدّي للقوات التركية إن هي أعادت الكرّة على الأراضي اليمنية، هذا ولم تثني جهود الإمام في هذا المجال عن تركه شؤون البلاد حيث أنجزت في عهده عدد من الأعمال التي استفاد منه أبناء البلاد، ظل الإمام أحمد بن يحيى يحكم البلاد حتى أن وافته المنية عام ١٣٨٢ هجرية.

بعد وفاته بويع الإمام يحيى بالإمامة ولم يدم حكمه إلا قليلا حيث قام مجموعة من الضباط اليمنيين برئاسة المشير عبد الله السلال بقيادة حركة انقلابية ضدّ الدولة المتوكلية وكان ذلك عام ١٩٦١.

نجح الثوار من السيطرة على العاصمة صنعاء إلا أن الإمام يحيى وأتباعه وحدوا صفوفهم وقاموا بمحاربة قوات الجمهوريين الذين تلقّوا الدعم من قبل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذي كان قد أرسل قوات مصرية لدعم حركة الضباط اليمنيين.

استمرت المعارك العنيفة بين الجمهوريين والملكيين إلى عام ١٩٦٦ حيث تمّ الاتفاق بين المملكة العربية السعودية التي كانت تدعم القوات الملكية وبين الحكومة المصرية على حل هذه القضية وعلى ضوء هذا الاتفاق أوقفت المملكة العربية السعودية دعمها للقوات الزيدية الأمر الذي أدّى إلى إيقاف المقاومة ومن ثم سيطرة الجمهوريين على زمام الأمور.

بعد تنفيذ الاتفاق الذي تم بين السعودية ومصر انتهى الحكم الزيدي في اليمن، وبذلك انتهى الحكم الشيعي لليمن إلا أنّ أبناء الشيعة من المذهب الزيدي أثبتوا وجودهم حيث يتولون الآن العديد من المراكز العليا في الدولة حيث لهم مساجدهم ومدارسهم الدينية وقد أصبحوا الآن يشكلون نسبة عالية من سكان البلاد كما برز العديد منهم في المجالات الثقافية كالشعراء والأدباء والعلماء إضافة إلى بروز عدد كبير منهم في مجال السياسة وها هم اليوم يعتبرون من أبرز مثقفي البلاد، ومن أبرز رجال السياسة فيها، وهكذا سقطت أخر دول الشيعة التي أسست عبر التاريخ حيث لم يستطع الشيعة فيما بعد أن يؤسسوا أي دولة لهم وخاصة بعد أن استولى الإنجليز والفرنسيين

والإيطاليين على البلاد الإسلامية، هذا فقد حسب هؤلاء المستعمرون حسابا دقيقا للطائفة الشيعية على اختلاف فرقها التي لم تهدأ في انتقادها للسياسة الجائرة التي كان يسير عليها هؤلاء وعملائهم مما أدى بالحكومات العميلة للاستعمار الأجنبي شن هجوم عسكري همجيّ على أبناء هذه الطائفة الثورية، وقد ذهب الملايين منهم شهداء خالدين، بعد أن تمكّنوا من رفع راية الثورة ضدّ أعداء الإسلام.

وهكذا أسفر النضال المرير الذي قام به أبناء ورجال الشيعة إلى إعلاء كلمة الله ورفع شان الإسلام والمسلمين، ولنمر مرور الكرام كما يقول المثل على ما قامة به أبناء الشيعة من جهاد ضدّ أعداء الإسلام، ونبدأ من قتال الشيعة للصليبيين وقتالهم المرير للفرنسيين في لبنان وسوريا وقتالهم المشرّف ضدّ الإنجليز في العراق وأفغانستان وباكستان والهند والبطولات الرائعة ضدّ القوات الإسرائيلية في لبنان، وجهاد أبناء الشيعة ضدّ قوات الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان، وها هم اليوم الشيعة رافعي الرؤوس بعد أن عانوا ما عانوا من اضطهاد وتعذيب وتقتيل على أيدي الحكام الطّغاة الجلادين منذ استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وإلى يومنا هذا.

هذه لمحة تأريخية موجزة عن آخر دولة شيعية أسست في اليمن والتي قدّم قادتها وأئمتها خدمات كبيرة وجليلة لأبناء اليمن وللمناطق الأخرى التي خضعت لها، ومن المعروف بأن حكم الدولة الزيدية

امتدّ إلى أجزاء من الأراضي الحجازية والأراضي العمانيـة لفتـرة مـن الزمن إلا أنه قلّص فيما بعد حيـث أسـست فـي الـيمن دول عديـدة وأصبحت الأراضي اليمنية مقسمة بـين هـذه الـدول إلا أن المملكـة المتوكّلية بقيت قائمة ومسيطرة على مناطق شاسعة مـن أرض الـيمن حتى سقطت على أيدي الجمهوريين كما ذكرنا سابقًا.

مراجع البحث:

١ـ الزيدية في موكب التاريخ ـ جعفر السبحاني.

٢ـ تاريخ العرب ـ فيليب حتي: ٥٣٢.

٣ـ هذه هي اليمن ـ عبد الله الثور: ٣٢٧ـ ٣٣٣.

٤ـ الكامل ـ للخرزي ج٧: ٤٠٧.

٥ـ مروج الذهب/ للمسعودي ج٤: ٦٨.

٦ـ التحف في شرح الزلف: ١٩٤.

٧ـ البحر الزخار: ٢٢٥ـ ٢٣١.

٨ـ تاريخ اليمن الحديث: ٨٠ـ ٩٠.

٩ـ المجدي/ للنسابة العمري: ٧٨.

١٠ـ تاريخ الشيعة السياسي والثقافي والديني: ٣٧٩.

١١ـ اليمن عبر التاريخ/ أحمد شريف الدين: ٥٠ـ ٢٥٩.

١٢ـ ثورات الشيعة ـ سعيد زميزم: ٣٥٥ـ ٣٥٧.

١٣ـ تاريخ اليمن ـ عبد الواسع اليماني: ١٢٠ـ ١٣٠.

١٤- اليمن الكبرى: ١١٢ـ ١١٤.

١٥ـ الموسوعة الميسّرة للأديان والمذاهب المعاصرة ـ مجموعة من الباحثين: ٦٧ـ ٦٨.

١٦ـ الفرق والجماعات الإسلامية ـ سعيد زميزم: ٦٧.

١٧ـ اليمن تحت حكم الإمام أحمد ـ الدكتور عبيد داغر.

١٨ـ الزيدية والإمامية جنبا إلى جنب: ٧.

١٩ـ تاريخ الإسلام السياسي والثقافي ـ للدكتور حسن أحمد حسن ج٤: ٢١٧ـ ٢١٩.

٢٠ـ الأعلام / للزركلي ـ مجلد ٤: ٨٣.

٢١ـ العقود اللؤلؤية ج١: ٣٣.

٢٢ـ بلوغ المرام: ٤٣، ٧٠.

٢٣ـ البدر الطالع ج١: ٤٥٩ـ ٤٦٧.

٢٤ـ نيل الوطر ج٢ : ١٤٠ـ ١٤٢.

٢٥ـ نبلاء اليمن ج١ : ٦٠١.

٢٦ـ الإسلام الصحيح: ٥٤.

٢٧ـ خلاصة الأثر ج٤: ١٢٢.

٢٨ـ الدر الفريد: ٢٤٧.

٢٩ـ تحفة الإخوان: ٣٢ـ ٣٤، ٣٠ـ تاريخ الدول الإسلامية. ٣١ـ ملوك العرب ج١: ٧٠، ٣٢ـ ملوك المسلمين: ١٦٩ـ ٢٠٤، ٣٣ـ نيل الحسنين: ١١٧، ٣٤ـ إتحاف المسترشدين: ١٠٥، ٣٥ـ الضوء اللامع ج٥: ٢٣٢.

الدولة الحمدانية
في سوريا

الدولة الحمدانية:

الدولة الحمدانية إحدى دول الشيعة التي لها تاريخ مجيد ومشرق، ينتسب الحمدانيون إلى قبيلة تغلب العربية المعروفة التي لها شأن كبير ومنزلة خاصة في قلوب العرب حيث برز من أبناء هذه القبيلة رجال عظماء في مجالات عديدة منها الشجاعة والبلاغة والشعر والفروسية وغيرها من التقاليد والعادات التي يفخر بها العرب.

كان حمدان الجدّ الأعلى للحمدانيين أميرًا على قلعة ماردين القريبة من مدينة الموصل من قبل العباسيين، وقام هذا الأمير بإعلان استقلال منطقته وكان ذلك عام ٢٨٢ هجرية، وفي زمن الخليفة العباسي المعتضد بالله.

ما أن أعلن حمدان انفصاله عن الدولة العباسية ووصول الخبر إلى مسامع الخليفة العباسي حتى أمره عساكره بالتوجّه نحو مدينة ماردين للقضاء على هذه الدولة الحديثة إلا أن الحمدانيين استعدوا لمقاتلة الجيش العباسي.

بعد وصول القوات العباسية إلى ضواحي منطقة ماردين هاجمتها القوات الحمدانية التي كانت قد استعدّت لمقاتلتها.

على أثر الهجوم الصاعق الذي شنته القوات الحمدانية على القوات العباسية أصاب هذه القوات الذعر مما جعلها أن تفقد العديد من مواقعها الأمر الذي عزز موقف القوات الحمدانية وبهذا لم تتمكن القوات العباسية من فرض سيطرتها على أرض المعركة، ومن ثم

إلحاق الهزيمة بها والتي كانت قد أصيبت بخسائر جسيمة مما اضطرها إلى الانسحاب ومن ثم العودة إلى بغداد خائبة مذعورة .

على أثر هذا الانتصار الساحق الذي حققتها القوات الحمدانية قام أركان الدولة بتنظيم شؤون دولتهم ثم أعلنوا أن المذهب الجعفري هو المذهب الرسمي لهذه الدولة.

بعدها قاموا بإصدار عملة خاصة بها وقد كتب على الدينار الذي اعتمدوه كعملة خاصة لهم العبارة التالية:

(لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فاطمة الزهراء، الحسن والحسين، جبرائيل).

بعدها قام الحمدانيون بتأسيس المدارس الدينية ومن ثم التخصص بتدريس أفكار وفقه المذهب الجعفري، كما قاموا برعاية علماء وأدباء وشعراء الشيعة حيث أصبحت مدينة حلب عاصمة الدولة الحمدانية مقرًّا خصبًا لفقهاء وعلماء الشيعة الذين توجّهوا إليها من معظم الأقاليم الإسلامية التي يتواجد فيها أبناء هذه الطائفة.

استمرّت الدولة الحمدانية بالتطوّر والازدهار على يد مؤسسيها حمدان التغلبي إلى أن خلفه ابنه ناصر الدولة يعاونه إخوته الستة على إدارة شؤون الدولة وحكم المناطق التابعة لها حيث أن هناك مناطق عديدة تمكّن الحمدانيون من السيطرة عليها، هذا وقد كان مؤسس الدولة قد جعل أبناءه أمراء على هذه المناطق فجعل ابنه

الحسن على ديار ربيعة وابنه العلاء على الموصل وبقية أولاده على مناطق أخرى.

أدار هؤلاء الأمراء شؤون مناطقهم بصورة جيدة تمكّنوا خلالها من كسب ودّ أبناء هذه المناطق، وهذا دليل على أن رجال الشيعة هم من الفضلاء والمتعقّلين ومن الذين يملكون الفصاحة والبلاغة والقدرة على تولّي المناصب وإدارة شؤون الحكم بتروي وتسامح والابتعاد عن الغضب واتّخاذ القرارات السريعة التي قد يندم الحاكم على اتّخاذها فيما بعد، كما قلنا توزّعت مهام حكم المناطق التابعة للدولة الحمدانية بين أمراء الحمدانيين وكان من أبرز رجالهم وأمرائهم سيف الدولة وناصر الدولة حيث لعبا دورا كبيرا في إدارة مهام دولتهم التي سعوا من أجل توسيعها.

قام سيف الدولة الذي كان في حلب بقيادة جيش كبير من أعوانه لغزو بلاد الروم وكان ذلك عام ٢٥٦ هجرية، وقد نجح في السيطرة على العديد من المناطق التي كانت تابعة لسيطرة الروم، وقد تحقّقت هذه الأمور بفضل الانتصارات الساحقة التي حققتها القوات الحمدانية التي كانت تحت إمرته.

ظلّ سيف الدولة يسهر على تطوّر وتوسّع دولته حتى اختطفته المنية عام ٣٥٨ هجرية، وبهذا خسرت الدولة الحمدانية أحد أبرز رجالها الذي بذل الكثير من أجل تثبيت أركان دولته أولا .

أما الأمر الثاني الذي سعى من أجله هو العمل على انتشار أفكار المذهب الجعفري حيث كان يرعى علماء وفقهاء المذهب إضافة تشييده المدارس الدينية التي كان يدرّس فيها مبادئ المذهب وفقهه، هذا بالإضافة إلى أن سيف الدولة كان قد اشرف بنفسه على بناء العديد من الأماكن المقدّسة الموجودة في مدينة حلب عاصمة الدولة وكان من أهمّ هذه الأماكن مقام رأس الإمام الحسين عليه السلام والذي يسمّى في حلب بـ(جامع النقطة) وهو مكان مقدس لدى أبناء الطائفة الجعفرية حيث يوجد في هذا المكان صخرة عليها قطرات من الدم الطاهر لرأس الإمام الحسين عليه السلام سقطت من الرأس الشريف عندما وضع الرأس المقدّس عليها خلال مرور سبايا آل البيت عليهم السلام عندما كانوا متوجهين إلى دمشق بعد أن أرسلهم الطاغية عبيد الله بن زياد إلى أميره يزيد بن معاوية، أما المقام الثاني الذي أشرف على تعميره كان مرقد المحسن بن الحسين عليه السلام الذي أسقطته زوجة الإمام الحسين عليه السلام جرّاء التعب والإعياء الذي تعرضّت له خلال المسيرة الصعبة التي جاءت من العراق نحو الشام.

هذا من جانب أما من الجانب الآخر فإن الأمير الحمداني سيف الدولة كان شاعرا مجيدا حيث نظم المئات من القصائد الرائعة في مدح ورثاء آل البيت عليهم السلام بالإضافة إلى نظمه العشرات من القصائد في مجالات أخرى، هذا وقد جمعت قصائده هذه في ديوان معتبر،

وقد طبع هذا الديوان مرات عديدة من قبل دور نشر عديدة لجمالية ما يحويه من قصائد عصماء.

أما الأمير ناصر الدولة الحمداني فلديه أعمال جليلة أخرى في مجال خدمة المذهب الجعفري، إضافة إلى جهوده الكبيرة في إنشاء المدارس والأسواق وتنظيم شؤون الدولة الأخرى وكان من أهمّ أعماله اهتمامه بالناحية الزراعية حيث قام ببناء العديد من السدود والقناطر التي ساهمت في انتعاش الزراعة ومن ثم تحسن الحياة المعيشية لكثير من أبناء دولته الذين كانوا يعملون في الزراعة.

أما ما قام به الأمير ناصر الدولة من أعمال أخرى هو اهتمامه بالجيش، حيث اهتم به اهتماما كبيرا ومن جميع النواحي وبالخصوص تحديث سلاحه وتطويره واختياره لقادة عسكريين أكفّاء يعتمد عليهم إضافة إلى تدريبه تدريبا جيدا وغيرها من الأمور التي تساعد على تطور هذا الجيش الذي كان درعا حصينا لهذه الدولة والذي قام بإنجازات عديدة ساعدت على اتّساع الدولة والحفاظ على الأمن والاستقرار.

جاهد الأمير ناصر الدولة جهادا مريرا من أجل ازدهار دولته والحفاظ على ديمومتها وبذلك يكون متمما لما قام به أخيه سيف الدولة، وبذلك نجحا في تقدم دولتهم نحو الإمام حتى وافاه الأجل.

إلا أن الأمر المؤسف هو حدوث بعض الخلافات بين أولاد هذين الأميرين الجليلين أدّت إلى إضعاف الدولة وتدهورها حتى تولّى

السلطة نجل سيف الدولة الحمداني الملقّب بـ(أبو المعالي)، وقد تمكّن هذا الأمير من السيطرة على زمام الأمور والمحافظة على وحدة أراضيها والإشراف بنفسه على تقوية الجيش للدفاع عن الدولة التي كانت قد تعرضت لهجمات عديدة من قبل خصومها وبالأخص الروم والأخشيديين إضافة إلى حدوث المشاكل الداخلية، إلا أن حنكة وشجاعة الأمير أبي المعالي مكنته من ردع هؤلاء والمحافظة علي أمن دولته وحدودها.

بذل أبو المعالي نشاطا واسعا من أجل استعادة هيبة دولته التي أصابها التمزّق بسبب الخلافات التي حدثت بين أبناء الأسرة الحاكمة كما ذكرنا حتى وافته المنية عام ٣٨١.

بعد وفاته تولّى السلطة ابنه أبي الفضائل الملقب بـ(سعيد الدولة) فأدار شؤون دولته على أحسن ما يرام بعد أن كسب ودّ جيرانه إذ أثبت لهم بأنه رجل قادرٌ على الوقوف بوجههم، وعليه تمكّن من إقامة علاقات حسنة معهم، كما نجح في استقطاب معارضيه في الداخل بعد أن أجرى معهم محادثات طويلة تمكّن من خلالها بإقناعهم بالمشاركة في السلطة، ومن ثمّ حلّ جميع الخلافات وبهذا نال حبّ وودّ أبناء شعبه الذين كانوا يكنون حبا جمًّا لمؤسسي الدولة الحمدانية، وبهذا كللت المساعي الخيرة التي بذلها هذا الأمير من أجل وحدة البلاد واستقرار وضعها وازدهار اقتصادها وتمتّع شعبها بالسلام

والطمأنينة، حتى هنئ أبناء الدولة الحمدانية في ظل حكم الأمير سعيد الدولة حتى وافاه الأجل عام ٣٩٢.

ما أن أعلن عن وفاته حتى استعدّ خصوم الأمس بإثارة الاضطرابات وذلك أثر تولّي السلطة أمراء ضعفاء ليس لديهم باع طويل في السياسة، وعلى أثر هذه الأمور تجزّأت الدولة إضافة إلى خضوع العديد من مناطقها لسيطرة خصومها، أن هذه أمور عجلت بسقوط الدولة الحمدانية وبذلك يمكننا القول بأن الدولة الحمدانية قد سقطت وانتهت بموت الأمير سعيد الدولة، وبذلك انتهى عهد الدولة التي دام حكمها بحدود القرن حيث أنها أسست عام ٢٩٤ وسقطت عام ٣٩٢ هجرية، إن الأعمال الجليلة التي قام بها الأمراء هذه الدولة وخاصّة أميرها الكبير سيف الدولة وشقيقه ناصر الدولة جعلت العديد من المؤرّخين والمفكرين عربا وأجانب يشيدون بأعمال أولئك الأمراء الخالدين.

هذا وقد جاء في كتاب: (سيف الدولة وعصر الحمدانيين) عن المنجزات والأعمال التي يفتخر بها المسلمون عامّة والشيعة خاصّة ما نصه: (سيف الدولة أحد أبطال التاريخ، وصاحب شخصية حافلة بالحياة والنشاط وذو نواح متعددة، تتراقص على جنباتها المغامرة والشعر والسيف والقلم والبطولة والأدب، فهو من الشخصيات المثيرة للإعجاب، وتسترعي النظر، مرّ تاريخ العرب في فترة كانت الفوضى تقتلها، وخلق من ضعف العرب قوة، صمد لقوات الروم، وقاد جموع

العرب يذود عن دولته بحد سيفه، وهو في هذا كله عن العرب والإسلام).

أما الشيخ المظفّر أحد مفكري الشيعة الكبار فيقول عن دور سيف الدولة في انتشار مذهب التشيع ما نصه: (ارتفع شأن التشيع في سوريا أيام سيف الدولة، واستنشق أهله الهواء الطلق بعد أن حبسه عنهم أرباب السلطات المتعاقبة، فكانتا سوريا أيام الحمدانيين مكتضّة بالشيعة وإذا دخلت المسجد الأموي الرفيع بناية، والمشيد عمارة، وتوسّطته واقفا تحت قبته فارفع رأسك لتنظر اسم علي والحسن والحسين في باطن القبة فأين اسم معاوية ويزيد وملوك آل مروان الذين رفعوا بناء ذلك المسجد).

هذا ما قاله بعض من الكتّاب العرب عن الأعمال المجيدة التي قدمها الأمير سيف الدولة الحمداني للأمة الإسلامية ذات التاريخ المشرف والحافل بالمآثر والقيم السامية.

أما ما قاله المؤرخون الأجانب عن أعمال الأمراء الحمدانيين، فكان كثيرا وقد اخترنا بعض منها، يقول المؤرّخ: (بروكلمن) في كتابه ذائع الصيت (تاريخ الشعوب الإسلامية) ما نصه: (ولئن كان سيف الدولة مدين بما تمَّ له من شهرة عريضة لنضاله الموفّق ضدّ الروم في المجلد الأول فليس من شك في أنه مدين بذلك في المجلد الثاني لعطفه على الفنون والعلوم ورعايته لها).

أما العالم الفرنسي المسلم (جارودي) فيقول: عن التاريخ المجيد للدولة الحمدانية في لقاء صحفي أجراه أحد الكتّاب المصريين في الثمانينات من القرن الماضي ما نصه: (يحقّ لجميع المسلمين أن يفخروا بتلك الإنجازات والانتصارات التي قام بها أمراء هذه الدولة الإسلامية الرائدة التي ساهمت مساهمة كبيرة في إعلاء مجد العرب والمسلمين من خلال الانتصارات العسكرية الباهرة التي حققها فرسان هذه الدولة على أعداء الإسلام الروم الذين كانوا يتحينون الفرص للقضاء على هذه الدولة المسلمة.

هذا غيض من فيض مما قيل عن التاريخ المشرق للدولة الحمدانية على لسان العديد من المؤرخين العرب والأجانب .

إن الأعمال الجليلة التي قام بها بنو حمدان من أجل نشر مذهب التشيّع لتستحقّ منا ومن جميع محبي آل البيت عليهم السلام الثناء الجميل على تلك المساعي الخيرة التي بذلوها من أجل انتشار مذهب آل البيت في مناطق كانت مرتعا لأفكار خصوم آل بيت محمد صلى الله عليه وآله وخاصّة بني أمية وبني العباس الذين حاولوا القضاء على التشيّع من خلال الأعمال التعسّفية والبربرية التي قاموا بها ضد أصحاب الأئمة الأطهار ومحبّي آل البيت عليهم السلام إلا أن الله عزّ وجل أخزاهم ورد كيدهم إلى نحورهم، وها هم الشيعة منتشرون في العشرات من دول العالم والذين يشكلون حوالي ثلاثمائة مليون نسمة بعد أن حاول الطغاة إبادتهم، والقضاء عليهم، فهنيئا لرجالنا العظام الذين خدموا هذا

المذهب الجليل الذي حفظه الله بحفظه وأنعم عليه ببركاتـه، وأخيـرا نقول حفظ الله الساهرين على رعاية هذا المـذهب الرائـد وأطـال الله بعمرهم إنه سميع مجيب.

مراجع البحث:

١_ معالم حلب الأثرية_ عبد الله الحجار. ٢_ نهر الذهب فـي تـاريخ حلب_ الشيخ كامل الغزي. ٣_ آثـار آل محمـد فـي حلـب_ الـشيخ إبراهيم نصر الله. ٤_ تاريخ الشيعة_ للشيخ المظفر. ٥_ سيف الدولة وعصر الحمدانيين_ الدكتور عبد الرحمن الكيالي. ٦_ فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: ٧٥/ مصطفى الشكعة. ٧_ خطط الـشام _ محمـد علي كرد_ ج١: ٢١٨. ٨_ الأعلاق الخطيرة _ لابن شداد_ ج١: ١٤٨. ٩_ أضواء وآراء ج٢: ٦٢/ للدكتور عبد الـرحمن الكيـالي. ١٠_ دول الشيعة _ محمد جواد مغنية : ٧٢_ ٨١. ١١_ أبناء الحـسين _ سـعيد زميزم_: ٦٧. ١٢_ تاريخ الـشعوب الإسـلامية _ لبـروكلمن ج٢: ٩١. ١٣_ الكامل في التـاريخ ح١: ١٦٤. ١٤_ التـاريخ الإسـلام الـسياسي والـديني والثقـافي / للـدكتور أحمـد حـسن ح٣: ١١٥. ١٥_ محنـة الأكثرية في العراق: ٣٣. ١٦_ ثورات الشيعة: ٣٢١_ ٣٢٥. ١٧_ يتيمة الـدهر_ للثعـالبي ج١: ٢١. ١٨_ ثـورات الـشيعة: ٣٢١_ ٣٢٥. ١٩_ أخبار الراضي والمتقي بالله: ٢٢٦. ٢٠_ أعيان الشيعة ج٢٢: ١٠٠. ٢١_ الوفيات ج١: ٢٦٤.

الدولة الفاطمية
في مصر

الدولة الفاطمية:

هذه الدولة العملاقة هي إحدى دول الشيعة الكبرى التي أسست في بلاد المغرب العربي أولا ثم امتدّ نفوذها إلى معظم الأقاليم الإسلامية، وقد اتّخذت فيما بعد القاهرة عاصمة لها.

يعتبر الداعية أبو عبد الله الشيعي المؤسس الحقيقي لهذه الدولة والذي هو أحد رجال الشيعة الكبار في العهد العباسي وقد كان من رؤساء المذهب الجعفري الذي أسسه الإمام جعفر الصادق عليه السلام إبّان العهد العباسي إلا أن أبا عبد الله سرعان ما تحول إلى فرقة الإسماعيلية وهي إحدى الفرق الشيعية الكبيرة التي تؤمن بأن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام هو الذي خلف أبوه بالإمامة.

وبناء على هذا الأمر يقول الإسماعيليون بأن إسماعيل هو الإمام المفترض الطاعة وأن إسماعيل قد نصّ على ولده محمد وأن هذا قد أوصى إلى نجله (جعفر) وأن جعفر قد أوصى إلى نجله (محمد) الملقب بالحسين وأن الحسين أوصى إلى عبد الله الملقب بالمهدي والذي أصبح فيما بعد أول خلفاء الفاطميين.

بذل أبو عبد الله الشيعي جهودا حثيثة من أجل ترويج أفكار الإسماعيلية والتي لاقت انتشارا واسعا في بلاد المغرب حيث انضمت معظم قبائل بلاد المغرب العربي إلى الداعية الشيعي الشيء الذي جعله أن يكون مسيطرا على مناطق واسعة من بلاد المغرب الغربي.

قاد عبد الله الشيعي أعوانه وقام بالهجوم على قوات ابن الأغلب، وبعد معارك ضارية تمكّنت قوات الشيعة من انتزاع حكم ابن الأغلب ومن ثم سيطرة عبد الله الشيعي على زمام الأمور.

ما أن استلم الشيعي الأمر حتى أعلن عن تأسيس دولته التي عرفت بالدولة الفاطمية، وقام عبد الله الشيعي بتسليم الأمر إلى عبد المهدي الذي أصبح خليفة للدولة الفاطمية.

لم يمض وقت طويل على تأسيس هذه الدولة حتى ثار عليها أعوان بني العباس، وفي مقدمتهم أتباع دولة الأغالبة الذين كانوا يدينون بالولاء إلى بني العباس.

تصدّى المهدي لهؤلاء الانقلابيين وبعد معارك شرسة تمكّن من القضاء عليهم وإيقاع الهزيمة بهم.

ما أن انتهى المهدي من القضاء على هؤلاء حتى قام بعض من أعوان الأمويين الذين كانوا قد تمكّنوا من تأسيس دولتهم الثانية في الأندلس بمحاولة للقضاء على هذه الدولة الشيعية فتصدّى لهم المهدي الذي قاد قواته واشتبك مع هؤلاء وتمكّن من القضاء عليهم، بعد هذه الانتصارات التي حققتها القوات الشيعية قام وللأسف الشديد بعض من أعوان المهدي بتحريضه للقيام بحملة عسكرية للقضاء على دولة الأدارسة بالرغم من كونها أحد دول الشيعة، فما كان من المهدي إلا أن يجهزّ حملة عسكرية كبيرة ومن ثم محاربة قوات الأدارسة، وبعد معارك عديدة تمكّن المهدي من القضاء على هذه الدولة التي

كانت مثلا أعلى في تطبيق الشريعة الإسلامية وإحياء مجد أمتنا الإسلامية.

مهما يكن من أمر فإن المهدي تمكّن من السيطرة على جميع المناطق المجاورة لدولته.

بعد استتباب الأمور قرّر المهدي إنشاء مدينة حديثة حتى تكون عاصمة لدولته التي بدأت بالتوسّع فقام بإنشاء مدينة (المهدية) وعليه جلب العشرات من البنائين والمعماريين للإشراف على بناء المساجد والمدارس والقصور وشق الطرق الحديثة، وبناء الأسواق ذات المواصفات الجميلة وغيرها من الأمور.

لم يمض وقت طويل على العمل حتّى أصبحت مدينة المهدية من أجمل مدن العالم الإسلامي.

بعد الانتهاء من بناية هذه المعالم انتقل المهدي مع حاشيته إلى عاصمته الجديدة، وما أن انتقل إليها حتى توجّه الآلاف من الناس للسكن في هذه المدينة، وهكذا بدأت المدينة بالتوسّع والتّطور حتّى أصبحت مكتضة بالناس.

بعد انتقال المهدي إلى هذه المدينة قرر إنشاء مدينة أخرى هي: (مدينة زويلة) ثمّ أمر بعد ذلك بإنشاء الأسواق الحديثة والمعاهد الدينية في هذه المدينة، عند إكمال المدارس الدينية في هذه المدينة أمر بتدريس مبادئ الفقه الشيعي.

استمرّ المهديّ بإقامة المشاريع العمرانية والمعاهد الدينية والأسواق التجارية وشقّ الأنهر وتوزيع الأراضي الزراعية على الفلاحين على الفقراء وتقديم المنح المالية وغيرها من الأمور التي تساهم في ازدهار الوضع الاقتصادي حتى وافاه الأجل عام ٣٢٢ هـ.

بعد وفاته عمّ الحزن أرجاء الدولة الفاطمية حيث أقيمت مجالس الحزن عليه ثم توجّهت جموع غفيرة من أبناء البلاد إلى العاصمة للاشتراك في مراسيم التشيع كما عطّلت السواق والمحلات التجارية واستمرت هذه الحالة عدّة أيام إلى أن تمّ دفن المهديّ.

بعد الانتهاء من مراسيم الدفن جرى مبايعة ولده أبو القاسم الملقّب بـ(القائم بأمر الله).

ما أن تولّى القائم بالله الخلافة حتى اندلعت اضطرابات عديدة في مختلف المناطق التابعة للدول الفاطمية بتحريض من عبد الرحمن الناصر أحد الخلفاء الأمويين في الأندلس إلا أن القوات الشيعية تصدّت لهؤلاء بحزم وتمكّنت من القضاء على هذه الاضطرابات.

بعد القضاء على حوادث الشّغب هذه قام أحد زعماء الخوارج ويدعى (أبا يزيد) بإعلان الثورة ضدّ الدولة، وقد نجح في السيطرة على العديد من المناطق التي كانت خاضعة لسلطة الدولة الفاطمية.

بعد حدوث هذه التطورات استعدّ الخليفة القائم لمقاتلة قوات الخوارج التي كانت تتمتّع بروح عالية وشجاعة فائقة مما جعلها تخوض معارك ضارية مع القوّات الشيعية التي كانت منهمكة بسبب

الجهود التي بذلتها لتوّها للقضاء على الاضطرابات التي قام بها عملاء الأمويين كما ذكرنا سابقًا.

بعد معارك عنيفة وقعت بين الجانبين تمكنت قوّات الخـوارج مـن اختراق صفوف القوات الشيعية مرات عديدة إلا أن بسالة هذه القوات تمكّنت في النهاية من إلحاق الهزيمة بقوّات الخوارج بعد أن كبّـدتها خسائر فادحة، وقد أسفرت هذه المعارك عن استشهاد أعداد ضـخمة من القوات الشيعية.

بعد انتهاء هذه المعارك والسيطرة على زمـام الأمـور عـاد الخليفـة القائم بالله إلى الاهتمام بالمشاريع العمرانية فجرى شـقّ العديـد مـن الأنهر وفتح الطرق الجديدة وبناء المـساكن للفقـراء وتقويـة الجـيش وتسليحه، وغيرها من القضايا التي تـصبّ فـي خدمـة الدولـة وأبنـاء شعبها.

واصل الخليفة القائم بالله مسيرته هذه حتى وفاتـه عـام ٣٣٣ وبعـد وفاته تولّى الخلافة ولده إسماعيل الملقّب بـ(المنصور) .

اتّصف المنصور بالشجاعة وحسن التدبير فعمل على تقوية جيوشه التي حثّها على مطاردة فلول الخوارج الذين أثـاروا المتاعـب للدولـة الفاطمية أخذت تتبع الخوارج أينما وجدوا وتمكّنت من القضاء على المتمرّدين الخوارج بعد أن ظفرت بزعيمهم (أبا زيـد) الـذي تـوفي متأثرًا بجراحه.

شرع المنصور بالعمل على انتعاش البلاد وإعادتها إلى ما كانت عليه، كما قام بإنشاء أسطولا حربيًا كبيرًا لحماية حدود بلاده البحرية من الأعداء وخاصّة الأمويين الذين بذلوا الكثير من أجل القضاء على هذه الدولة الشيعية إضافة إلى العباسيين الذين أعدّوا المؤامرة تلو والمؤامرة للقضاء على الدولة الفاطمية من خلال إثارة الفتن الطائفية البغيضة.

بعد هذه الإنجازات الباهرة التي قام بها المنصور قرّر تأسيس مدينة جديدة أطلق عليها اسم: (المنصورية) وقد اتّخذها عاصمة له بسبب الازدحام والكثافة السكانية التي أخذت تعاني منها عاصمة الدولة (المهدية) التي أنشأها عبد الله المهدي.

بعد الانتهاء من بناء العاصمة المنصورية انتقل إليها الخليفة المنصور، وبعد انتقاله أشرف بنفسه على تأثيث دوائر الدولة ومعسكرات الجيش والمدارس الدينية، كما قام باستدعاء العديد من رجال الفقه الشيعي للتدريس في المدارس الدينية التي أمر بإنشائها، كما أنه احتضن الشعراء والأدباء الذين أخذوا بالتوافد على العاصمة الجديدة، وبهذا أصبحت هذه العاصمة عاصمة نموذجية تنعم بالعلم والازدهار والأمان.

لم تمض مدّة طويلة عن انتقال المنصور إلى عاصمته الجديدة حتى أُعلن عن وفاته، وكان ذلك علم ٣٤١ هـ.

بعد وفاته آلت الخلافة إلى ولده (المعزّ لدين الله) الذي كان مولعًا بالعلوم والأدب وحسن الإدارة مما جعله أن يحظى باحترام جميع أبناء دولته.

بعد توليه المسؤولية فكّر المعز بالله في إعداد العدّة لفتح مضر وإخضاعها لسلطته وعليه قام باستدعاء قادته العسكريين وكبار رجال الدولة والتباحث معهم حول هذا الأمر الهام، وبعد مباحثات عديدة اتفقوا على إعداد العدّة لفتح مصر.

كان أوّل عمل قاموا به هو إعداد الجيش وتزويده بالسلاح والمال والرجال ليكون قادرا ومؤهّلاً على القيام بهذه المهمّة الصعبة.

في هذه الأثناء قرّر المعز بالله إرسال عدد من دعاته إلى مصر كي يمهّدوا السبيل لفتح هذه البلاد.

نجح هؤلاء الدعاة في مسعاهم حيث تمكّنوا من استقطاب مجاميع كبيرة من أبناء الشعب المصري بسبب وجود جذور للتشيع في هذا البلد والتي كانت منذ أن كانت مصر خاضعة لحكم الإمام علي عليه السلام حيث مال الكثير من أبناء مصر إلى مذهب التشيع خلال فترة حكم الإمام عليه السلام.

لمّا أيقن المعزّ بالله بقدرة جيوشه على القيام بفتح مصر أوكل هذه المهمة إلى أحد قادته وهو: (جوهر الصقلي) وكان هذا قائدا مخضرمًا ومخلصًا للخليفة الفاطمي.

قام الصقلي بقيادة القوات الشيعية والتوجّه إلى مصر وكان ذلك عام ٣٥٨ هجرية، وبعد مسيرة شاقّة وصلت القوّات إلى منطقة (برقة) التي قام حاكمها بتقديم الطاعة لقوات الثوار.

استراحت القوات بعض الوقت في مدينة برقة ثمّ توجّهت منها نحو مدينة (الإسكندرية) فدخلتها دون مقاومة.

في هذه الأثناء كان نفر من أعوان الحاكم المصري السابق (كافور) الإخشيدي) قد أعلنوا الثورة ضدّ القوات الشيعية، فما كان من هذه القوات إلا التصدّي لهؤلاء فدارت معارك حاسمة تمكّنت القوات الشيعية من تحقيق النصر فيها.

بعد القضاء على هذا التمرّد قامت القوّات الشيعية ببسط سيطرتها على جميع الأراضي المصرية، وبهذا أصبحت الدولة الفاطمية تمتدّ من المحيط الأطلسي غربًا إلى البحر الأحمر شرقًا، وعليه أصبحت منافسًا قويًا للدولة العباسية التي بدأ القلق على حكامها واضحا بسبب توسّع نفوذ هذه الدولة، بعد فتح مصر من قبل الفاطميين أمر الخليفة الفاطمي المعزّ بالله قائده جوهر الصقلي بإنشاء اكبر جامعة إسلامية لتدريس الفقه الشيعي، وقد توّج هذا الصّرح الكبير والذي أطلق عليه بـ(الجامع الأزهر) الذي ظلّ شامخًا وإلى يومنا هذا.

جلب الخليفة المعزّ بالله العديد من كبار رجال الدين الشيعة للتدريس في هذه الجامعة الإسلامية الخالدة.

بعد إكمال إنشاء هذه الجامعة وغيرها من الأماكن المطلوب إنشائها لتكون مقراً لأركان الدولة أبرق القائد الصقلي إلى الخليفة المعزّ بالله بالقدوم إلى مصر حتى تكون عاصمة للدولة الفاطمية، بعد أن تأكّد الخليفة المعزّ بالله بأن هذه الأمور قد أنجزت توجّه نحو القاهرة، وبعد مسير عدّة أسابيع وصل إلى مدينة الإسكندرية وكان ذلك في بداية عام (٣٦٢).

بعد وصوله استُقبل من قبل كبار الشخصيات المصرية، بعدها انتقل إلى مدينة القاهرة العاصمة الجديدة للدولة.

بعد وصوله بعدّة أيام أصدر أمرا يمنع بموجبه لبس السواد لأنه شعار العباسيين، ثم أمر بأن تكون الخطبة كالتالي: (اللهمّ صلّ على محمد المصطفى، وعليّ المرتضى، وفاطمة البتول، والحسن والحسين سبطي الرسول ﷺ).

كما أصدر أمرًا بتعطيل الأعمال والمدارس في اليوم العاشر من محرّم الحرام ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وإقامة الولائم ومجالس العزاء احترامًا لهذه المناسبة الأليمة.

استقرّت الخلافة الفاطمية في مصر في ظلّ الحاكم الفاطمي المعزّ بالله الذي اتّصف بالحنكة السياسية وحسن التدبير، وامتدّ سلطانها من أواسط المغرب إلى شمال الشام.

في هذه الأثناء شنّ القرامطة وهم جماعة منحرفة عن الإسلام هجومًا واسعًا على الشام تمكّنوا من السيطرة عليها ثمّ زحفوا نحو

مصر وتمكّنوا من السيطرة على بعض المواقع الهامّة، إلا أنّ القوات الشيعية تصدّت لهم وتمكّنت بعد قتال مرير من هزيمة جيوش الضلالة من القرامطة، وكان ذلك في منتصف عام ٣٦٣ هـ .

هنا لابدّ من الإشارة بأن قسمًا من المؤرّخين ينسبون القرامطة إلى الشيعة فأي شيعة هؤلاء يا مؤرّخينا الأفاضل؟! ألم يقم القرامطة بنقل الحجر الأسود من مكّة المكرّمة إلى البحرين ؟ ألم يقم القرامطة بقتل قوافل الحجاج وسلب أمتعتهم ؟!.

أمن المعقول يقوم شخص مسلم بهذه الأعمال المسيئة والغادرة، اتّقوا الله يا من تريدون تفرقة المسلمين وزرع بذور الفتنة فيما بينهم.

نعود إلى صلب موضوعنا بعد تحقيق النصر على القرامطة أعلن عن وفاته الخليفة المعزّ بالله وكانت وفاته عام ٣٦٥ هـ

بعد وفاته أعلن عن مبايعة ولده (أبو منصور) الملقّب بـ(العزيز بالله).

بعد تولّي الخلافة العزيز بالله الخليفة عاد القرامطة مرة أخرى بالهجوم على بعض المناطق، وتمكّنوا من احتلال الشام ثم بدؤا بالزّحف نحو مصر فتوجّه إليهم الخليفة العزيز بالله، بعد أن قاد جيوشه بنفسه وقام بمقاتلة قوّات القرامطة قتالا عنيفًا تمكن من هزيمتهم شرّ هزيمة.

بعد هزيمة القرامطة قرّر الخليفة الفاطمي استعادة الشام ثم الزّحف نحو حلب للقضاء على الدولة الحمدانية والتي كانت أحد الدول

الشيعية أيضًا وكان من المؤسف أن يحدث هذا الأمر، فكان من المفروض أن تتوحّد صفوف الشيعة ضدّ خصومهم المتربّصين لهم من أمويين وعباسيين وخوارج، حتى يكونوا يدًا واحدة لكن بعض القادة العسكريين كانوا يريدون أن يحققوا الشهرة على حساب المذهب ومهما يكن من أمر فإن الفاطميين تمكّنوا من القضاء على الدولة الحمدانية وإخضاع بلاد الشام لسيطرتهم.

بعد إحكام السيطرة على معظم الأقاليم التابعة للدولة الفاطمية اتّجه الخليفة العزيز بالله نحو حركة الإنشاء والتعمير فأنشئت وجدّدت في أيامه منشآت عديدة تمثّلت بالكثير من القصور الفاخرة والجوامع الباهرة أمثال: جامع القرافة وجامع القاهرة إضافة إلى إنشاء العديد من القناطر في المناطق الزراعية كما أن الخليفة أمر بتجديد وتحديث الأسطول البحري، كما أمر أيضا بتخصيص رواتب لأبناء الجيش الشيعي الذين نالوا الشهادة في الحروب التي خاضوها ضدّ أعدائهم، وهكذا استمرّ في تقديم الخدمات الجليلة لأبناء شعبه، أما من المنجزات الكبيرة التي قام بها فكان اهتمامه الجدّي بنشر المذهب الشيعي وتعيين القضاة الشيعة الأكفّاء إضافة إلى تأسيس العشرات من المعاهد الدينية لتدريس الأحكام الإسلامية طبقًا للمذهب الإسماعيلي، كما أنه احتضن رجال الدين الشيعة وقدّم لهم أفضل الخدمات، أمّا من أعماله المجيدة الأخرى فإنه منح قروضًا لصغار الموظّفين

لتحسين ظروفهم المعيشية، إضافة إلى منحه الهبات لأبناء الشعب المحتاجين.

سعى العزيز بالله أن يجعل أبناء رعيته أن يعيشوا حياة هانئة وسعيدة مادام على قيد الحياة، وهو ما تمّ فعلاً حيث عمّ الرّخاء والاستقرار أركان الدولة الفاطمية الواسعة.

توفّى العزيز بالله عام (٣٨٦) هجرية، فخلفه ابنه أبو علي المنصور والملقّب بـ(الحاكم بأمر الله).

بويع الحاكم بأمر الله وله من العمر أحد عشر سنة فتولى الوصاية عليه مربيه وأستاذه (برجوان الخادم).

استمرّ برجوان بالعمل مع الخليفة إلى أن بلغ عمره خمسة عشر عاما حيث ثمّ قتل برجوان بظروف غامضة فتولى الخليفة السلطة بنفسه يساعده عدد من أبناء عمومته.

انتهج الخليفة الجديد سياسة مرنة مع الرعية أسوة بمن سبقوه من الخلفاء الفاطميين، وقد ساعدت سياسته هذه على إقرار الأمن والاستقرار والقضاء على الفوضى.

كان من أهمّ أعماله إنشاءه لدار الحكمة التي كان يعمل بها كثير من القرّاء والفقهاء والعلماء واللغويين، ثم ألحق بهذه الدار مكتبة ضخمة أسماها (دار العلم) ضمّت الآلاف من أمهات الكتب المعتبرة التي كانت مصدرا مهمّا للباحثين والرواد وطلبة العلم الذين كانوا

يتوافدون على العشرات من المعاهد والمدارس الدينية والعلمية التي أسسها الخلفاء الفاطميون منذ اتّخاذهم مدينة القاهرة عاصمة لدولتهم.

هذا من جانب أما من الجانب الآخر فإن الخليفة الحاكم بأمر الله تمكّن من إحكام سيطرته على شؤون البلاد سيطرة تامّة رغم حدوث بعض المشاكل التي كانت تحدث بين الحين والآخر.

تمتّع الحاكم بأمر الله باحترام أبناء شعبه بسبب تواضعه وقيامه بتفقّد شؤون رعيته ومناقشة وزرائه وأركان دولته في كل صغيرة وكبيرة.

استمرّ الخليفة الفاطمي فترة حكمه على هذا النهج القويم إلى أن توفّى سنة ٤٢٢ هـ.

جاء في الأخبار بأنه جرى اغتياله من قبل مجموعة من أركان سلطته كانوا لا يوافقون على سياسته التي كانت تتعارض مع تطلّعاتهم ورغباتهم، ومهما كان السبب فإنه توفّى في السنة المذكورة.

بعد الإعلان عن وفاته بويع للخلافة ولده (أبو هاشم) الملقّب بـ(الظاهر)، هنا لابدّ من الإشارة بأنّ طائفة الدروز وهي إحدى الفرق الإسماعيلية تقول: أن الحاكم بالله لم يقتل وإنما اختفى بأمر الباري عزّ وجلّ وأنه سيعود ليملأ الأرض عدلاً وأنه الإمام المنتظر عندهم.

نعود إلى موضوعنا تولّى الخليفة الظاهر الخلافة وله من العمر ستة عشر سنة فتولّت الوصاية عليه عمته (ستّ الملوك).

بعد بلوغه مبلغ الرجال تولى بنفسه قيادة الدولة وأدارها بأحسن صورة حيث كان رجلا ورعًا زاهدًا يحبُّ العلم والعلماء ويحترم جميع الملل والأديان التي كانت في بلاده، الأمر الذي جعل الرعية يكنون له احترما وتقديرًا كبيرين، كما أنه جعل جلّ اهتمامه تحسين الزراعة التي كان يعمل بها أغلب أبناء البلاد حيث كان يمنح المزارعين القروض لتطوير مزارعهم، إضافة إلى أنه كان متهما في برجال الدين وتشييد المعاهد الإسلامية، كما أنّه اهتمّ بتقوية الجيش وتسليحه.

بذل هذا الخليفة كل ما يمتلك من أجل ازدهار بلده وتحسين الظروف المعيشية لأبناء البلد والقضاء على البطالة، وهكذا سار بهذه السيرة الحسنة حتى وافته المنية عام ٤٢٧ هجرية.

بعد وفاته بويع بالخلافة ولده (أبو تميم) الذي كان يلقّب بـ(المستنصر) وكان عمره سبعة سنوات فأشرف على رعايته العديد من أبناء عمومته إلى أن بلغ سنّ الرّشد فتولّى المسؤولية، وظلّ يحكم البلاد زهاء ستين عاما، وقد حدثت في زمانه مجاعة كبيرة جعلت العديد من الأقاليم التابعة لسلطته تعلن التذمّر والانفصال بسبب انعدام الأمن وتفتت السلطة وحدوث صراعات بين الولاة وبعض رجال الدولة، وهكذا ضعفت الدولة يومًا بعد يوم دون أن يتمكّن الخليفة المستنصر من السيطرة على زمام الأمور وظل الوضع سيئًا حتى مماته سنة ٤٨٧ هجرية.

بعد إعلان وفاة الخليفة نودي بالخلافة إلى ولده أحمد الملقب بـ(المستعلي بالله) شهد عصر الخليفة المستعلي بالله حروب عديدة داخلية وخارجية أضعفت الدولة وهزّتها إضافة إلى حدوث نزاع بين الخليفة المستعلي بالله وأخيه نزار على السلطة، وقد استغل خصوم الدولة الفاطمية هذا النزاع، فقاموا بإثارة البلبلة بين أتباع الفريقين بغرض إضعاف سلطة الدولة وتمزيقها.

استغلّ الصليبيون ضعف الدولة الفاطمية، فقاموا بالإغارة على سواحل الشام وتمكّنوا من الاستيلاء على أنطاكية وتوابعها، وهذه المدينة أحد مدن إقليم الإسكندرية السوري الخاضع الآن إلى السيطرة التركية.

بعد سيطرة الصليبيين على أراضي هذا الإقليم أخذوا بالتوسّع فتمكّنوا من احتلال بيت المقدس في فلسطين والعديد من المناطق الفلسطينية.

في ظلّ هذه التطورات أمر الخليفة المستعلي بالله بإعداد جيش ضخم للتصدّي للصليبيين، وبعد إعداد هذه الجيش توجّه لمقاتلة القوات الصليبية، فدارت معارك ملحمية بين الفريقين استبسلت فيها القوات الفاطمية إلا أنّ النصر كان حليف القوات الصليبية بسبب كثرتها وقوّة تسليحها، وعليه سيطرت القوات الصليبية على فلسطين والمدن الساحلية ببلاد الشام.

في خضمّ هذه الأحداث أعلن عن وفاة الخليفة المستعلي فخلفه ولده الملقّب بـ(الآمر بالله) وكان هذا يبلغ من العمر خمسة سنين فأشرف عليه الوزير الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش.

قام الأفضل برعاية الخليفة الجديد حتى أن بلغ من العمر ثمانية عشر عاما فتولى السلطة بنفسه.

في أثناء توليته قتل الوزير الأفضل في ظروف غامضة ولم تعرف أسباب مقتله، بعد مقتل الوزير قام الخليفة بتعيين أحد أعوانه ويدعى (المأمون البطائي) رئيسًا للوزراء إلا أن هذا كان شديد القسوة مما جعل أبناء الشعب يتذمّرون منه، فما كان من الخليفة إلا أن يعزله ويأمر بقتله ومصادرة أمواله التي استولى عليها من الناس ومن بيت مال المسلمين.

في هذه الفترة كان الصليبيون مستمرون في احتلال المدن والمنطق الخاضعة للدولة الفاطمية، حيث تمكّنوا من احتلال مدينة طرابلس اللبنانية، إضافة إلى القيام بأعمال السلب والنهب لرعايا الدولة الفاطمية.

بعد تمكّن القوات الصليبية من احتلال بقية المدن اللبنانية، وعليه قامت باحتلال كل من مدينة صيدا وصور وبيروت.

بعد وصول خبر قيام القوات الصليبية باحتلال هذه المناطق إلى مسامع رعايا الدولة الفاطمية تذمّر الناس كثيرًا وعليه ساءت الأوضاع وانفلت الأمن في جميع أنحاء الدولة.

بعد حدوث هذه التطورات التي تدل على ضعف الخليفة قرّر نفر من أركان السلطة القيام بمحاولة باغتياله وعليه اتّفق تسعة من رجال الدولة القيام بهذه العملية وتمّ تنفيذها في الموعد الذي قرروه.

بعد مقتل الخليفة تولّى ابن عمّه المدعو (الحافظ لدين الله) المسؤولية إلا أنه لم يكن في حقيقة الأمر خليفة يذكر بسبب سيطرة أحد وزرائه على الأمور، وكان هذا الوزير يدعى (أبو علي بن الفضل)، وقد تمكّن هذا الوزير من الحدّ من صلاحيات الخليفة، بل أنه قرّر حجزه في قصره وكان لا يسمح لأي شخص بالدخول على هذا الخليفة الدمية إلا بأمر من الوزير أبي علي بن الفضل.

أثارت أعمال الوزير هذه حفيظة رجال الدولة ومؤيديهم فقرروا اغتيال الوزير المذكور للخلاص منه وهو ما تمّ حيث قام عدد من هؤلاء باغتيال الوزير.

لم تمض عدّة أيام على مقتل الوزير حتى أعلن عن وفاة الخليفة الذي كان يعاني من مرضٍ ألمّ به بسبب المعاملة القاسية التي اتّبعها معه الوزير.

بعد وفاة الخليفة الفائز تولّى الخلافة (العاضد لدين الله) وكان ابن أحد عشر سنة، لم تمض أيام قلائل على تولّي هذه الخليفة السلطة حتى قام صلاح الدين الأيوبي الذي ازداد نفوذه داخل الدولة الفاطمية مما جعله أن يتمكّن من السيطرة على معظم المناصب العليا في الدولة وعلى أثر سيطرته على مقاليد الأمور أعلن خلعه للخليفة

الفاطمي وكان ذلك عام ٥٦٧ هجرية، وبذلك سقطت الدولة الفاطمية على يد أحد وزرائها الذي طرحت الثقة المطلقة به إلا أنّ الحكم عقيم كما يقول المثل، وهكذا انتهى حكم الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي الذي تشيد ببطولاته الجريئة ضدّ الصليبيين الغزاة، وتستنكر أعماله البشعة ضدّ أبناء الشيعة في مصر الذين أجبرهم على تغيير مذهبهم بقوّة السلاح، لقد بلغت الحضارة في عهد الفاطميين الشيعة أقصى غاياتها، وهذا ما أكّد عليه العشرات من المستشرقين والكتاب العرب والأجانب على اختلاف معتقداتهم ومذاهبهم.

أذكر هنا عدد من الأقوال التي أشادت بالتأريخ الحافل للدولة الفاطمية، يقول المستشرق ـ (سيديو) في كتابه (تأريخ العرب العام) مانصّه: أخذ العرب يلقون أسطع الأنوار من القاهرة لا من بغداد، حيث ازدهرت التجارة والصناعة والزراعة والأدب والفنون والعلوم في عهد الفاطميين في مصر، كما ازدهرت في عهد بني العباس الأولين وكانت عاصمة الفاطميين تنافس من آسيا، وسلك ابن يونس المصري سبيل فلكي العراق، فكان له مرصده ، ولم يقصر الفاطميون في ما ينسى الناس في بغداد.

أما المستشرق (بروكلمان) فيقول في كتابه: (تاريخ الشعوب العربية) ما نصه: إن أثار الفاطميون العظيمة مثل جامع الحاكم والجامع

الأزهر الذي لا يزال مزدهراً إلى يومنا هذا كأعظم المؤسسات الرسمية في الإسلام.

أما السيد مير علي فيقول في كتابه: (مختصر تاريخ العرب) ما نصّه: (كان الفاطميون في أول عهدهم كالأبطال الأولين يشجعون العلم، ويكرمون العلماء، فشيدوا الكليات والمكاتب العامة ودار الحكمة وحملوا إليها مجموعات عظيمة من الكتب في سائر العلوم والفنون والآلات الرياضية، لتكون رهن البحث والمراجعة، وعينوا لها أشهر الأساتذة.

هذا قليل من كثير مما قيل وكتب ودوّن ونُشر عن عظمة الدولة الفاطمية الرائدة أحد دول الشيعة في التأريخ.

لقد ساهمت الدولة الفاطمية في نشر مبادئ الدين الإسلامي في العديد من المناطق التي كانت لا تدين بالإسلام كما أنها ساهمت في نشر الثقافة العربية من خلال اهتمامها باللغة العربية وبالشعر العربي إضافة إلى الاهتمام في نشر الأفكار الشيعية الهادفة، تلك الأفكار التي تريد للإسلام والمسلمين العزّ والمجد والسموّ والرفعة والعلوّ.

لقد سار خلفاء هذه الدولة الخالدة سيرة وضّاءة تستحقّ من جميع المسلمين أن يحنوا هاماتهم أجلالاً وإكراما لتلك الصفوة الخيرة التي رفعت شأن الأمّة العربية والأمّة الإسلامية والتي قدّمت خدمات جليلة لتراثنا العربي الإسلامي من خلال الاهتمام الواسع الذي قام به خلفاء ومسئولي هذه الدولة تجاه العلم والعلماء من خلال تشييد المئات من

معاهد العلم التي احتضنت الآلاف من طلبة العلم الذي توافدوا على الدراسة في هذه المعاهد والمدارس من شتّى أنحاء العالم الإسلامي، يقول المقريزي في ح٢: ٢٢٥ عما فعله صلاح الدين الأيوبي في كتب ومؤلفات الشيعة ما نصّه: (أمر صلاح الدين بحرق المكتبات الفاطمية وألقيت في العراء وسرقت عليها الرياح فصارت تلالاً ولا تزال تعرف حتّى اليوم بتلال).

وهكذا كانت الدولة الفاطمية دولة نموذجية جمعت جميع الشمائل والصفات التي انفرد بها عظماء أمتنا الإسلامية من كرم وجود وعطف ومروة وحكمة وبلاغة وشجاعة وصبر وعفو وغيرها من الفضائل التي اتّصفت بها أمتنا الإسلامية الخالدة التي شرفها الله على باقي الأمم وأكرمها برسوله العظيم محمد بن عبد الله ﷺ ووليه وصفيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

هذه لمحة سريعة عن الماضي المشرف للدولة الفاطمية ولرجالها العظام الذين حكموا بالعدل دون أن يسلبوا حقّ شعوبهم كما فعل أحكام العديد من الدول التي أسست عبر التاريخ والتي قام بعض من حكامها بأعمال يندى لها الجبين تجاه شعوبهم المقهورة بسبب رفض هؤلاء الحكام الطغاة الذين كان همهم الوحيد كيفية الحفاظ على السلطة دون النظر إلى ما كان يعانيه أبناء الأقاليم التي كانت تخضع لسلطتهم حيث عانى ما عانى هؤلاء المساكين من مظالم وسلب الحقوق وقطع الأرزاق وقطع الرؤوس وغيرها من الأعمال المشينة

التي قام بها الحكام الظلمة وولاتهم، ومن أراد الإطّلاع مفصّلا على تلك المجازر المقيتة فأمامه العشرات من الكتب التي تحدثت عنها، وسأذكرها رموزا من أولئك الإرهابيين الجزارين القتلة أمثال بسر بن أرطأ، الحجاج بن يوسف الثقفي، والمتوكّل العباسي، ومراد الرابع العثماني، وجزار عكا التركي، صدام حسين، غيرهم من القتلة المارقين الذي تلطّخت أيديهم القذرة بدماء المسلمين وخاصّة من المحبين لآل بيت محمد ﷺ الذين ما زالوا يتعرضون لأبشع أنواع الظلم والعذاب على أيدي أعداء الإسلام المحمدي الحنيف.

مصادر البحث:

١ـ الكامل في التاريخ ج١ـ حوادث سنة ٣٣٣ هـ حوادث سنة ٤٠٧ هـ،.

٢ـ النجوم الزاهرة ج٥: ١٧٠.

٣ـ الحاكم بأمر الله ـ لمحمد عنان : ٧٩ـ ١٠٢.

٤ـ تأريخ الشيعة ـ للشيخ المظفر.

٥ـ دول الشيعة في التاريخ: ٤٧ـ ٦٧.

٦ـ تاريخ الدولة الفاطمية/ للدكتور حسن إبراهيم.

٧ـ تأريخ العرب العام: ٢٤٤.

٨ـ تأريخ الشعوب العربية ج٢: ٢٤٤.

٩ـ مختصر تاريخ العرب : ٥١٠.

١٠ـ تأريخ الإسلام السياسي ج٢: ٢٤٤/ ج٣: ١٦٧.

١١ـ الخطط للمقريزي: ١١٠ـ ١١١.

١٢ـ الأزهر في ألف عام / لمحمد عبد المنعم خفاجة ج٨: ٥٨.

١٣ـ الشيعة والحاكمون : ١٩٠ـ ١٩٢.

١٤ـ أيقاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين ـ للمقريزي: ١٩٧.

١٥ـ مجلة المنبر الحسيني ـ العددان ٢١، ١٣، لسنة: ٢٠٠٣.

١٦ـ ثورات الشيعة: ٣٣٣ـ ٣٤٤.

١٧ـ دائرة المعارف الحسينية ج٣: ٤٠٠.

١٨ـ وفيات الأعيان : ج١ ٧٧.

١٩ـ تأريخ مصر ـ لابن ميسر: ٧٥.

٢٠ـ دائرة المعارف ـ محمد فريد وجدي ج٧.

٢١ـ دائرة المعارف البريطانية ج٨: ٦٠٣.

٢٢ـ تأريخ ابن خلدون ج٤: ٥٦.

٢٣. حلي القاهرة: ٤٩ـ ٧٥.

٢٤ـ مجلة المجتمع العلمي العراقي العدد: ٣ : ٤٠٥ـ ٤٢١.

٢٥ـ الأعلام ـ المجلد ٧: ٢٦٥

٢٦ـ المنتظم ج٧: ٨٢.

٢٧ـ هدية العارفين ج٢ : ٢٦٥.

٢٨ـ مصر في عهد الدولة الفاطمية ـ سرور محمد.

٢٩ـ الشيعة والحاكمون:

٣٠ـ ملوك العرب ج١ : ٢١٥.

دولة آل المسيَّـــــب في العراق

دولة آل المسيب:

آل المسيب حمولة عربية ترجع إلى عامر بن صعصعة، كان لها وزن ثقيل بين الأسر العربية التي كانت من الموالين والمؤيّدين للدولة الحمدانية التي تحدثنا عنها من قبل.

بعد ضعف الدولة الحمدانية تمكّنت هذه الأسرة والتي كانت تدعى بـ(بني عقيل) أيضًا، إلا أن آل المسيب طغى على أسماء أمراء هذه الدولة نسبة إلى جدّهم الذي كان يلقّب بالمسيب من السيطرة على المناطق التي كانت تابعة للدولة الحمدانية حيث قام زعيم هذه الأسرة والذي كان أحد كبار رجال الشيعة في الموصل من السيطرة على مدينة الموصل وتوابعها، ومن ثمّ الإعلان عن قيام هذه الدولة الشيعية، وبذلك أصبح هذا الزعيم الكبير والذي كان يدعى (أبو الذواد محمد بن المسيب) أوّل أمير لهذه الدولة التي تمكّنت فيها بعد أن السيطرة على حلب والعديد من المدن والمناطق السورية والتركية، إضافة إلى العديد من المدن العراقية، وفي مقدمتها مدينة الموصل ، وكان ذلك في سنة ٣٨٤ هجرية.

بعد الإعلان عن هذه الدولة الشيعية أعلنت القبائل الشيعية التي كانت تتواجد في مناطق الجزيرة تأييدها لهذه الدولة والدفاع عنها ضدّ خصوم الشيعة بالأخصّ الروم والترك .

بعد تولّي أمور هذه الدولة من قبل الأمير أبي الذواد اتّجه هذا الأمير إلى تقوية جيشه للذّود عن أمن بلاده، كما قام بإنشاء العديد

من المدارس الدينية التي اهتمّت بالفقه الشيعي، كما قام بإنشاء القناطر وشقّ الأنهر وبناء الأسواق ودعم المزارعين الذين كانوا يشكّلون نسبة عالية من سكّان البلاد.

لم يمض وقت طويل على تولّي أبي خالد شؤون دولته حتى أعلن عن وفاته وكان ذلك في عام ٣٨٦ هجرية.

بعد وفاته أعلن عن مبايعة أخيه الأمير علي الذي لم يدم إلا قليلاً بسبب حدوث خلاف بينه وبين أخيه المقلّد بن المسيب، وعلى أثر هذا الخلاف تمكّن المقلّد من إقصاء أخيه الأمير علي من السلطة، ومن ثمّ توليه مسؤولية البلاد.

بعد تولّي الأمير المقلّد السلطة قرّر توسيع نفوذه وعليه قام بقيادة أتباعه ومن ثم احتلال العديد من الأراضي التي لم تكن تابعة له وكان من هذه المناطق منطقة (دقوقا) التي كان أغلب سكانها من المسيحيين والذين كانوا أصلاً يدفعون الجزية للأمير أبي الذواد.

استمرّ الأمير المقلّد في بسط سيطرته على مناطق شاسعة من الأراضي السورية والتركية إلى أن قام نفر من الرجال الذين كانوا ناقمين عليه من اغتياله.

بعد اغتياله اجتمع أمراء ورجال آل المسيب لاختيار خلفًا له فوقع الاختيار على ابنة المدعو قراوش.

ما أن تولى الأمير قراوش السلطة حتى قاد قواته وتوجّه نحو مدينة المدائن العراقية لإخضاعها لسلطته وقد نجح في ذلك حيث تمكّن

من احتلال هذه المدينة بعد أن دحر القوات التي كانت تسيطر على هذه المدينة.

بعد احتلاله لمدينة المدائن قرّر التوجّه نحو مدينة الكوفة معقل الشيعة فتمكّن من احتلالها بعد أن دارت معارك عنيفة بين قواته والقوات الموالية للعباسيين الذين كانوا مسيطرين على العراق إلا أنّ أمرهم كان بيد أمراء الدولة البويهية التي كانت تحكم العراق وإيران في تلك الفترة بالرغم من وجود السلطة العباسية التي كانت في أواخر ضعفها.

بعد سيطرة الأمير قوارش على مدينة الكوفة قرّر العودة إلى الموصل التي كانت قد تعرّضت للهجوم من قبل عدد من القبائل التركية التي كانت تدعى بـ(الغزّ) والتي تمكّنت من احتلال مدينة الموصل.

وصل الأمير قوارش على رأس قواته ضواحي مدينة الموصل حتى قامت بشنّ هجوم عنيف على القبائل التركية، فدار قتال شرس بين الطرفين أسفر في النهاية من إلحاق هزيمة مُرّة بالقبائل التركية التي ولّت هاربة.

دخلت القوات الشيعية مدينة الموصل التي أصابها الخراب على أيدي قبائل الغزّ حيث قامت هذه القبائل عند احتلالها لمدينة الموصل بتدمير المزارع والأسواق وهدم المدارس وقتل الآلاف من أبناء الموصل وخاصّة الشيعة منهم.

قام الأمير قراوش بإعادة إعمار مدينة الموصل وتعويض العوائل التي تضررت، وإعادة بناء المدارس والقناطر التي هدمت من قبل القبائل التركية.

بعد استتباب الأمن وإعادة إعمار الموصل حدث خلاف بين الأمير قوارش وبين أخيه أبي كامل الذي كان واليًا على مديني الأنبار وتكريت العراقيتين وعلى أثر هذا الخلاف قام الأمير قراوش بخلع أخيه من مناصبه، إلا أنّ أعوان أخيه تمكّنوا من إفشال خطته بل أنهم قاموا بتدبير مؤامرة بخلعه ومن ثم اعتقاله.

على أثر اعتقال الأمير قوارش أودع أحد السجون التي توفي بها. وكان تاريخ وفاته في عام ٤٤٤ هجرية.

بعد وفاته تولّى السلطة الأمير قريش بن بدران وهو أحد رجال آل المسيب الكبار الذي حظي باحترام جميع القبائل الشيعية التي كانت مؤيِّدة لدولة آل المسيب.

بعد تولي الأمير قريش بن بدران السلطة قام بإعادة جميع المناطق التي كانت تابعة لدولته والتي ِسيطر عليها بعض من أعوانهم.

على إثر الجهود المكثّفة التي قام بها الأمير قريش بن بدران عاد الأمن والأمان إلى ربوع دولته فنعم أهلها بالأمن والأمان، ثمّ اتّجه فيما بعد إلى الاهتمام بالأمور الخدمية للبلاد حيث أنشأ العديد من المعاهد الدينية كما أشرف بنفسه على تشييد مساجد فخمة وفي جميع أنحاء

دولته، كما قام بإنشاء صندوق خيري وخصص له المبالغ المالية اللازمة لمساعدة الفقراء والمحتاجين من أبناء البلد.

استمرّ الأمير قريش في أعماله هذه طيلة فترة حكمه إلى أعلن عن وفاته سنة ٤٥٣ هجرية، وبوفاته خسرت دولة آل المسيب أحد أبرز أمرائها الذين قدموا خدمات جليلة لأبناء شعبه.

بعد وفاته تولّى مسؤولية الدولة شرف الدولة مسلم بن قريش الذي قرّر توسيع ملكه حيث قام بالاستيلاء على مدينة حلب السورية، وبعد استيلائه على هذه المدينة توجّه نحو مدينة دمشق لإخضاعها لسلطته إلا أنه لم يتمكّن من ذلك بسبب قوّة دفاعاتها.

عاد إلى بلاده فيما بعد وتفرّغ لتطوير وتعمير المرافق الحيوية التي أمر الأمير الراحل قريش بن بدران بتنفيذها وقد اشرف الأمير مسلم بنفسه في متابعة تنفيذ هذه الأمور إلا أنّ أهمّ شيء اهتمّ به كان هو تطوير الزراعة حيث قام بتوزيع الأراضي على الفلاحين دون مقابل، كما قام بكري الأنهر وإنشاء السدود التي ساعدت على تطوّر الزراعة وانتعاش الوضع الاقتصادي للبلاد.

بعد استقرار البلاد نشبت بعض المشاكل التي افتعلها الروم الذين كانوا يسعون وباستمرار إلى إثارة القلاقل والمشاكل بوجه هذه الدولة الشيعية التي أزعجتهم كثيرًا وخاصّة بعد تولّي الأمير شرف الدولة السلطة لأنه كان زعيمًا قويًّا تمكّن من الاستيلاء على أراضي شاسعة

كانت خاضعة للروم والتي كانت يتواجد فيها عدد كبير من القبائل العربية التي كانت تحمل الأفكار الشيعية.

على أثر التحرّشات التي قام بها الروم نشبت معارك عنيفة بين قوّات الأمير شرف الدولة وبين قوّات الروم أسفرت عن استشهاد شرف الدولة الذي كان قد قاد المعارك بنفسه .

بعد استشهاد شرف الدولة عمّ الحزن جميع أرجاء الدولة، وذلك بسبب الحب والتقدير الذي يكنّه أبناء الشعب لأميرهم الشهيد.

بعد انتهاء مراسيم التشيع جرى مبايعة أخيه إبراهيم الذي سار على نفس الاتجاه الذي سلكه شرف الدولة حيث عمّ في زمنه الأمن والأمان وشهدت البلاد وضع اقتصادي مزدهر بسبب الجهد الذي بذله من قبل الأمير شرف الدولة والذي قام بإتمامه الأمير إبراهيم.

لم يمضي وقت طويل على تولّي مسؤولية الدولة الأمير إبراهيم حتى قام باستدعائه السلطان السلجوقي ملك شاه الذي تظاهر بالودّ والاحترام له، إلا أنه ما أن وصل الأمير إبراهيم إلى قصر السلطان ملك شاه حتى أمر باعتقاله ومن ثمّ زجّه بالسجن، بعد اعتقاله تولّى بعض مساعديه إدارة شؤون الدولة لحين معرفة مصيره.

بعد اعتقاله بعدّة أسابيع أعلن عن وفاة السلطان ملك شاه فتمّ إطلاق سراح الأمير إبراهيم الذي استقبل استقبالاً حارًّا من قبل أبناء دولته عند عودته إلى عاصمة بلاده.

بعد فترة قصيرة من عودته ثارت عليه مجموعة من القبائل التركية المدعومة من قبل خصوم الشيعة فتصدّى لها ببسالة حيث قاد قواته الباسلة التي اشتبكت في معارك ضارية مع القبائل التركية التي كانت تفوق القوات الشيعية مما أدّى حدوث خسائر جسيمة في صفوف القوّات الشيعية التي استمرّت في مقاومة القبائل التركية وعلى أثر هذه المعارك العنيفة استشهد الأمير إبراهيم بعد أن أصيب بإصابات بليغة جرّاء تصديه للقبائل المتمرّدة.

بعد مقتله أعلن عن مبايعة ابن أخيه الأمير علي بن مسلم وما أن تربّع على كرسيّ الحكم حتى واجهه العديد من الاضطرابات والمشاكل التي أثارها خصومه الأيوبيون والروم والسلاجقة، وقد بذل هؤلاء جهودًا كبيرة من أجل إسقاط هذه الدولة الشيعية لكونها تتصف بالمذهب الجعفري، واجهه الأمير علي هذه الاضطرابات بحزم إلا أنه لم يتمكّن من القضاء عليها لأن الخصوم قد وحدوا صفوفهم من أجل الوقوف بوجه دولته حيث فتحوا جبهات عديدة لإضعاف السلطة وأخيرًا تمكّن الخصوم من القضاء على دولة آل المسيب التي تمكّن أمراءها من بسط سيطرتهم على أجزاء واسعة من الأراضي السورية والتركية والعراقية، وهكذا سقطت هذه الدولة بعد صراع طويل مع خصومها الذي كان آخره قيام القبائل التركية بهجمات عديدة على عاصمة دولة آل المسيب مدينة الموصل الحدباء التي كان معظم سكانها من الشيعة الإمامية الذين تحملوا أقصى أنواع العذاب

على أيدي الأيوبيين الذين كانوا قد احتلوا بلاد الشام، وقد فعلوا ما فعلوا من أعمال إجرامية ضدّ شيعة الشام وبالأخصّ شيعة الموصل.

هذا وقد اكمل السلطان العثماني سليم الثاني ماكان قد قام به الأيوبيين من مجازر ضدّ أبناء الشيعة الأبطال حيث أصدر هذا السلطان الجائر أوامر إلى جيشه بإبادة قرى الشيعة وحرق مزارعهم ثم واصل تنفيذ هذه الأعمال ضدّ أبناء الموصل الشيعة السلطان العثماني مراد الرابع حيث ابتدع هذا السلطان بدعة جديدة في قتل أبناء الشيعة وإرهابهم هي أنه كان يقوم برمي أبناء الشيعة في الآبار التي كانت منتشرة في الموصل وهم أحياء، هكذا عانى أبناء الشيعة من أبناء دولة آل المسيب إلا أن الله عزّ وجلّ أخزى خصوم الشيعة هؤلاء حيث يوجد وإلى يومنا هذا جمع غفير من أبناء مدينة الموصل وهم من أتباع المذهب الجعفري الذي بذل خصومه جهوداً مضنية من أجل القضاء عليه، وها هم موالي وأتباع آل البيت عليهم السلام منتشرون في جميع أنحاء العالم وهم يشكّلون نسبة عالية من المسلمين ولهم مساجدهم وحسينياتهم التي يقيمون بها طقوسهم ومراسيمهم وخاصّة مراسيم العزاء الحسينية التي تعتبر من أهمّ الأعمال التي يكنّون لها كل الاحترام والاهتمام فرحم الله شهداء الشيعة الأبطال أينما كانوا ورحم الله رجالهم ومراجعهم وعلماءهم أينما وجدوا .

مصادر البحث:

١_ تأريخ ابن خلدون ج٤: ٢٥٤، ٢٦٩.

٢_ تأريخ الشيعة _ السياسي_ الثقافي_ الديني: ٢٠٣_ ٢٥٦.

٣_ تأريخ أبي الفداء ج٣.

٤_ الكامل في التأريخ ج٩: ٥٧_ ٢٠٣.

٥_ محنة الأكثرية في العراق: ٢٤.

٦_ أعيان الشيعة : ١٠٦.

٧_ الشيعة في التأريخ: ١١٠.

٨_ الاعلام _ مجلد ٥: ١٩٤، مجلد ١: ٥٨، مجلد ٤: ٢٤٢.

٩_ فوات الوفيات ج٢: ١٣١.

١٠_ تواريخ آل سلجوق: ٢٤.

١١_ تاريخ الموصل ج١: ١٥٠.

١٢_ النجوم الزاهرة ج٥: ١١٩.

١٣_ جمهرة أنساب العرب: ٢٧٣_ ٢٧٥.

١٤_ وفيات الأعيان ج٢: ١١٤.

١٥_ الذريعة ج١: ٣٢٤.

١٦_ رجال النجاشي: ١٠٣.

١٧_ نهاية الإرب: ٢٩٨.

١٨_ سير أعلام النبلاء ج١٢: ٥٩٨.

الدولة الصليحية
في اليمن

الدولة الصليحية:

قلنا أثناء البحث عن تأريخ الدولة المتوكّلية التي أنشئت في اليمن، أن الحركة الإسماعيلية التي حمل لأفكارها مؤسسو الدولة الصليحية التي نتحدّث عنها في هذا البحث، قد نشطت في عهد الإمام الزيدي المتوكّل على الله أحمد بن سلمان الهادي، وكان ذلك في عام ٤٣٥ هجرية، وكان زعيم هذه الحركة (علي بن محمّد الصليحي) الذي بذل جهودًا كبيرة من أجل نشر أفكاره، وكانت جذور هذا المذهب موجودة أصلا في اليمن إلا أنها كانت ضعيفة بسبب انتشار المذهب الزيدي فقد قام عليّ الصليحي بمساعي حثيثة من أجل دبّ الروح للحركة الإسماعيلية ثم نموّها .

نجحت مساعي علي الصليحي في إحياء الأفكار الإسماعيلية من خلال جولاته في العديد من المناطق الجبلية والقرى النائية، على أثر هذه المساعي الحثيثة والدعم الذي تلقاه في الخليفة الفاطمي المستنصر التف العشرات من قادة القبائل اليمنية حوله.

واصل الخليفة الفاطمي والذي كان في تلك الفترة يعتبر الزعيم الفعلي للإسماعيلية في العالم الإسلامي دعمه ومؤازرته لعلي الصليحي حيث كان يرسل إليه الأموال والهدايا كما أنّ الخليفة الفاطمي أطلق على الزعيم الصليحي ألقاب رنانة لغرض دعمه، وكان أي الخليفة عقد له الولاية، أي منحه لقب زعيم الإسماعيلية في

اليمن، وقد تبادل معه الهدايا، إضافة إلى إرسال رسائل التأييد والمؤازرة باستمرار.

ساهمت هذه الأمور في زيادة همّة الزعيم علي الصليحي، حيث قام بإرسال عدد من دعاته لنشر أفكاره على الحجاج الذين جاءوا لأداء فريضة الحج، وكان ذلك عام (٤٣٨) هجرية، وقد تمكّن الدعاة الإسماعيلية من كسب أعداد كبيرة من هؤلاء الحجاج، حيث قام هؤلاء ببث الأفكار الإسماعيلية في مناطقهم وبالخصوص إيران، وقد تمكّن فيما بعد حاملو الأفكار الإسماعيلية من تأسيس دول لهم، سنتحدّث عنها في كتابنا هذا، بعد أن أيقن الزعيم علي الصليحي أنه قد تمكّن من ضبط أموره وأنه باستطاعته إنشاء دولة مستقلة في اليمن أعلن عن تأسيس هذه الدولة، وكان ذلك في عام (٤٥٥) هجرية، وبذلك أصبح في اليمن دولتين شيعيتين واحدة تتبع المذهب الإسماعيلي والأخرى تتبع المذهب الزيدي.

كان الخليفة الفاطمي المستنصر أول من بارك قيام هذه الدولة، حيث أرسل كتاب تهنئة للزعيم الصليحي مع وفد كبير من زعماء الدولة الفاطمية لتقديم التهاني والدعم لهذه الدولة الشيعية الجديدة.

بعد الإعلان عن هذه الدولة قام الزعيم علي الصليحي الذي أطلق عليه فيما بعد لقب (الملك) بإدارة شؤون بلاده والاهتمام بكل الأمور التي تفيد أبناء دولته، ثمّ أمر بتشييد العشرات من المساجد والمعاهد الدينية.

كما أمر بتشييد العديد من القصور لكي تكون مقراً لقادة الدولة الجديدة، ثمّ أمر بإرسال بعض من رجال الذين كانوا على دراية واسعة بأفكار المذهب الإسماعيلي إلى جميع المناطق الخاضعة لسلطته لغرض شرح تلك الأفكار لأبناء هذه المناطق ليكونوا على اطّلاع ومعرفة تامّة بها .

لم يهتم الملك علي الصليحي بالمذهب الإسماعيلي فقط بل أنه سمح لعلماء المذاهب السنيّة لتدريس أفكار تلك المذاهب، كما أنه أمر ببناء عدد من المعاهد الدينية لتدريس أفكار هذه المذاهب، وهذه سجية تسجّل لقادة الشيعة، وتؤكّد على تسامحهم وسعته صدرهم ورفضهم للطائفية البغيضة.

بعد استتباب الأمر للملك الصليحي تحرّك بعض ممن لم ترق له السياسة الحكيمة التي سار عليها الملك الصليحي ضدّ السلطة، فقام المدعو ابن طرف وبدعم ومؤازرة من الحبشة والسودان برفع راية الثورة ضدّ الدولة الصليحية، فما كان من الملك إلا أنّ يقود جيشًا ضخمًا والتوجّه إلى المنطقة التي تتواجد فيها قوّات ابن طرفة، وما أن وصلت هذه القوّات حتى شنّت هجومًا صاعقًا بقيادة الملك، وما هي إلا ساعات حتى لحقت الهزيمة بقوّات ابن طرفة.

عاد الملك إلى مقرّه بعد أن تمّ القضاء على حركة ابن طرفة وعند عودته استقرّ في مدينة صنعاء التي أصبحت عاصمة الدولة، وبعد استقراره في هذه المدينة قام بتشييد العديد من القلاع والحصون

لحمايتها من الأعداء، عندما شعر الملك الصليحي بأن أمور دولته أصبحت على ما يرام قرّر الذهاب إلى مكّة المكرّمة لأداء فريضة الحجّ، وقد صحب معه زوجته التي كانت تحظى باحترام كبير لدى أبناء الدولة ولدى كبار رجالات الدولة أيضًا بسبب حبّها للخير ودعمها للفقراء والمحتاجين.

أثارت الأعمال الجليلة التي قام بها الملك علي الصليحي ورجاله ثناء وتقدير الخليفة الفاطمي المستنصر حيث أخذ يخاطبه بكلمات تنمّ عن حبه واحترامه لهذا الملك، وقد جاء في العديد من كتب التأريخ التي تحدثت عن تأريخ الدولة الصليحية، أن الخليفة الفاطمي كان يخاطب الملك الصليحي بعبارات لطيفة وجميلة منها (الأمير الأجل مشرف المعالي تاج الدولة سيف الإمام المظفر في الدين نظام المؤمنين) كما لقبه أيضًا بـ(منتخب الدولة وصفوتها ذا المجدين، منجب الدولة وغرسها ذا السيفين، نجيب الدولة وصنيعتها ذا الفصلين) وغيرها من عبارات الثناء والاحترام.

هذا من جانب، أما من الجانب الآخر فإن الخليفة الفاطمي أوكل للملك علي أن يبذل كل ما يستطيع من أجل نشر أفكار المذهب الإسماعيلي في الحجاز وإعادة حضيرة المناطق الحجازية إلى حضيرة الدولة الفاطمية، وعلى أثر هذا الطلب بذل الملك علي وأعوانه جهودًا كبيرة جدًا من أجل تنفيذ هذا الطلب وأخيرًا استطاع الملك من أن

يوطّد أقدام الفاطميين في بلاد الحجاز، وأن يعيد الخطبة إلى الخليفة الفاطمي على منابرها.

إن هذه السيرة التي انتهجها الملك علي طيلة فترة حكمه جعلت منه أن يكون إداريًّا ممتازاً وقائداً ناجحًا وزعيمًا دينيًّا نال حبّ واحترام جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم.

من الأعمال الجليلة التي اتّصف بها أنه كان محبًّا للعلم والعلماء حيث قرب هؤلاء وأنعم عليهم بالهدايا والهبات، ومن الأشياء الأخرى التي كان يرغب في تنفيذها هي إشرافه على تشييد العشرات من المساجد الفاخرة التي كانت تتّصف ببداعة البناء والريازة الإسلامية، أما اهتمامه في بيت الله الحرام في مكّة المكرّمة، فكان اهتمام واسعًا حيث خصص أموالا طائلة لتعمير البيت العتيق وإكساء الكعبة المشرفة بالديباج الأبيض وجلب الأقوات إلى الحجاز، كما أمر بتأمين طرق الحج من خلال تيسيره لمجاميع من عسكره لحماية قوافل الحجاج من اللصوص وقطاه الطرق، أما عدله وسياسته الرصينة فكانت لا توصف وقد تحدّث العديد من المؤرّخين عن تلك السياسة الرائعة، وذكروا بأنه كان يردد دائمًا قولا أعجبه كثيرًا هو: (انصف المظلوم واقمع الظالم).

استمرّ الملك علي الصليحي على المسير بهذا النهج المستقيم إلى أن اغتيل على يد النفر الضال سعيد الأحول في طريق مكّة المكرمة.

بعد استشهاده تولّى ابنه أحمد السلطة الذي لقبه الخليفة الفاطمي بـ(المكرم) أطلق عليه فيما بعد الألقاب التي توحي بأن الخليفة الفاطمي راضي عنه بل أنه يجلّه ويقدره كثيراً[3]، ويتّضح ذلك من خلال تلك النعوت والألقاب التي وصفه بها، وقد جاء في أحد الرسائل التي أرسلها له مخاطبًا إياه على النحو التالي: (أمير الأمراء شرف المعالي عزّ الملك منتخب الدولة وعزّ سهاذ والسيفين أبي الحسن بن الأجل الأوحد أمير الأمراء عمدة الخلافة شرف المعالي تاج الدولة الإمام المظفّر في الدين نظام المؤمنين) .

اتّصف الأمير أحمد بن علي الصليحي بالشجاعة والكرم والحزم وحسن التدبير.

بعد تولي مسؤولية الحكم بدء العدو اللدود للدولة الصليحية سعيد الأحول زعيم بني نجاح الذي قويت شوكته بعد نجاحه في اغتيال الملك علي الصليحي بالتحرك للوقوف بوجه الأمير المكرم فما كان من الأمير إلا إعداد العدّة له ومن ثمّ القضاء عليه وعلى أعوانه الذين كانوا قد تمكنوا من الاستيلاء على بعض المناطق والمدن التي كانت خاضعة للدولة الصليحية، بعد أن أيقن الأمير أنه باستطاعته محاربة هذا الرجل قاد قواته التي كان قد أحسن تدريبها وتسليحها والتوجّه نحو منطقة زبيد المعقل الرئيسي لسعيد بن الأحول إلا أن سعيد تحرّك نحو مدينة عدن للاستعداد لمقاتلة القوات الصليحية، فما كان من الأمير إلا التوجّه نحو مدينة عدن لملاقاة سعيد الأحول.

ما أن وصلت القوات الصليحية إلى هذه المنطقة حتى شنت هجومًا صاعقًا على قوات سعيد الأحول التي استولى عليها الرعب والخوف، وما هي إلا أيام معدودة من القتال الضاري حتى ألحقت الهزيمة بسعيد الأحول الذي قتل أثناء هذه الاشتباكات.

بعد هذه الانتصارات الباهرة التي حققتها القوات الصليحية عاد المكرم إلى زبيد، وصلّى بالناس، وخطب فيهم خطبة أفاض فيها بالدعاء لأبيه وحمد الله على ما أولاه من نعمة النصر عليهم والأخذ بثأره.

بعد عودته أمر اتباعه بملاحقة فلول قوات سعيد الأحول التي كان يقودها أحد قواته الذي تمكّن من الهروب إلا أن هذا القائد والذي كان يدعى (جند بن جياش) تمكّن من الهروب فيما بعد إلى الهند، وبعد وصول خبر هروبه إلى الهند أمر المكرم بترك ملاحقته.

بعد استتباب الأمن واستقرار الأوضاع في الدولة الصليحية تفرّغ الأمير مكرم للعمل على توفير الخدمات لأبناء البلد، وإقامة المشاريع وبناء المعاهد والمدارس الدينية وحلّ مشاكل القبائل اليمنية وتعيين القضاء وتقوية الجيش، وتأمين الطرق لقوافل الحجاج التي كانت تتعرض للسرقة من قبل بعض قطّاع الطّرق وغيرها من القضايا التي تساعد على تطوّر البلد وازدهاره.

في عام ٤٨٤ هجرية أعلن عن وفاة الأمير المكرم فتولى السلطة ابن عمّه الأمير (أبي حمير سبأ بن أحمد المظفر) وكان المكرم قد أوصى بأن يكون أبي حمير هو الذي يتولّى مسؤولية البلاد.

تولّى أبي حمير المسؤولية إلا أنه جوبه برفض زوجة الأمير المكرم حيث أنها كانت تطمح بأن يكون ولدها (عبد المستنصر) الإمارة إلا أنه كان صغيرًا.

تدخّل الخليفة الفاطمي في هذا الأمر وتمكّن من إقناع الأميرة (أروى الحرة) زوجة المكرم من ترك الأمر وعدم الاعتراض على تولّي أبي حمير مسؤولية الحكم إلا أن الخليفة أوصى الأمير الجديد بأن يعطي مكانة بارزة للأمير وابنها، فوافقت الأميرة أروى على هذا الحلّ.

نشب الخلاف مرّة أخرى بين الأمير أبي حمير والأميرة أروى.

بعد وفاة ابنها عبد المستنصر وعلى أثر هذا الخلاف تدخّل الخليفة الفاطمي مرّة أخرى وتمّ حلّ الخلف، كما أنه أي الخليفة وباعتباره وليّ أمر المسلمين أرسل مندوبًا إلى اليمن يطلب من الأميرة أروى أن تتزوّج من الأمير أبي حمير وكان قد أرسل كتابًا مع مندوبه بخصوص هذا الأمير، وكان الكتاب على النحو التالي: (وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الأوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الأمراء أبي حمير سبأ بن أحمد المظفر على ما حضر من

المال، وهو مائة ألف دينار عينا وخمسون ألفًا إضافة من تحف وألطاف).

لم يسع للأميرة أروى إلا أن تلبي نداء الخليفة الفاطمي، ورضيت أن تتزوّج، وأن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على ما كان للخلفاء الفاطميين من نفوذ روحي في بلاد اليمن، لأن السيدة أروى اعتبرت الخروج على أمر الخليفة خروجًا عن الدين.

بعد زواج الأمير أبي حمير من السيدة أروى تنازل عن الملك إلى الملك المفضل في عام ٤٩٥، تولى الملك المفضل الذي سار بالبلاد اليمنية سيرة حسنة نالت رضى واستحسان جميع القبائل اليمنية، وقد امتدّ نفوذه على الكثير من أرجاء اليمن وقد اتّصف هذا الملك بالسماحة والعدالة والكفاءة، كما أنه كان من أشهر رجال الفقه في المذهب الإسماعيلي، لم يدم حكم الملك المفضّل طويلا حيث أعلن عن وفاته عام ٥١٥ هجرية.

بعد وفاته خلفه في الحكم الأمير (المأمون البضائي) إلا أن هذا الأمير فشل في قيادة أمور البلاد بسبب قيام أحد قادة الدولة المدعو: (ابن نجيب الدولة) بالسيطرة على معظم زمام الأمور بدعم من الأميرة لأروى له كما أن الأميرة كانت قد أرسلت رسالة إلى الخليفة الفاطمي في مصر تعلن فيها عن تأييدها لابن نجيب الدولة وتأكّد للخليفة أن أبناء الشعب اليمني راضين عن سياسة هذا الرجل .

على أثر رسالة السيدة أروى أعلن الخليفة الفاطمي دعم وتأيد ابن نجيب الدولة وعليه اصبح الحاكم الفعلي لليمن، هذا وكانت السيدة أروى تتمتّع بمكانة عالية لدى أبناء اليمن بسبب اتزانها وحبها للخير ومساعدتها للفقراء.

كان عهد الأمير ابن نجيب الدولة عهد استقرار وأمن في ربوع اليمن حتى وافته المنية، بعد وفاته حدثت العديد من الاضطرابات والانقسامات بين رجال الدولة الصليحية أسفرت في النهاية عن تولّي الداعي (محمد بن سبأ) وهو من سلالة الأمير علي الصليحي مؤسس الدولة الصليحية والذي كان من أشراف بلاد اليمن ومن كبار رجالها الذين كانوا يتمتّعون باحترام جميع القبائل اليمنية.

بعد توليه السلطة اتّجه إلى العمل على وحدة كلمة قادة الدولة وزعمائها، إضافة إلى اهتمامه بشؤون الدولة الداخلية وإقامة المشاريع التي يحتاجها أبناء البلد وكان من أهمّ أعماله هي تشييده لعدد من المراكز الصحية وبالخصوص في المناطق النائية، ومن أعماله الأخرى اهتمامه برجال وفقهاء المذهب الإسماعيلي حيث كان يلتقي بهم باستمرار ومن ثم حثهم على إرسال الدعاة إلى مختلف الأقاليم الإسلامية لغرض نشر أفكار المذهب الإسماعيلي، في عام ٥٤٨ هجرية أعلن عن وفاة الأمير محمد بن سبا فخلفه في السلطة الأمير عمران بن محمد بن سبأ.

قبل تولي الأمير عمران الحكم دبّ الخلاف بين أركان الدولة الفاطمية بسبب انقسام قادة هذه الدولة بين من هم يؤيدون ولاية العهد في الدولة الفاطمية إلى الأمير أبي القاسم الطيب وبين من يؤيدون ولاية العهد إلى الأمير الحافظ ونتيجة لهذه الخلافات ضعفت الدولة الفاطمية في مصر فما كان من صلاح الدين الأيوبي أحد القادة العسكريين الكبار لهذه الدولة لانتهاز الفرصة والانقضاض على السلطة ومن ثمّ إسقاط الدولة الفاطمية وكان ذلك عام ٥٦٧ هجرية ١١٧١ ميلادية.

عند استتباب الأمر لصلاح الدين الأيوبي قام بإعداد حملة عسكرية قويّة وجعل قيادة هذه الحملة لأخيه الأمير توران شاه الأيوبي وأمره بأن يتوجّه على رأس جيشه نحو اليمن.

بعد وصول القوات الأيوبية إلى اليمن استعدّ أبناء اليمن للتصدّي لها وبعد اشتباكات عنيفة تمكّنت القوات الأيوبية من السيطرة على أغلب المناطق اليمنية التي دافع أبنائها ببسالة فائقة إلا أنّ كثافة الجيش الأيوبي وحداثة تسليحه مكّنت هذه القوات من دحر القوات الشيعية، ومن ثمّ إسقاط الدولة الصليحية وبذلك انتهى عهد هذه الدولة الشيعية بعد أن حكمت بلاد اليمن عشرات السنين عمّ خلالها الأمن والاستقرار.

إلا أن الأفكار الشيعية لم يقض عليها في اليمن حيث تمكّنت الدولة المتوكّلية من السيطرة على أجزاء من الأراضي اليمنية بالرغم

من وجود القوات الأيوبية، وقد بقيت هذه الدولة الشيعية التي كانت تحمل الأفكار الزيدية قرون عديدة بالرغم من بطش القوات الأيوبية وإبادتها لكل من يحمل الأفكار الشيعية، وكتب التأريخ شاهدة على ما كان يقوم به رجال هذه الدولة ضدّ أبناء الشيعة وبمختلف فرقهم وبالأخصّ الجعفرية والإسماعيلية.

وقد تحدّثنا عن بعض مما كان يتعرّض له أبناء الشيعة على أيدي أزلام هذه الدولة سواء في مصر أو سوريا أو اليمن وغيرها من المناطق التي خضعت لسلطته، وهنا أستغرب من أولئك الكتاب والمؤرخين الذين غضّوا الطرف عن تلك الأعمال المشينة التي ارتكبت ضدّ أبناء الشيعة والتي ذهب ضحيّتها مئات الآلاف من أبناء هذه الطائفة التي كان قادتها ورجالها من أعمدة الإسلام الحقيقيين ومن الذين قدّموا كل ما يملكون من أجل إحقاق الحق ونصرة الإسلام والوقوف بوجه أعتى الطّغاة الذين سرقوا الفرحة من وجوه المسلمين طيلة قرون عديدة.

فألف تحية إلى أولئك الفرسان الشجعان من رجال وأبناء الشيعة الميامين الذين سطروا بدمائهم الزكية أروع الملاحم وأعظم المواقف فنالوا بذلك رضى الله عزّ وجلّ ورضى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلام على أولئك الرجال الأفذاذ الذين زينوا صفحات التأريخ الإسلامي المشرف بأعمالهم البطولية تلك التي أذهلت خصومهم وذهبت بهم

إلى مزبلة التأريخ، وسيأتي اليوم الذي يخلّد فيه تلك النخبة الخيرة التي حاول

وعّاظ السلاطين التعتيم على سيرتهم وبطولاتهم وجهادهم وصبرهم وتضحياتهم الجسام ومعاناتهم المريرة منذ استشهاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وإلى يومنا هذا حيث لا زالت دماء هذه الصفوة الطيبة تسير وهي تروي تلك النبتة العطرة التي زرعها رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام والتي يقوم الآن أحفاد أولئك الرجال العظام بالعمل على ديمومة تلك الشجرة المباركة التي حماها الله جل وعلى من كيد الكائدين بسقي هذه الشجرة الطاهرة بدمائهم الزكية.

مراجع البحث:

١_ تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي ج٤: ١٩٧_ ٢١٠.
٢_ تأريخ الدولة الفاطمية : ٢٩_ ٤٧.
٣_ كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة: ٤٣_ ٤٥.
٤_ تأريخ اليمن _ عمارة اليماني: ٢، ١٨، ٣٠، ٣٨.
٥_ العبر_ لابن خلدون ج٤: ٢١٥.
٦_ اليمن البلاد السعيدة: ٨٠_ ٨٩.
٧_ الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن: ١٢٧_ ١٣٢.
٨_ هذه هي اليمن_ عبد الله أحمد الثور: ٢٧٥_ ٢٨٣.
٩_ الصليحيون_ للدكتور حسن فيض الله.
١٠_ تأريخ النجدي: ١٧٧.

١١ـ أبناء الزمان: ١١١.

١٢ـ شذرات الذهب ج٣: ٣٤٦.

١٣ـ أعلام الإسماعيلية : ٤-٢ـ ٤٠٧.

١٤ـ الذهب المسبوك ـ للمقريزي: ٣٥.

١٥ـ بلوغ المرام: ٢٤.

١٦ـ الأعلام ـ للزركلي مجلد٤: ٣٢٨.

١٧ـ طبقات فقهاء اليمن: ١٢٣.

١٨ـ وفيات الأعيان ج١: ٣٦٨.

١٩ـ سير أعلام النبلاء ج١٣: ٦٠٢.

٢٠ـ دائرة معارف البستاني ج١١: ٢٥.

٢١ـ خطط المقريزي ج٢: ١٧٣.

٢٢ـ قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ج١: ٣٠٦.

الدولـة البويـهيـة
في إيران

الدولة البويهية:

في الربع الأوّل من القرن الرابع الهجري وبالتحديد سنة ٣٢١ هجرية، أسست الدولة البويهية في إيران وبالذّات في مدينة شيراز إحدى أهمّ مدن إيران المعروفة بمدينة العلم والأدب، حيث انحدر من هذه المدينة المئات من العلماء والأدباء والفلاسفة.

لم يمض وقت طويل على تأسيس هذه الدولة الشيعية حتى فكّر قادتها بالتوسّع وعليه امتدّت من إيران إلى العراق ومن ثمّ إلى الأقاليم الإسلامية الأخرى.

يعتبر علي بن بويه الملقّب بـ(عماد الدولة) أوّل سلطان لهذه الدولة، وقد اتّصف هذا السلطان بالسماحة والشجاعة وحبّ العلم الأمر الذي جعل العديد من فطاحل العلماء والأدباء والشعراء الالتفاف حوله والانضمام إلى حاشيته.

إنّ السياسة المرنة والرشيدة التي سار عليها عماد الدولة جعلته أن يكون محبوبًا من قبل أغلب رعايا دولته على اختلاف مذاهبهم ومعتقداتهم.

من خلال السيرة الحسنة التي سار عليها هذا السلطان عمّ الرّخاء والازدهار جميع أنحاء دولته مما جعله أن يبذل قصارى جهوده من أجل توفير العيش الكريم لأبناء رعيته وتقديم أفضل الخدمات لهم، كان من أعمال السلطان عماد الدولة هو اهتمامه الواسع في المجال

الثقافي حيث قام بتأسيس عدد كبير من الجامعات العلمية والمدارس لتدريس الفقه الإسلامي ولجميع المذاهب الإسلامية دون استثناء.

كما اهتمّ السلطان عماد الدولة برعاية العلماء الأعلام لجميع المذاهب سنّة وشيعة إضافة إلى رعايته لرجال الدين من الأديان الأخرى.

استمرّ السلطان عماد الدولة السير على هذا النهج القويم حتى وفاته بعد أن دام حكمه زهاء ستة عشر سنة.

بعد وفاته تولّى مسؤولية الدولة أخيه الملقّب بـ(ركن الدولة)، فقام هذا السلطان بإدارة شؤون دولته على أحسن ما يرام وقد سار على نفس السياسة التي سار عليها أخيه عماد الدولة حيث قرّب العلماء والأدباء وأعطى لهم الهبات، كما أنه اهتمّ بشؤون أبناء الشعب والسهر على راحتهم.

من الأعمال الأخرى التي قام بها ركن الدولة هي دعم أخيه مضر الدولة الذي كان قد عُيّن من قبل أميرًا على العراق والذي كان قد تمكّن من إخضاع العراق لسيطرة الدولة البويهية في عهد أخيه عماد الدولة بالرغم من وجود الخليفة العباسي الذي أصبح تابعًا له ولم يتمتّع الخليفة العباسي بأي شيء من السلطة وليس لديه سوى الاسم.

وهذا يعني أن الحاكم الفعلي للعراق هو مضرّ الدولة وليس الخليفة.

أقف هنا قليلاً وأقول للأشخاص الذين يتّهمون الشيعة بالطائفية، أقول: ألم يكن بمقدور السلطان الشيعي مضر الدولة القضاء على

الخليفة العباسي؟ ومن ثمّ قتله وإنهاء الخلافة العباسية التي لعب خلفاؤها دوراً كبيراً في تصفية مئات الآلاف من أبناء الشيعة خلال الثورات التي قام بها رجالهم الكبار منذ تأسيس الدولة العباسية ولغاية تولّي الخليفة العباسي المسؤولية خلال فترة إخضاع العراق للدولة البويهية، الجواب يكون وبدون أخذ وردّ: نعم بإمكان السلطان الشيعي قتل الخليفة العباسي لا بل القضاء على معظم أركان السلطة العباسية الذين تلطّخت أيديهم بدماء أبناء الشيعة الأبرياء.

وهنا أقول أن الشيعة ليس مصّاصي الدماء وأنا أتحدى هنا أي شخص أن يأتي بفتوى لأي عالم شيعي يحلل بها قتل أي شخص من أبناء المذاهب الإسلامية الأربعة بل أن علماء الشيعة حرّموا قتل حتّى الخوارج الذين خرجوا عن طاعة الإمام علي عليه السلام.

بينما نقرأ ونسمع عن مئات الفتاوى التي يصدرها ممن سمّوا أنفسهم بعلماء المسلمين تبيح قتل الشيعي الذي وصفوه بـ(الرافضي).

نعود إلى صلب موضوعنا وهو الحديث عن الدولة البويهية، قلنا إن السلطان البويهي مضر الدولة تولّى حكم العراق نيابة عن أخيه ركن الدولة قائد الدولة البويهية الذي كان يتواجد في عاصمة الدولة في إيران.

كان مضر الدولة محبًّا للعلم والأدب حاله حال سلاطين آل بويه حيث قرّب العلماء والأدباء وبالخصوص زعماء المذاهب السنية الذين كان لهم دورٌ بارز في العراق.

فمن المعروف أن معظم الطرق السنية كانت قد أنشئت في بغداد وعلى أثر ذلك انتشرت المدارس الدينية التي كانت تعنى بأفكار وآراء المذاهب السنية.

وهذا يعني وجود شريحة كبيرة من علماء السنة الذين كانوا يشرفون على التدريس في هذه المدارس والمعاهد الدينية.

وهذه منقبة أخرى تضاف إلى رجال الشيعة الذين لم يقفوا ضدّ الأفكار والآراء التي كانت تختلف معهم وقد وقفوا جنب رجال الدين السنة وقدموا لهم كل العون والمساعدة التي يحتاجونها بل أنهم قدّموا لهم الحماية لدفع الخطر الذي قد يقع لهم من بعض الأوباش الذين يعملون على تفرقة المسلمين وتمزيق وحدتهم.

أما من الأعمال الأخرى التي قام بها الحاكم الشيعي للعراق السلطان مضر الدولة هي أنه جعل اليوم العاشر من محرم الحرام يوم حزن وألم بمناسبة معركة كربلاء الخالدة التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الأبرار، فأمر بتعطيل الدوائر الحكومية وإقفال الأسواق والطلب من كافّة المسلمين إظهار مظاهر الحزن احترامًا لهذه المناسبة الخالدة.

كما أمر السلطان مضر الدولة بإقامة الشعائر الدينية كإقامة مجالس العزاء وتوزيع الماء والطعام وغيرها من الأمور التي لها علاقة بهذه المناسبة الحزينة.

بقي السلطان مضر الدولة يحكم العراق تحت ظل الدولـة البويهيـة حوالي اثنان وعشرون عام حتى وافاه الأجل سنة ٣٥٦ هجرية.

بعد وصول خبر وفاته إلى أخيه السلطان ركن الدولة أعلنت الدولة الحداد العام حزنًا على هذا السلطان العادل.

بعد وفاة مضر الدولة البـويهي تـولّى الـسلطان ركـن الدولـة إدارة شؤون دولته في كافّة المناطق الخاضعة له ومنها العراق.

سار ركن الدولة على نفس سياسة أخيه مـضر الدولـة الـذي كـان حاكمًا على العراق الأمر الـذي جعلـه أن يكـون محبوبًـا لـدى أبنـاء الشعب العراقي بالرغم من أن العراقيين يرفضون الحكم الأجنبي بكل أشكاله إلا أن السياسة الـصائبة التـي سـار عليهـا الحكـام البويهيـون جعلت أبناء العراق يركنون إلى الهدوء وعدم رفـع رايـة الثـورة ضـدّ أركان هذه الدولة بسبب اهتمام هؤلاء بشؤون الرعيـة وعـدم انتهـاج سياسة التفرقة بين أبناء المذاهب وعدم الاعتداء على أبناء البلـد مـن قبل عساكر هذه الدولة، كما كانت تفعل عساكر السلاجقة والعثمانيين ضدّ أبناء الشعوب التي كانوا يحكمونها، والدليل على ارتياح العراقيين للسياسة التي انتهجها الحكام البويهيين هو اسـتتباب الأمـن وازدهـار الوضع الاقتصادي خلال الفترة التي حكموا فيها العراق.

قد يقول القارئ الكريم إن هذا الكلام الذي يكتبه هنا مؤلف هـذا الكتاب هو دفاعا عن الدولة البويهية لأنها دولة شيعية إلا أننـي أقـول لأخي وعزيزي القارئ الفاضل أن أقوالي هـذه لـم تكـن مـن وحـي

الخيال وأنها مدوّنة في العشرات من الكتب المعتبرة التي تحدثت الدولة التي أنشئت عبر التأريخ سواءً كانت شيعة أو سنية وقد ذكرت العديد من هذه الكتب التي اعتبرها مصدرا لأقوالي هذه وعلى القارئ العزيز مراجعتها لغرض الاطّلاع عليها حتّى يكون على دراية واسعة وقناعة تامّة ومستفيضة بأنّ أقوالي هذه صحيحة ومؤكّدة.

نرجع إلى بحثنا؛ قلنا أن السلطان ركن الدولة حظي باحترام أبناء الشعب العراقي وشعوب المناطق التي كانت خاضعة لسلطته ، وظل يحظى بذلك الاحترام حتى أن وافاه الأجل سنة ٣٦٦ هجرية.

بعد وفاته استخلفه على السلطة ابنه عضد الدولة الذي اصبح الحاكم المطلق للدولة البويهية، حيث خضعت لسلطته البلاد الممتدّة من الخزر إلى كرمان إلى عُمان إضافة إلى العراق.

ما أن تولّى عضد الدولة السلطة حتى جعل جلّ اهتمامه توفير الخدمات العامة لأبناء المناطق التابعة له إضافة إلى اهتمامه بالعلم والمعرفة واستقطاب العلماء للاستفادة من أفكارهم ومعلوماتهم، كما اهتم بتطوير الجيش وشراء الأسلحة الحديثة له، كما اهتمّ بتطوير الأسطول التجاري الذي كان يجوب مناطق الخليج العربي، أما من ناحية اهتمامه في تعمير العتبات المقدسة فكان كبيرا جدًّا حيث قام بتجديد بناء مرقد الإمام علي عليه السلام ومرقدي الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس عليهما السلام، كما أمر بتجديد وتعمير مراقد الأئمة الأطهار في سامراء والكاظمية.

بقي عضد الدولة سائرًا على سياسته الرشيدة هذه حتى وفاته سنة ٣٧٢.

بعد وفاته جرى له تشييعًا مهيبًا شاركت فيه جموعًا غفيرة من أبناء العراق وجرى دفنه قرب مرقد الإمام علي عليه السلام حسب وصيته.

بعد وفاته تولّى السلطة ابنه صمصام الدولة وما أن تولّى السلطة حتى نازعه في الأمر أخوه شرف الدولة فدرات بينهما حروب عديدة دامت حوالي أربع سنوات، تغلّب فيها شرف الدولة فقام بإلقاء القبض على أخيه صمصام الدولة ووضعه تحت الإقامة الجبرية، وظلّ حبيس داره حتى إلى أن أطلق سراحه.

بعد وفاة شرف الدولة تولّى الأمر بعد ولده بهاء الدولة الذي نازعه عمّه صمصام الدولة مرة أخرى فوقعت بينهما معارك عنيفة أدّت إلى مقتل صمصام الدولة وكان ذلك عام ٣٨٨ هجرية.

بعد مقتل صمصام الدولة استتب الأمر لبهاء الدولة الذي سعى إلى العمل على استقرار الأمن وتطوير مرافق الدولة وتحسين الوضع المعيشي لعامة الناس بعد أن تضررت البلاد وأهلها بسبب الحروب التي دارت بين أبناء الأسرة الحاكمة، قد يقول القارئ النبيل بين نفسه كيف يقوم أبناء هذه الأسرة الحاكمة الذين اتّصفوا بالحكمة وسعة الصدر بإشعال نار الحرب فيما بينهم طمعًا بالسلطة.

نوضّح للأخ القارئ بأن هذا الأمر لم يكن غريبًا فإنه قد تكرر وحدث في مسيرات عديدة بين أبناء السر الحاكمة فالخليفة الأموي

الوليد بن عبد الملك تخاصم مع أخيه سلمان والخليفة المأمون العباسي تخاصم من أخيه الأمين والأمير الشيخ خزعل الكعبي أمير المحمرة قد تخاصم مع إخوته والملك الأردني الحسين قام بخلع أخيه الأمير الحسن وتنصيب نجله عبد الله، وفي أيامنا هذه قام أمير دولة قطر بخلع والده من السلطة ونفيه خارج البلد، وهكذا ديدان السياسة.

نرجع إلى بحثنا كما قلنا أن السلطان بهاء الدولة قام ببذل جهود مضنية من أجل تطوير بلاده وإسعاد شعبه وظل على هذه المنوال حتى وفاته سنة ٤٠٣ هجرية.

بعد وفاته تولّى السلطة (سلطان الدولة) وكان من أول أعماله توزيع مهام السلطة بين اخوته، حيث قام بتعيين أخيه جلال الدولة أميرًا على مدينة البصرة العراقية، وأخيه الثاني أبي الفوارس أميرًا على بلاد كرمان، وأخيه الثالث مشرف الدولة على العراق.

بعد أن استتب الأمر له قام بقيادة حملة كبيرة على قطّاع الطرق واللصوص الذين كانوا يعيشون في البلاد والذين كانوا يتعرضون لقوافل الحجاج وزائري العتبات المقدسة في العراق، فتمكّن من القضاء عليهم.

في ظلّ حكمه استقرّت أمور الدول البويهية التي كانت قد توسعت سلطتها، حيث شملت مناطق واسعة بدأ بالجزيرة العربية ومناطق قفقاسيا وأذربيجان وبحر قزوين وغيرها من المناطق الشاسعة.

عمّ الرخاء والأمن في ظلّ سلطته الأمير سلطان الدولة مما جعله أن يقوم بالاهتمام بشؤون أبناء بلاده حيث قام ببناء الأسواق التجارية وإنشاء السدود والجسور وتقديم المنح والسلف إلى المواطنين لغرض انتعاش الوضع الاقتصادي كما أمر بشقّ الأنهر وإعفاء الأراضي الزراعية من الرسوم التي كانت تفرض على المزارعين.

أما أهمّ أعماله الإنسانية فإنه كان كثير التصدّق حيث كان يقوم بتوزيع عشرة آلاف درهم بعد صلاة الجمعة على الضعفاء والفقراء والأرامل.

أمّا عن تعظيمه للعلم والعلماء، فهذا الكلام يحتاج إلى حديث طويل حيث كان يحبهم ويعظم شأنهم كثيرًا، وبالخصوص علماء المذهب الجعفري وكان في مقدمة العلماء الأجلاء الذين كان لهم مكان مرموق لدى السلطان مشرف الدولة العالم الجليل والمفكّر الفذ الشيخ المفيد أحد كبار علماء المذهب الجعفري في تلك الفترة.

كما كان يحتضن الشعراء وأغدق عليهم، وقد أشار إلى هذا الأمر الشاعر الكبير أبي الطيّب المتنبّي الذي قال:

وقد رأيت ملوك الأرض قاطبة
وسرت حتى رأيت مولاها
أبا شجاع عضد الدولة
فناخسوا وشاهنشاها
أساميا لم تزده معرفة

وإنمـــــا لـــــذّة ذكرناهـــــا

كان السلطان شرف الدولة حازمًا مع حركات الانفصال القليلة التـي حدثت أثناء حكمه وهذا أمرٌ طبيعي، فـبلاد واسـعة لابـدّ وأن تـشهد هكذا حركات.

تمكّن سلطان الدولة من القضاء على حركات الانفصال القليلة التي حدثت أثناء حكمه، حيث قام بجهود كبيرة لاحتـواء هـذه الحركـات ومن ثمّ القضاء عليها.

تمكّن سلطان الدولة مـن القـضاء علـى حركـات الانفـصال هـذه بالطريقة السلمية لأنه كان لا يحبّ سفك الـدماء، وقـد تفـاوض مـع رؤساء هذه الحركات وتمكّن من إقناعهم بالعدول عن رفـع الـسلاح بعد أن أعطى لمناطقهم الحكم الذاتي كما يصطلح عليـه فـي لوقـت الحاضر.

وعلى أثر هذه الجهود تمكّن من السيطرة علـى زمـام دولتـه التـي سهر على أن يسودها الأمن والأمان وخدمة المسلمين الذين أخلـصوا له طيلة فترة حكمه التي اتّصفت بالاستقرار باستثناء بعض الأمور التي حدثت والتي تحدّثنا عنها خلال بحثنا هذا.

بعد هذه الجهود الخيرة التي قام بها هذا السلطان العادل أعلن عـن وفاته وكان ذلك عام ٤١٥ هجرية.

بعد وفاته تولّي السلطة ابنه (كاليبجار) وما أن تولّى المسؤولية حتّى ثار عليه عمّه أبو الفوارس الذي كان على ما يبدو يُعدُّ العدّة لإعلان الحرب على ابن أخيه.

استعدّ الطرفان للقتال وبعد مناوشات بين الطرفين تدخّل بعض من كبار قادة الدولة وتمكّنوا من إنهاء القتال بعد أن تمّ الاتّفاق بين السلطان كاليبجار وعمّه أبو الفوارس أن تكون بلاد فارس بيد السلطان كاليبجار والعراق بيد مشرف الدولة .

لم يمض وقت طويل على اتّفاقية الصلح حتّى أعلن عن وفاة مشرف الدولة فتولّى الحكم بعده جلال الدولة الذي سار بالبلاد سيرة طيبة جعلته أن يكون موضع احترام وتقدير علماء وفقهاء بغداد حيث أنه كان قد عمل على تقريب العلماء الأعلام وإكرامهم والاهتمام بهم وأنه كان يكنّ الاحترام لجميع علماء المذاهب الإسلامية سنّة وشيعة، كما أنه أمر بتشييد المدارس الدينية ولجميع المذاهب الإسلامية أيضًا حيث كانت مدينة بغداد تغص بالمئات من علماء المذاهب السنية والشيعية وكان هؤلاء الأعلام الأجلاء يعيشون حياة هانئة جنبًا إلى جنب دون حدوث مشاكل أو منغّصات فيما بينهم بسبب بعض الآراء المختلفة بعض الشيء لعلماء المذاهب الخمسة.

ظلّ السلطان يرفد الحركة العلمية في العراق ويطلع على قضايا المسلمين إلى أن وافاه الأجل ٤٢٥ هجرية.

يقول ابن الأثير في حوادث سنة ٤٢٥ هجرية عن جلال الدولة ما نصه: (كان يزور الصالحين وزار مرّة مشهد علي بن أبي طالب ﷺ وولده الحسين ﷺ وكان يمشي حافيا قبل أن يصل إلى مشهده نحو فرسخ، يفعل ذلك تدينًا).

بعد وفاته تولّى السلطة أبو كاليبجار ابن سلطان الدولة، وما أن تولّى أبو كاليبجار شؤون الدولة حتى وقعت الحرب بينه وبين القائد السلجوقي طغر ليك والتي انتهت بعقد الصلح بينهما بعد أن اتفقا على تزويج طغر ليك ابنه أبي كاليبجار وتزويج ابن أبي كاليبجار بابنة أخ طغرليك.

بعد إتمام هذه الصفقة استتبت أمور البلاد إلا أنه سرعان ما أعلن عن وفاة أبي كاليجار فتولى السلطة ولده الملقّب بـ(الملك الرحيم) الذي لم يدم ملكه طويلاً، حيث دخل الملك السلجوقي بغداد سنة ٤٤٧ هجرية، وقضى على الدولة البويهية ثمّ قام باعتقال الملك الرحيم وإيداعه السجن حتى وافته المنية فيه، وبهذا انتهى عهد الدولة البويهية الذي امتدّ من سنة ١٣٢١ إلى ٤٤٧ هجرية.

وهنا يمكننا القول بأن معظم أمراء هذه الدولة الشيعية قاموا بخدمات جليلة للشريعة الإسلامية من خلال مسيرتهم الحسنة ومن خلال تشييدهم للمئات من المعاهد والكليات الإسلامية التي ساهمت في نشر الوعي الديني الإسلامي في العديد من الأقاليم التي سيطرت عليها الدولة البويهية، كما أنّ هؤلاء الأمراء قاموا باحتضان المئات من

علماء المسلمين وفقهائهم ومن شتى المذاهب الإسلامية دون التمييز بين مذهب وآخر، هذه من جانب أما من الجانب الآخر فإن أمراء الدولة البويهية أدّوا خدمات كثيرة لأبناء دولتهم وفي شتّى المجالات الزراعية والعمرانية والخدمية الأخرى، وبهذا يكونوا قد تمكنوا من ازدهار بلادهم وجعلها تنعم بالأمن والاستقرار إضافة إلى الأعمال الأخرى التي قام بها هؤلاء.

يقول الكاتب الغنماوي في كتابه: (الأدب في ظلّ بني بويه) عن رعاية العلم والعلماء الذي قام به أمراء هذه الدواة ما نصّه: (امتاز عهد آل بويه بالخصب العلمي والأدبي بتأثيرهم الخاص، أو بتأثير وزرائهم، ذلك أنهم استوزروا أبرع الكتاب وأبرزهم، واعتمدوا عليهم في تدبير شؤون الحرب وأمور السياسة والإدارة والمال جميعًا، فلمعت أسماءهم، وعظمت هيبتهم، وذاع صيتهم في الآفاق، فقصدهم أهل العلم والأدب، فأفادوا منهم كثيرا وانتهجوا كثيرا في ميدان الأدب والفلسفة والعلم، فكان أثرهم في الحياة الفكرية قويّا جدا ربما فاق أثر أسيادهم، أي الخلفاء العباسيين).

هكذا كانت دولة آل بويه الشيعة دولة الازدهار والتمدّن والتسامح الديني، فهنيئًا لشيعة آل البيت عليهم السلام، هكذا رجال أكفاء أرادوا الخير والعزّة لديننا الإسلامي الخالد الذي لا يفرّق بين العربي والفارسي والهندي والتركي والأفغاني، فكلهم سواء .

مصادر البحث:

١ـ الكامل في التأريخ ـ حـوادث سـنة (٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٥٢، ٣٨٩، ٤٢٩). ج١٢: ٣٧٤.

٢ـ الحضارة الإسلامية ج١: ٣٥/ ٣٨.

٣ـ مختصر تأريخ العرب : ٢٦٠ـ ٢٦٢.

٤ـ الدب في ظلّ بني بويه: ١٢٧.

٥ـ تأريخ الشيعة ـ للعلامة المظفر.

٦ـ هذا الحسين: ٨٣.

٧ـ دول الشيعة: ٢٣، ٤١.

٨ـ ثورات الشيعة : ٣٢٧ـ ٣٣٢.

٩ـ محنة الأكثرية في العراق: ٢٩ـ ٣٢.

١٠ـ دائرة المعارف الحسينية ج٣: ٤٠٠ـ ٤٠١.

١١ـ تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ج٣: ٣٧.

١٢ـ سير أعلام النبلاء ج١٣: ٣٦٥.

١٣ـ تجارب الأمم.

١٤ـ تأريخ المسلمين ـ لابن العميد: ٢٧٦.

١٥ـ تأريخ الخلفاء ـ للسيوطي: ٢٧٠.

١٦ـ الفخري: ٢٤٩.

١٧ـ تأريخ أبو شجاع محمد بن الحسين ج٣: ١٣٩ـ ١٤١.

١٨ـ الكنى والألقاب: ١٣٠.

١٩ـ وفيات الأعيان ج١: ٥٦، ١٤١،

٢٠ـ تجارب الأمم ج٤: ١٤٦.

٢١ـ الأعلام المجلد الأول: ١٠٥.

٢٢ـ الموسوعة العربية الميسّرة مجلد٢: ٧٣٩.

الدولة الإسماعيلية
في إيران

الدولة الإسماعيلية:

قبل الحديث عن هذه الدولة الشيعية التي أسست في إيران في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، لابدّ وأن نشير إلى أن النشاطات الإسماعيلي في إيران كان قد تصاعد إبّان القرن الخامس الهجري، وكان دعاة الإسماعيلية منهمكين في نشر أفكارهم في الحواضر المختلفة وخاصة مدن أصفهان وخراسان والري وغيرها من المدن الإيرانية.

يذكر ابن الأثير في كتابه: الكامل في التأريخ إن أوّل خطوة قام بها الإسماعيليون هي أنه في صلاة العيد قام ثمانية عشر رجلا بتأدية الصلاة وهم مجتمعين ففطن إليهم الحاكم فأخذهم وحبسهم ثم سألهم بعدها أطلق سراحهم.

كانت الحركة الإسماعيلية تتلقّى الدعم من رجال الدولة الفاطمية في مصر حيث كان المذهب الرسمي لهذه الدولة الشيعية هو المذهب الإسماعيلي، وكما هو معروف أن المذهب الإسماعيلي هو أحد الفرق الشيعية الكبيرة والتي كان لها مريدون كثيرون، ولا يزال إلى يومنا هذا لهم أتباع منتشرون في العديد من دول العالم وخاصّة الهند واليمن وسوريا وإيران وبعض الدول الأفريقية ويعتقد أبناء هذه الفرقة الشيعية أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قد أوصى بالإمامة إلى ولده إسماعيل عكس ما يقوله الشيعة الإمامية بأنه أي الإمام الصادق عليه السلام أوصى

بالإمامة إلى ولده موسى بن جعفر عليه السلام، وأن ولده إسماعيل قد توفى في زمن أبيه.

نعود إلى صلب موضوعنا، استمر الدعاة الإسماعيليون في إيران ببثّ دعوتهم إلى أن ظهر أحد الدعاة الأقوياء والبارزين هو الحسن بن محمد الصباح والذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الإسماعيلية التي تأسست في إيران والتي استمرّت من سنة ٤٣٨ هجرية إلى حدود سنة ٦٥٥ هجرية.

توجّه الحسن بن محمد الصباح عندما بدأ بثّ دعوته في إيران إلى مصر وكان سفره في بداية سنة ٤٧١ هجرية، وقد أقام في مصر ما يقارب العامين لقي خلالها جل الاهتمام من أركان السلطة الفاطمية وقد أمر الحاكم الفاطمي المستنصر بالله أعوانه بتوفير الرعاية له وتلبية كل ما يطلبه.

في أثناء وجوده في مصر حدث خلاف بين أركان السلطة الفاطمية حيث قرر الحاكم الفاطمي تعيين ولده نزار خليفة له بعد أن دام حكمه زهاء ستين عاما إلا أن الحاكم المستنصر بالله سرعان ما غير رأيه فنصب ولده المستعلي بدل ولده نزار.

على أثر هذه القضية انقسم الفاطميون إلى قسمين فمنهم من انحاز إلى المستعلي ومنهم من انحاز إلى نزار.

كان الداعية الحسن بن الصباح من الذين انحاز إلى نزار وعلى أثر ذلك قرر مغادرة مصر والعودة على إيران.

بعد عودته إلى إيران استقرّ بعض الوقت في مدينة يزد وكان ذلك سنة ٤٧٣ هجرية.

بعد استقراره بعض الوقت في مدينة يزد غادرها إلى مدينة دامغان ولم يلبث في هذه المدينة مدّة طويلة إذ سرعان ما غادرها واستقرّ في مدينة جرود.

كان الحسن في جولاته هذه منهمكًا في بثّ دعوته التي لاقت رواجا كبيرًا في المدن التي مكث فيها.

ظل الحسن بن الصباح يتنقّل مع العديد من أعوانه في مختلف المدن الإيرانية إلى أن وصل إلى قلعة الموت وكان ذلك في عام ٤٨٣ هجرية وكان بسبب اختياره لهذه القلعة هو الخلاص من ملاحقة السلاجقة الذين بذلوا الكثير من المساعي من أجل إلقاء القبض عليه.

ما أن وصل إلى قلعة الموت حتى بدأ بتحصينها تحصينًا جيدًا حيث قام مريديه بنصب نقاط عديدة بين التحصينات القوية التي أنشئوها لدرء الخطر عنهم.

بعد سيطرة الحسن وأتباعه على قلعة الموت قام بإخضاع مناطق أخرى لسيطرته وقد أمر أتباعه بالحذر من هجمات السلاجقة الذين أقلقهم تأسيس الدولة الشيعية في هذه المنطقة المحصنة والتي يصعب اختراقها.

بعد استتباب الأمر وسيطرة الحسن وأتباعه على العديد من المناطق أعلن عن تأسيس الدولة الإسماعيلية التي أصبحت قلعة الموت عاصمة لها.

عند الإعلان عن قيام الدولة قرر الحسن بن الصباح الذي أصبح أول رئيس أو أمير لهذه الدولة إرسال دعاته إلى العديد من المناطق لبثّ أفكار دعوته، وعلى أثر هذه الجهود المضنية التي بذلها هؤلاء الدعاة فقد تمكّنوا من استقطاب كثير من الناس وعليه تمكّن الإسماعيليون من إخضاع الكثير من القلاع والحصون في غرب وشرق إيران إلى سيطرتهم.

كان أهم دعاة الإسماعيلية الذين اعتمد عليهم الأمير الحسن بن الصباح رجلا يدعى (حسين القايني) حيث قام هذا الداعية المخضرم من إخضاع منطقة قهستان في جنوب خراسان إلى سلطته وكان ذلك عام ٤٨٤ هجرية.

في هذه الأثناء تمكَن أتباع الأمير الحسن بن الصباح من اغتيال أحد ابرز قادة السلاجقة المدعو الخواجة نظام الملك الذي كان العدوّ اللدود للأمير الحسن بن الصباح وللإسماعيليين قاطبة .

بعد اغتيال هذا القائد السلجوقي خفت ملاحقة الإسماعيلية بعض الشيء إلا أن السلاجقة كانوا يتحينون الفرص للقضاء على الدولة الإسماعيلية ومؤسسها الأمير بن الصباح.

استمر الأمير الحسن بن الصباح في الاهتمام بشؤون دولته وإرسال دعاته إلى مختلف المناطق لنشر أفكار الإسماعيلية إضافة إلى قيامه بتأسيس العديد من المدارس الدينية التي كان يشرف على إدارتها علماء بارزين ومن الذين لديهم قابلية الإقناع للتأثير على الدارسين في هذه المدارس والمعاهد الدينية على الأخذ بأفكار المذهب الإسماعيلي، وظل يسير وفق هذا الطريق حتى وافته المنية سنة ٥١٩ هجرية، وبوفاته خسرت الحركة الإسماعيلية في إيران أحد أبرز رجالها الذين ضحّوا بكلّ ما يملكون من أجل انتشار أفكار المذهب الإسماعيلي.

بعد وفاته اختير نائبه بزرك أوميد والذي كان الساعد الأيمن للأمير الحسن بن الصباح.

سار الأمير الجديد على نفس السياسة التي انتهجها الأمير الحسن بن الصباح حيث كان جل اهتمامه هو تقوية أركان دولته التي كان يكيد لها الأعداء المكائد وبالأخص السلاجقة الذين حاولوا إثارة الفتن والاضطرابات من أجل إسقاط هذه الدولة الشيعية إلا أن الأمير بزرك أميد تصدّى لهذه المحاولات وتمكّن من القضاء عليها وردّ كيد السلاجقة.

بعد تمكن الأمير بزرك أميد من السيطرة على شؤون بلاده واستقرارها الأمني اتّجه نحو إقامة المشاريع العمرانية وشق الطرق

وكري الأنهار وتقديم المنح للمزارعين وإنشاء المعاهد الدينية وبناء المساجد وغيرها من الأشياء التي تصبّ في خدمة أبناء البلاد.

استمرّ حكم الأمير بزرك أميد عشرون عاما حتى وفاته.

بعد وفاته خلفه على السلطة ولده الأمير محمد بن بزرك ، ما أن تولى الأمير محمد السلطة حتى بدأ السلاجقة إثارة المتاعب له إلا أنه تمكّن من القضاء على الخونة عملاء السلاجقة وبذلك حقق الأمن والأمان لدولته ورعيته.

كانت السياسة التي سار عليها الأمير محمد سياسة ليّنة ومتوازنة، الأمر الذي جعله أن يكون محبوبا ومحترما من أبناء شعبه وكانت سياسته هذه تتمة لسياسة والده التي كانت مستمدّة من السياسة التي رسمها مؤسس الدولة الأمير الحسن بن الصباح.

على أثر السياسة الحكيمة التي انتهجها أعوانه الذين قدّموا له خدمات جليلة استثمر خدماتهم لأبناء دولته حيث اشرف هؤلاء الرجال الأكفاء والخبرة والاقتراحات على تقديم المشورة للأمير من أجل ازدهار الوضع الاقتصادي ونموّ الحركة الفكرية التي ساهمت كثيرا في توعية أبناء البلد وحثّهم على العمل الدءوب، ونهل العلم والدفاع عن الوطن.

بعد هذه الأعمال الجليلة التي قدّمها الأمير محمد أصيب بالتعب والإرهاق، ولم تمض أيام معدودة على مرضه حتى أعلن عن وفاته.

بعد وفاته خلفه ولده الأمير الحسن، وما أن تولى السلطة حتى قام بتغيير العديد من الأفكار التي كان ينادي بها الإسماعيليون الشيء الذي أدّى إلى حدوث خلافات بين أتباع الفرقة الإسماعيلية مما أدّى إلى إثارة التذمر بين أركان السلطة إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلا إذ سرعان ما أعلن عن وفاة الأمير الحسن.

بعد وفاته تولى السلطة نجله الأمير (علي ذكره) فكان هذا الأمير أكثر تطرفا من أبيه حيث استمرّ على سياسة والده بل أن عمق الخلافات بين أتباع الإسماعيلية وانقسم الإسماعيليون إلى عدّة أقسام وقد حاول كبار رجالهم توحيد الصفوف والعودة إلى الأفكار والمبادئ التي وضعها مؤسس الدولة الإسماعيلية الأمير الحسن بن الصباح إلا أن الأمير علي وقف بوجه هؤلاء، وتمكّن من كبح جماحهم.

استمرّ حكم الأمير علي حوالي ستة وأربعون عامًا ولم يغير سياسته طيلة فترة حكمه وظلّ هكذا إلى أن حان أجله.

بعد وفاته خلفه نجله الأمير جلال الدين فكان هذا الأمير عكس أبيه حيث عاد إلى أفكار الإسماعيلية الأولى كما أمر بإقامة علاقات تجارية واقتصادية وسياسية مع الدول المجاورة لدولته وبالأخصّ مع حكومة بغداد.

خلال فترة حكم الأمير جلال الذين عادت وحدة الكلمة لأتباع الفرقة الإسماعيلية حيث ساهم رجال الدين الإسماعيلية في توحيد

صفوف أعوانهم وإقامة أواصر المحبّة فيما بينهم وشطب الأفكار التي سار عليها الأمراء الإسماعيليين الذين سبقوا الأمير جلال الدين والذين ساهموا في زرع الفرقة والخلاف بين الإسماعيليين والعودة إلى الأفكار والآراء التي نادى بها الأمير حسن الصباح مؤسس الدولة الإسماعيلية وعليه عادت الأمور إلى ما كانت عليه في زمن الأميران الحسن ونجله علي ذكره.

استمرّ الأمير جلال الدين في خدمة بلاده وشعبه إلى أن توفى، فخلفه في السلطة ولده الذي انتهج نفس السياسة التي سار عليها والده الأمير جلال الدين حيث كان محبًّا للعلم والعلماء فقام بتقريب هؤلاء والاستفادة منهم كما أنه قام بتعيين عدد منهم في مجالات عديدة لغرض تقديم أفضل الخدمات لأبناء الشعب كما أنه اهتمّ بالشؤون الزراعية ودعم المزارعين بكل شيء وتقديم القروض لهم وغيرها من القضايا التي تخدم البلد.

لم يدم حكم هذا الأمير طويلا غذ سرعان ما أعلن عن وفاته فخلفه على السلطة ولده الأمير (ركن الدولة) الذي لم يدم حكمه إلا قليلا إذ سرعان ما قام الطاغية هولاكو بإسقاط الدولة الإسماعيلية والسيطرة عليها.

وبذلك تمّ القضاء على إحدى دول الشيعة التي أسست في إيران والتي دام حكمها زهاء القرنين.

قبل أن ننهي البحث عن هذه الدولة الشيعية وجب أن نذكر بأن العديد من الباحثين قد ذكروا في كتبهم إن مؤسس هذه الدولة الحسن بن الصباح كان ملحدًا وأنه طعن في معظم الطقوس الإسلامية وغيرها من الأمور التي لم يسلم منها كل من يتهم بالتشيع ومن يطّلع على كتب التأريخ يلاحظ تلك الافتراءات والأباطيل ضدّ الشيعة ورجالهم وهنا لا أريد الدفاع عن هذا الداعية الإسماعيلي بل أتحدث عن الحقيقة، وأذكر هنا ما ذكره صاحب كتاب: (جامع التواريخ ـ ١٦٨ عن سيرة الحسن بن الصباح فقال ما نصّه: (وضع الحسن بن الصباح أساس عمله على عمله على الزهد والتقوى. لم يبحث عن جاه ومنصب، كان يصلي ويصوم ويزكي، وكان شديد التمسّك بالدين إلى درجة أنه قتل ولديه بإقامة الحدّ الشرعي عليهما بسبب شرب الخمر).

ويقول كاتب آخر عن سيرة الحسن بن الصباح ما نصّه: (إن محمد بن بزرك الذي تولّى السلطة اقتدى بسيرة الحسن بن الصباح في إقامة الشعائر الإسلامية والالتزام بالشؤون الشرعية).

هذه لمحة سريعة عن الدولة الإسماعيلية التي أسست في إيران والأمراء الذين حكموا هذه الدولة.

فاتني أن اذكر أن بعض من المؤرّخين أطلقوا على هذه الدولة (دولة الحشاشين) والغاية من هذا الأمر هو تلويث سمعة أمراء هذه الدولة لكونهم من الشيعة باتهامهم بأنهم كانوا من المدمنين على

تناول الحشيشة، فأنا أقول لهؤلاء الذين لم يكتبوا بأمانة ـ كيف أن أمراء هذه الدولة يتناولون الحشيشة ومؤسس هذه الدولة أمر بقتل ولديه بسبب شربهم للخمر، أفليس هذا الأمر هو قمة الالتزام الديني.

إذن لماذا هذه الضجّة باتّهام هؤلاء بأنهم من متناولي الحشيشة.

وهنا أتساءل: لماذا لم يتحدّث المؤرّخين عن ما كان يقوم به خلفاء بني أمية وبني العباس وآل عثمان من إقامة الليالي الحمراء والاهتمام بالجواري والرقص وشرب الخمور وتربية القرود والكلاب والاهتمام بشعر الخلاعة، وكتاب ألف ليلة وليلة شاهد على أعمال بني العباس.

قد يقول القارئ الكريم بأن المؤرّخين من واجبهم ذكروا هذه الأمور وأنا أتّفق معهم لكنني أقول أن هؤلاء قد مروا على هذا الموضوع مرّ الكرام، كما يقول المثل العربي.

إلا أن المؤرّخين ركّزوا على هذه الأمور بالنسبة لأمراء الدولة الإسماعيلية في إيران وأنا أتحدّى أي كاتب أو مؤرّخ أن يوجّه الاتهام إلى أمراء وسلاطين جميع الدول الشيعية التي أسست عبر التأريخ بأنهم كانوا من الذين يقومون بهذه الأعمال البعيدة عن الإسلام بل أن معظم هؤلاء الرجال الميامين اهتموا بالعلم والأدب والشعر وتشييد المدارس الدينية وتقريب العلماء الأجلاء وتحسين الوضع المعيشي لأبناء دولتهم، والتأريخ خير شاهد على أقوالنا فالدولة الفاطمية الشيعية الرائدة قامت بتأسيس جامعة الأزهر التي كانت ولا تزال قبلة الباحثين والطلبة المبدعين.

والدولة العلوية قامت بتشييد المعاهد والمساجد في بلاد المغرب العربي.

والدولة الحمدانية الشيعية قامت بتشييد العشرات من المراكز الدينية والعلمية وخاصّة في عاصمتها حلب الشهباء هذه المدينة التي أصبحت إحدى أهمّ المدن الإسلامية التي كانت تزدحم بطلبة العلم والأدب والتي أنجبت العشرات بل المئات من كبار الشخصيات العلمية والدينية، وهكذا كان ديدن الدول الشيعية التي أنشئت عبر التأريخ، وهكذا زينت صفحات التأريخ بسيرة أولئك الرجال العظام الذين تولوا مسؤولية إدارة هذه الدول الشيعية الخالدة التي خدمت الشريعة الإسلامية على أحسن وجه، وبهذا أدّى هؤلاء القادة الكبار خدمات جليلة لديننا الإسلامي الخالد بل أنهم ساهموا في انتشار تعاليمه السمحة بين صفوف العديد من القبائل التي كانت تدين بديانات أخرى الأمر الذي مهّد أن يقوم أبناء هذه القبائل باعتناق الدين الإسلامي، وهذه كرامة كبيرة منحها الباري جل شأنه لرجال وقادة الشيعة الذين نذروا أنفسهم لخدمة الإسلام والمسلمين.

مراجع البحث:

١_ الجماعات والفرق الإسلامية : ١٠٧_ ١٠٨.

٢_ فرق الشيعة: ١_ ٧.

٣_ أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرامطة: ١١٠_ ١٣٠.

٤_ طائفة الإسماعيلية_ تأريخها_ نظمها: ١٢٠_ ١٣٠.

٥_ الحشاشون_ لبرنارد لويس_ ترجمة محمد العزب.
٦_ الكامل في التأريخ ج٨: ٢٢٣، ج١: ١١٦_ ١١٨.
٧_ الشيعة في إيران: ٣٥٢_ ٣٦٥.
٨_ جامع التواريخ: ١٤، ١٥.
٩_ تأريخ جهانكشاي_ فارسي ج٣: ٣٦٩.
١٠_ مجمع الأنساب: ١٢٨.
١١_ التأريخ الإسلامي_ دروس وعبر: ٢١١.
١٢_ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصر: ٨٠_ ٨٣
١٣_ الشيعة في العهد المغولي: ١٤.
١٤_ لسان الميزان_ لابن حجر ح٥: ٢٦٣.
١٥_ مجالس المؤمنين_ ح٢: ٣١١.
١٦_ مجمع التواريخ السلطانية_ حافظ برو: ٢١٣_ ٢١٤.
١٧- تأريخ الإسلام السياسي ج٤: ٢٦٨_ ٢٧٠.
١٨_ إتحاف المسترشدين: ٤٥.
١٩_ تأريخ ابن الوردي ح٢: ١٣، ٣٢.
٢٠_ صبح الأعشى ح١: ١٢١.
٢١_ الاعلام_ مجلد ٢: ١٩٣.
٢٢_ تأريخ العلويين: ٢٧٣.
٢٣_ ميزان الاعتدال ح١: ٢٣٢.
٢٤_ تأريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٩٥_ ١٩٧.

٢٥_ أعلام الإسماعيلية: ٤٨٤.

٢٦_ الأعلام_ مجلد ٦: ٢٧٨.

٢٧_ الموسوعة العربية الميسرة_ مجلد ١: ٧٢٠.

٢٨_ سير أعلام النبلاء ج١٣: ٦٠٣.

دولة بني حمود
في الأندلس

دولة بني حمود:

كما هو معروف بأن الشيعة قد تمكنوا من تأسيس دولتين كبيرتين في شمال أفريقيا القريبة من الأندلس التي كانت تحكم من قبل الأمويين وهما الدولة الإدريسية والدولة الفاطمية، وقد تحدّثنا عنها من قبل، وعلى أثر تأسس هاتين الدولتين في هذه المنطقة، فقد نمت بذرة التشيع وظلّت تنمو ولو بشكل محدود حتى بعد القضاء على هاتين الدولتين، وعلى هذا الأساس فإن جمهوراً كبيراً من أبناء هذه البلاد تأثروا بالأفكار الشيعية وعليه ظلت راسخة في أذهانهم، وهذا أمر لا نقاش فيه، وبما أن العناصر الثلاثة الرئيسية التي كان لها دور في تأسيس عدّة دول لهم في شمال أفريقيا هم العلويون والأمويون والأغالبة، وهؤلاء الأغالبة كانوا مدعون من قبل العباسيين بل أنهم مؤيدون لهم قلبا وقالبا.

كانت هذه العناصر الثلاثة تتحين الفرص لإعادة مجدهم وكان في مقدمتهم العلويين الشيعة الذين بذلوا محاولات عديدة من أجل إعادة ذلك الكيان الذي أقاموه في المغرب في القرن الهجري الثالث ألا وهو تأسيسهم لدولتهم في تلك المنطقة والتي تحدثنا عنها في كتابنا هذا إلا أنهم جوبهوا بمحاربة عنيدة من قبل الأمويين والعباسيين وخاصة بعد أن اتّخذ الفاطميون الذين أسسوا أكبر دولة شيعية في التأريخ من مصر مقراً رئيسيًّا لهم، في خضمّ هذه الأحداث تمكّن اثنان من قادة العلويين وهما علي وأخيه قاسم الذين كانوا زعماءً

لأسرة علوية تعرف بـ(بني حمود) وهما من أحفاد القائد العلوي الكبير إدريس بن عبد الله مؤسس الدولة العلوية في المغرب.

تمكن هذان القائدان من الوصول إلى الأندلس وبالذات إلى إحدى كبريات المدن الأندلسية وهي مدينة قرطبة التي كان يتواجد بها مجموعة من الشيعة وأتباعهم.

ما أن وصل هذان القائدان إلى قرطبة حتى بدءوا بجمع صفوف الشيعة وبعد مساعي كبيرة تمكنا من تشكيل مجاميع سرية مدرَّبة ومهيأة للعمل على إسقاط السلطة الأموية التي كانت تحكم هذه المدينة وتأسيس دولة شيعية.

واصل القائدان الشيعيان على جمع صفوف أتباعهم والعمل بسريّة تامّة حتى لا ينكشف أمرهم لأنّ أتباع الأمويين كان لهم دور فاعل في الأندلس حيث كانت لهم دولة كبيرة وقوية هناك، وهذا الأمر معروف لدى عامة الناس، وكان لهذه الدولة شأن عظيم حيث كان حكّام هذه الدولة رجال أشداء تمكّنوا من السيطرة على الأندلس لقرون عديدة وقد فرضوا سيطرتهم على البلاد بقوّة، وللأمانة نقول: بأنهم قدّموا خدمات جليلة للإسلام من خلال انتشار الإسلام في الأندلس، كما أن هؤلاء الحكام تمكّنوا من الوقوف بوجه خصوم الإسلام الذين حاولوا القضاء على الدولة الإسلامية واعني بهم الأوربيون الذين بذلوا الكثير من الجهود من أجل إسقاط هذه الدولة المسلمة لكن حنكة وقوّة

الحكام الذين حكموا هذه الدولة تمكّنوا من إفشال المخططات الأوربية.

إلا أنّ مجيء حكّام ضعفاء لهذه الدولة العملاقة مكّنت خصومهم من الأوربيين من إضعافهم ومن ثم السيطرة على العديد من أجزاء الدولة باستثناء بعض المناطق التي بقيت تحكم من قبل أمراء من المسلمين، وبهذا تجزأت الدولة وأصبحت عبارة عن دويلات صغيرة تحكم من قبل بعض القبائل العربية التي كانت تسكن في هذه المناطق.

استفاد رجال الشيعة من قيام هذه الدويلات التي أدّت إلى ضعف الدولة الأموية ومن ثمّ انحسار سلطتها.

بعد أن أيقن الثوار أن الوقت قد حان لإعلان تأسيس دولتهم قاموا بإعلان الثورة ضدّ الحاكم الأموي الذي كان يدعى بـ(المستعين) والذي كان يحكم مدينة قرطبة والمناطق القريبة منها وعليه قامت القوات الشيعية التي قادها الأخوين علي وقاسم بالهجوم على الأماكن التي يتواجد بها الأمويين الذين تصدوا لقوات الثوار إلا أن الثوار تمكّنوا من إلحاق الهزيمة بالأمويين، وبهذا تمّ الإعلان عن قيام دولة شيعية في مدينة قرطبة، وكان ذلك عام (٤٠٧ هجرية) .

بعد تأسيس هذه الدولة التي أصبح الزعيم الشيعي علي بن حمود أميرًا لها أخذت القبائل الشيعية التوجّه إلى مدينة قرطبة لدعم الدولة الجديدة الأمر الذي أدّى إلى توسيع المدينة حتى أصبحت مدينة

كبيرة مترامية الأطراف وعلى أثر هذا التوسّع الكبير قام رجال السلطة بالعمل على نشر الأفكار الشيعية من خلال إرسال العديد من رجال الدين الشيعة إلى القبائل العربية التي كانت تسكن في المناطق القريبة من دولتهم لدعوتها إلى حمل هذه الأفكار الصائبة.

كما قام هؤلاء الحكام بإنشاء العشرات من المدارس الدينية التي تفرّغت لتدريس الأفكار الشيعية والأمور الدينية الأخرى.

بعد الفشل الذريع الذي مُني به الأمويين وأتباعهم والذي أدّى إلى استيلاء الثوار الشيعة على مدينة قرطبة وطردهم منها قاموا بتوحيد صفوفهم وترك خلافاتهم من أجل إعادة هيبتهم ومن ثمّ سيطرتهم على قرطبة مرّة أخرى، إلا أن رجال الشيعة كانوا لهم بالمرصاد.

بذل زعماء الأمويين مساعي كبيرة من أجل القضاء على الشيعة، وقد تمكّنوا من الحصول على دعم عدد من القبائل التي كانت تحارب الأفكار الشيعية.

بعد أن تأكّد الأمويين بأن باستطاعتهم إعادة السيطرة على استرجاع مدينة قرطبة وإسقاط الدولة الشيعية قاموا بإعلان الثورة وكان ذلك عام (٤١٤ هجرية) أي بعد سبعة سنوات على تأسيس الدولة الشيعية.

بعد الإعلان عن الحركة الأموية قامت القوات الشيعية بالتصدّي للقوات الأموية التي كانت تفوق قوات الشيعة، وبهذا حدثت معارك ضارية وعنيفة بين الجانبين أسفرت عن دحر القوات الشيعية بسبب

وصول قوات إضافية للأمويين من قبل أتباعهم الذين كانوا يتحينون الفرص للقضاء على الدولة الشيعية.

على أثر هذه التطورات تمكّن الأمويين من إعادة السيطرة على مدينة قرطبة.

لم تمض فترة طويلة على هذا التطوّر حتى قام الثوار بإعادة ترتيب أمورهم ومن ثمّ الاستعداد لمهاجمة القوات الأموية التي تمكّنت من إحكام السيطرة على مدينة قرطبة والأماكن التابعة لها، وهنا لابدّ من الإشارة إلى أن القوات الأموية قامت بأعمال إجرامية بشعة ضدّ أبناء الشيعة بعد إعادة سيطرتها على مدينة قرطبة، إلا أن رجال الشيعة وأبناءهم صمدوا بوجه رجال السلطة وتمكّنوا من كبح جماحهم من خلال صبرهم الطويل وهذا الأمر ليس بعيدًا عن أبناء هذه الطائفة حيث تعرضوا ومنذ استشهاد الإمام علي عليه السلام إلى مصائب ومحن وقتل وتهجير وقطع الأرزاق وإلى يومنا هذا ومن ينظر إلى ما يتعرّض له الشيعة الآن وفي جميع الدول التي يتواجدون فيها يرى بأم عينيه تلك المجازر التي تنال منهم بدأ بالعراق ولبنان وأفغانستان والباكستان والهند وغيرها من دول العالم.

نعود إلى صلب موضوعنا، بعد أن تأكّد رجال الشيعة الأشاوس بأن في استطاعتهم إعادة السيطرة على مدينة قرطبة قام فرسانهم الأبطال بالهجوم على المدينة من عدة محاور فتصدّت لهم القوات الأموية الكثيرة العدد والعدّة، ودارت بين الطرفين معارك عنيفة استبسل فيها

أبناء الشيعة الغيارى، فصنعوا الملاحم تلو الملاحم من أجل دحر القوات الأموية البغيضة، وبعد تضحيات جسام تمكّنت قوات الثوار من دحر القوات الأموية ومن ثم إعادة السلطة الشيعية التي كانت مسيطرة على بعض المناطق النائية، أثر إعادة السيطرة على مدينة قرطبة من قبل الأمويين عام (٤١٤ هجرية) أي أن السلطة الشيعية أو بالأحرى الدولة الشيعية لم تسقط نهائيا وهو ما أحببنا ذكره هنا حيث كانت لديها موطئ قدم في بعض المناطق النائية.

وهكذا تمكّن الثوار الشيعة من إعادة حكم قرطبة بعد مرور ستة عشر شهرًا من تولّي الأمويين حكمها.

بعد تلك الأحداث لم يهدأ الأمويين بل حاولوا مرّة أخرى من استعادة السلطة إلا أن رجال الشيعة المقتدرين كانوا لهم بالمرصاد.

بقى الحكم بيد الشيعة عدّة سنوات فقاموا بتقديم العديد من الخدمات إلى أبناء دولتهم بالرغم من أنهم كانوا على حذر وفي إنذار دائم لأنهم كانوا على علم بنوايا الأمويين الذين لم يهدأ لهم بال بسبب تأسيس هذه الدولة في هذه المناطق التي حكموها مئات السنين.

قلنا لم يهدا للأمويين بال خلال فترة حكم الشيعة لمدينة قرطبة والأماكن التابعة لها وعليه عملوا بكل ما يستطيعون من أجل إعادة سلطتهم على هذه المناطق وطرد الشيعة منها وبهذا شكّلوا منظمات سريّة للعمل على زعزعة الأمن وإثارة القلاقل بوجه الحكام الشيعة،

هذا من جانب أما من جانب آخر فإن زعماء بني أمية واصلوا اجتماعاتهم التي خطّطوا فيها كيفية القضاء على دولة (بنو حمود) الشيعية.

بعد هذه الاجتماعات قرر هؤلاء تشكيل مجاميع من الشباب الأموي لغرض تدريبهم ومن ثمّ إعدادهم لإسقاط الدولة الشيعية، على أثر هذه الجهود الحثيثة أصبح للأمويين جيشًا يعتمد عليه حيث انظمّ الآلاف من الأمويين إلى هذا الجيش الذي كان يدرّب في المناطق النائية البعيدة عن أعين السلطات الشيعية.

بعد أن تأكّد زعماء الأمويين بأن في إمكانهم التحرّش بالقوات الشيعية قامت هذه المجاميع بالاشتباك مع هذه القوات في مناطق عديدة من أنحاء البلاد.

تمكّنت القوات الأموية من أن تحصل على موطئ قدم في بعض المناطق التي كانت تخضع للسلطة الشيعية بسبب دعم القبائل العربية الموالية للأمويين.

شعر الأمويون بنوع من الارتياح بعد تمكن قواتهم من السيطرة على بعض المواقع الأمر الذي زاد من عزيمتهم وعليه قرروا القيام بهجوم واسع وشامل على القوات الشيعية ومن جميع المناطق الخاضعة لسلطتهم.

استعدّ الأمويون لتنفيذ هذا الهجوم وما أن قاموا به حتى تصدّت لهم القوات الشيعية فدارت معارك عنيفة فيما بينهم كانت الغلبة فيها

للقوات الأموية، وبهذا سيطرت هذه القوات على مدينة قرطبة وتمكّنت من طرد القوات الشيعية منها، إلا أنه سرعان ما هاجمت هذه القوات الأمويين بعد أن تمكنت من لملمة شملها.

لم يمض وقت طويل على إعادة استيلاء الشيعة على دفّة الحكم وطرد الأمويين حتى قام الأمويون بالهجوم مرة أخرى على مدينة قرطبة وتمكّنوا من احتلالها.

وهكذا ظل حكم قرطبة والمناطق التابعة لها متأرجحًا بين الأمويين والعلويين ولفترات طويلة، وبقيت الحالة على هذا المنوال إلى أن تمكّن أمير المرابطين (يوسف بن تاسفين) من السيطرة على اشبيلية وقرطبة وغرب الأندلس وبعد استيلائه على هذه المناطق أعلن عن تأسيس (دولة بني عباد) التي خضعت لها جميع القبائل العربية التي كانت متواجدة في هذه المناطق وبهذا تمّ القضاء على دولة بني حمود الموالية لآل البيت عليهم السلام التي تمكّنوا من تأسيسها بالرغم من وقوف الأمويين وأتباعهم وقفة رجل واحد للحيلولة من قيام دولة شيعية في الأندلس إلا أن بني حمود هذه الأسرة العلوية العريقة تمكنوا من تأسيس دولتهم في الأندلس رغم المحاولات العديدة التي حالت دون تأسيس هذه الدولة، وهنا يمكننا القول بأن هذه الطائفة وأبنائهم الشجعان كان لهم ثقل كبير في أفريقيا والأندلس، وما تحدثنا عنه لهو دليل أكيد على قولنا هذا، وما قيام دولة بني حمود في الأندلس الذي دام حكمها ما يقارب الخمسين عاما إلا جواب حاسم

على أن للشيعة حجم كبير في جميع أنحاء العالم وليس في أفريقيا والأندلس وحدها وأن تأسيس الدول الشيعية في الأقاليم الإسلامية المترامية الأطراف والتي تحدّثنا عنها في كتابنا هذا يؤكّد تواجد أبناء الشيعة في كل مكان من أرض الله الشاسعة، هذا وقد تعاقب عدّة أمراء من بني حمود على حكم دولتهم وهم القاسم المأمون، يحيى المعتلي، إدريس المتأيد، حسن المنتصر، إدريس الثاني، محمد الأول المهدي، إدريس الثالث، محمد الثاني المستعلي.

مراجع البحث:

١ـ الكامل في التأريخ ح٩: ١٠٠ـ ١٤٠.

٢ـ تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ج٣: ١٨٥ـ ١٩١.

٣ـ نفح الطيب ـ للمقري ح١: ٧٣.

٤ـ الشيعة في التأريخ : ١٤١.

٥ـ تأريخ ابن خلدون ج: ٥ : ١٩٥ـ ٢٠٠

٦ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ٣٤.

٧ـ تأريخ الشيعة السياسي ح١: ٨٩ـ ٩٠.

٨ـ تأريخ الشيعة ح٢: ١٢٠.

٩ـ الاعلام ـ للزركلي ـ مجلد ٤: ٢٨٣.

١٠ـ البيان المغرب ح٣: ١١٣ـ ١١٩.

١١ـ جذوة المقتبس : ٢١، ٣٢.

١٢ـ الذخيرة ـ لابن بسام ـ مجلد١: ٢٧١ـ ٢٧٢.

١٣_ أخبار الجزيرة الأندلسية: ١٥٤.

١٤_ جمهرة الأنساب: ٤٥.

١٥_ الإحاطة ج١: ٢٦٩.

١٦_ الجداول المرضية: ١٩٥.

١٧_ الموسوعة العربية الميسرة_ مجلد٢: ٧٤٠.

١٨_ سلوة الأنفاس ج٣: ٨٣.

١٩_ سير أعلام النبلاء ج١٣: ٧١، ٧٢، ٧٥، ٣١٦.

الإمارة الشيرازية
في جزر القمر

الإمارة الشيرازية:

في بداية البحث عن هذه الإمارة الشيعية لابدّ أن نتحدث وبإيجاز عن جمهورية القمر.

تقع هذه الجمهورية التي يشكل العرب غالبية سكانها في قارة أفريقيا وتتكون من أربعة جزر هي: الخوان، موهيلي، القمر وقد حصلت هذه الجزر الثلاث على الاستقلال من فرنسا عام ١٩٧٥، أما الجزيرة الرابعة وهي: مايوث، فقد بقيت تحت الاحتلال والى يومنا هذا.

تبلغ مساحة هذه الجمهورية مليون وأربعمائة كيلو متر وعاصمتها مدينة (موروني) ويبلغ عدد نفوسها أكثر من مليون نسمة، بعد استقلال هذه الدولة دخلت الأمم المتحدّة ثم تقدّمت بطلب الانضمام إلى الجامعة العربية فتمّ قبولها أيضًا.

دخل الإسلام إلى هذه المنطقة في القرن الثاني الهجري على يد التجار المسلمون الذين كانوا يتاجرون بالعطور التي تشتهر بإنتاجها هذه الجزر ولازال إلى يومنا هذا.

في القرن السابع الهجري وصل إلى جزر القمر مجموعة من التجار الشيعة من أبناء مدينة شيراز الإيرانية التي ينحدر منها العشرات من فطاحل علماء الشيعة الذين أصبحوا فيما بعد من أبرز رجال الدين لطائفة الإمامية في التاريخ أمثال آية الله العظمى السيد حسن الشيرازي أحد كبار رجال الدين الشيعية في القرن الثامن عشر الميلادي والشيخ

محمد تقي الشيرازي قائد الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ وآية الله العظمى السيد محمد مهدي الشيرازي الذي لقب بسلطان المؤلفين لكثرة مؤلفاته التي بلغت أكثر من ألف كتاب والتي كان أغلبها في مجال الفقه الإسلامي وتفسير القرآن الكريم وتأريخ الشيعة في العالم وغيرها من الكتب القيمة.

لم تقتصر جهود الإمام الشيرازي رحمة الله عليه في مجال التأليف فقط بل أنه قام بتأسيس العشرات من المعاهد والمدارس الدينية في عدد كبير من القارة الأفريقية.

هذا وقد شاهدت بأم عيني العشرات من الطلاب الأفارقة وهم يدرسون الفقه الشيعي في الحوزة الزينبية في السيدة زينب عليها السلام في سوريا التي أنشاها السيد الشيرازي وشقيقه السيد حسن رحمه الله.

نعود إلى موضوع بحثنا، قلنا أن أفكار المذهب الجعفري وصلت إلى منطقة جزر القمر على يد مجموعة من التجار الشيرازيين.

ما أن دخلوا هؤلاء التجار إلى هذه المنطقة حتى قاموا بإنشاء العديد من المشاريع التي استقطبت الطبقة الفقيرة والمسحوقة من أبناء هذه الجزر، كما قام التجار بتأسيس عدد من المدارس الدينية لتدريس الفقه الجعفري الذي لاقى إقبالاً شديداً من قبل أبناء جزر القمر، بسبب انعدام الوعي الثقافي في هذه الجزر وبعدها عن الدول الإسلامية الكبيرة التي يوجد بها الجامعات والمدارس الدينية التي تتخصص بدراسة الفقه الإسلامي.

من الأمور الهامة الأخرى التي اهتمّ بها التجار الشيعة هي تطوير الزراعة حيث قاموا بحفر الآبار وتنظيف الأنهر وإقامة القناطر وإنشاء خزانات كبيرة وضخمة لحفظ مياه الأمطار ومن ثم استعمالها في المواسم التي لا تسقط فيها الأمطار.

ساهمت هذه الأمور في ازدهار الزراعة وتحسين المنتوج الزراعي مما زاد في رفاه المزارع وانتعاش الوضع الاقتصادي لهذه الدولة.

بعد استقرار هؤلاء التجار في هذه الجزر وبعد التفاف غالبية كبيرة من أبناء البلد حول هذه الجزر من الفقر الشديد، أعلن عن قيام الإمارة الشيعية في هذه البلاد والتي أطلق عليها بالإمارة الشيرازية.

وما أن أعلن عن تأسيس هذه الإمارة حتى تمّ إنشاء العديد من الدوائر الخدمية والمحاكم وجهاز الشرطة وغيرها من مقومات الدولة، وبذلك ساهمت هذه الإمارة الشيعية في إنقاذ أبناء البلاد من الوضع المأساوي الذي كان يسود المنطقة حيث كان يعيش أبناء جزر القمر عيشة تعيسة إلى أبعد الحدود بسبب انعزال هذه الجزر وندرة وسائل العيش وعدم تطوّر الزراعة فيها مما جعل الكسل مسيطرا على أبناء هذه الجزيرة التي كان أبناؤها يعيشون في أتعس حال..

تولّى عدد من الأمراء المقتدرين حكم هذه الإمارة حيث كان هؤلاء مثالاً للعدل والتسامح وزرع بذور الأخوة بين أبناء الدين الواحد

والعمل على توحيد كلمة المسلمين دون الميل إلى مذهب من المذاهب الإسلامية الخمسة.

كان من أبرز الأمراء الأجلاء الأمير عباس قلي والأمير محمد غلامي والأمير حسين باقري وغيرهم من الرجال الكرام الذين بذلوا كل ما يملكون من أجل خدمة الإسلام والمسلمين.

وهكذا عاش أبناء جزر القمر وعلى اختلاف مذاهبهم حياة مستقرة دون حدوث مشاكل أو منازعات فيما بينهم.

دام حكم الأمراء الشيعة لهذه المنطقة زهاء المائة عام حيث انتهى الحكم الشيعي لهذه البلاد على يد بعض القراصنة الذين كانوا يجوبون المناطق الأفريقية، وبهذا سقطت هذه الإمارة الشيعية على أيدي هؤلاء القتلة الذين كان همهم الوحيد هو الاستيلاء على أموال الناس وحرق مزارعهم والاعتداء على أعراضهم.

ظلّت هذه الجزر التي تتكون منها جمهورية جزر القمر الآن عرضة للعبث والتدمير من قبل هؤلاء الأوباش لفترة طويلة حيث كانت هذه المجاميع الضالّة تتقاتل بينها من أجل الاستيلاء على الجزر والمناطق الأفريقية لغرض نهب خيراتها إلى أن قامت القوات الفرنسية باحتلال هذه الجزر والكثير من الدول الأفريقية وكان ذلك في بداية القرن السابع عشر الميلادي وظلّت هذه الدولة الاستعمارية الغاشمة مسيطرة على منطقة جزر القمر إلى عام ١٩٧٥ حيث أعلن عن استقلال هذه الجزر وقيام الجمهورية فيها وكان أوّل رئيس لهذه

الجمهورية هو السيد أحمد عبد الله وهذا الرجل هو من السادة الأشراف ويرجع نسبه إلى الإمام الحسين عليه السلام كما جاء في رسالة سادن الروضة الحسينية السابق للشيخ الفاضل آية الله الكرباسي مؤلف دائرة المعارف الحسينية حيث ذكر الشيخ صاحب هذه الموسوعة الرائعة بأن السيد سادن الروضة الحسينية بعث برسالة له يذكر هذا الأمر ويقول له بأنه لاحظ السرور وقد بدى على شخص الرئيس أحمد عبد الله عندما جاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في عام ١٤٠٥ هجرية، وقد ذكر له الرئيس بأنه من أسرة علوية يرجع نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام.

لم يمض وقت طويل على استقلال هذه الدولة عن فرنسا حتى قام أحد الضباط الفرنسيين القدامى وبدعم من الحكومة الفرنسية بغزو جزر القمر ومن ثم الاستيلاء على السلطة وقتل الرئيس أحمد عبد الله، وكان عمل هذا الجنرال السفاح الذي كان يدعى بـ(بوب دينار) تنفيذاً لأمر الحكومة الفرنسية بسبب قيام الرئيس أحمد عبد الله بمطالبة الحكومة الفرنسية بالخروج من الجزيرة الرابعة التابعة لدولة جزر القمر والتي قامت القوات الفرنسية بسلخها من الوطن الأم.

بعد استيلاء بوب دينار على جزر القمر قامت مظاهرات صاخبة في جميع مدن جزر القمر للمطالبة بخروج هذه العصابة ومحاكمة الجنرال بوب وأتباعه، كما قامت الدول الأفريقية بعرض القضية على جميع المنظمات الدولية وكان في مقدمة هذه المنظمات منظمة

الأمم المتحدة ومنظمة الدول الأفريقية وغيرها من المنظمات العالمية.

كما قامت الدول الأفريقية بتشكيل فرقة عسكرية لغرض إنزال هذه القوات في جزر القمر لطرد الجنرال بوب وأتباعه أن رفض الانسحاب من هذه الدولة.

لما علم الجنرال بوب دينار وأعوانه بجدية الأمر قرر الهروب من هذه الدولة بعد أن عبثت قواته بممتلكات أبناء البلد وقتل العديد من الناس الأبرياء الذين وقفوا بوجه هؤلاء القراصنة.

بعد هروب الجنرال الفرنسي وأزلامه عادت الأمور إلى طبيعتها حيث أدار أبناء البلاد شؤون بلادهم وقاموا بانتخاب رئيس جديد لهم.

ظلت جذور المذهب الجعفري في هذه الجزر تنمو شيئًا فشيئًا وإلى يومنا هذا، أحب أبناء هذه البلاد رجال الشيعة الذين حافظوا على تواجدهم بالرغم من أنهم يشكلون أقليّة تجاه أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى.

إلا أن اتّصاف رجال الشيعة بالمرونة وسعة الصدر ورجاجة العقل وبذل كل ما يملكون من أجل العمل على وحدة المسلمين والوقوف بوجه الجهات المدعومة من قبل الغرب جعلت من أبناء البلاد أن يصوتوا لصالح الرئيس أحمد السامي الذي رشّح لتولّي منصب رئاسة الجمهورية عام ٢٠٠٦ وسامي هذا أحد رجال الدين الشيعة

في جزر القمر الذي تمكّن من الفوز بمنصب الرئاسة ضدّ خصمه الزعيم إبراهيم خالدي الذي كان مدعوما من قبل الحزب الحاكم وبذلك يكون السيد سامي أوّل رئيس شيعي لهذه الجمهورية فاز بانتخابات ديمقراطية وحرة أشرف عليها مجموعة من الخبراء الدوليين أرسلتهم العديد من المنظمات الدولية مثل منظمة الأمم المتّحدة ومنظمة الاتّحاد الأفريقي ومنظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية.

هذا وقد حصل السيد أحمد سامي على نسبة ٧٢٪ من أصوات الناخبين من أبناء جزر القمر.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أن السيد أحمد سامي ينحدر من أسرة علوية سكنت هذه الدولة منذ قرون عديدة، والسيد سامي هو من خريجي الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة الإيرانية، وهذه الحوزة هي إحدى الحوزات الشيعية الكبيرة في إيران وقد درس السيد سامي على يد العديد من كبار رجال الدين الشيعة وفي مقدّمتهم الزعيم الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي أحد زعماء الشيعة في العراق ومن الذين غادروا بلاد الرافدين تخلّصًا من النظام القمعي لسلطة الطاغية صدام حسين.

هذه لمحة سريعة عن الإمارة الشيرازية الشيعية التي أسست في جزر القمر في القرن السابع الهجري والتي ساهم أمراؤها في نشر الأفكار الشيعية في أفريقيا حيث ينتشر الآن الشيعة وبالخصوص

الجعفرية والإسماعيلية في العشرات من الدول الأفريقية، ولعلّ ابرز هذه الدول (السنغال، الكونغو، كينيا، نيجريا، زنجبار، جنوب أفريقيا، زامبيا، النيجر، توغو، ساحل العاج، مدغشقر) وغيرها من الدول الأفريقية.

هذا وقد حكمت العديد من الدول الأفريقية أسر علوية معروفة منها الأسرة السنوسية التي حكمت ليبيا والأسرة العلوية التي حكمت المغرب ولاتزال، وهناك أسر علوية تتولى العديد من المناصب الحكومية في مختلف الدول الأفريقية.

وأخيرًا يمكننا القول بأن رموز الشيعة وفي مقدمتهم الإمام الحسين عليه السلام يسكنون في قلوب الملايين من أبناء الدول الأفريقية حيث يتوجّه المئات من أبناء هذه الدول لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وعلى مدار السنة، وقد التقيت بالعديد من هؤلاء أثناء زياراتهم لمدينة كربلاء المقدسة.

وهنا أحببت أن أشير إلى هذه الحادثة التي تنم عن مدى الحبّ الكبير الذي يكنه الأفارقة للإمام الحسين عليه السلام.

في عام ١٩٧٨ شاهدت وقوف حافلة تحمل ما يزيد على عشرين راكبا وكانت في واجهة هذه الحافلة لافتة كتب عليها وفد وزارة الخارجية التنزانية، وقفت هذه الحافلة بالقرب من مرقد الإمام الحسين عليه السلام وعند وقوفها ترجل منها مجموعة من الرجال يتقدّمهم رجل وقور محاط بمجموعة من أعوانه، بعد نزولهم

توجّهوا نحو مرقد الإمام الحسين عليه السلام لأداء مراسم الزيارة، قبل دخولهم المرقد المقدّس انتبهت إليهم وإذا بهم حفاة، فلفت هذا الأمر انتباه جميع الناس الذين كانوا يسيرون في تلك المنطقة.

شدّني هذا المنظر مما جعلني أن أذهب إلى سائق الحافلة وأسأله من هذا الرجل الذي كان يتقدّم هؤلاء فقال لي: أنه وزير خارجية تنزانيا إلا أنه (مجنون) على حدّ زعم هذا الرجل، فقلت له: لماذا مجنون؟ فقال: ألم تره حافيا! فقلت: أن عمله هذا احتراما لقدسية مدينة كربلاء، فنهرني بشدّة، وقال لي: اذهب عن وجهي لعنك الله يا رافضي فغادرت المنطقة على عجل بعد أن اتّجهت إلى أحد الأزقّة القريبة في المنطقة، أما سبب قول السائق على هذا الرجل بمجنون لأنه كان حافي القدمين، هذا ما وددت أن أذكره هنا عن تلك المنزلة الرفيعة التي يتمتّع بها رموز الشيعة الأفذاذ ورجالهم الخالدين وفرسانهم الشجعان ورجالهم الكبار المتنوّرين الذين يتمنون الخير والرفعة والصّلاح لكلّ المسلمين من خلال أفكارهم الصائبة وجهودهم المستمرّة التي تصبّ في خدمة الإسلام والمسلمين، ومن يلاحظ المؤلفات القيمة التي يقوم بتأليفها ونشرها أبناء هذه الطائفة يلاحظ مدى الرؤيا الناصعة التي يسعى أبناء الطائفة من أن تكون طريقًا لجمع الصف وتقوية أواصر المحبة والألفة بين جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم وقومياتهم، قبل فترة من الزمن قال لي أحد الأخوة الأعزاء من أشقائنا السنة يا حاج سعيد أنك تدعو في

كتابك إلى احترام آراء جميع فقهاء ومشايخ المسلمين، وهذا مشكورٌ عليه إلا أن قسمًا من كتبكم وخاصّة القدماء ينتقدون سيرة العديد من صحابة الرسول ﷺ وهذا الشيء لا نقبل عليه.

قلت للأخ العزيز: إن لكل فعل ردّ فعل وإن ما جاء في بعض الكتب القليلة من انتقاد لسيرة بعض الصحابة كما نقول كان بسبب ما كان يقوم به هؤلاء من إساءة لأئمة آل البيت عليهم السلام فمثلاً معاوية بن أبي سفيان أمر بلعن الإمام علي عليه السلام وهذا الأمر موثّق في العشرات من كتب التاريخ والسيرة الموثقة والمعتمدة، وعمر بن العاص قاد الجيوش لمحاربة إمام زمانه ورئيس الدولة الإسلامية الإمام علي عليه السلام وطلحة بن الزبير قاد جيشًا كبيرًا وجاء به لمحاربة خليفة المسلمين وشقّ عصى الطاعة عليه بعد أن بايعه بمحض إرادته وغيرهم ممن وقفوا مع ابن أبي سفيان الذي قتل بسبب حربه ضدّ الإمام عشرات الصحابة الأجلاء، وكان في مقدمة هؤلاء الصحابة الصحابي الكبير الذي قال فيه الرسول ﷺ عشرات الأقوال التي تشيد بجهاده وسيرته ومن ثم القول الخالد الذي قاله الرسول ﷺ به: (يا عمار تقتلك الفئة الباغية).

أفلا يكفي ما قام به من أعمال ضدّ الحق المتمثّل بالإمام علي عليه السلام هؤلاء الرجال أن يقوم مفكرو الشيعة بانتقاد النهج الذي ساروا عليه هؤلاء، فإن ما يكتبه رجال الفكر الشيعة عن هؤلاء هو الحقيقة والحقيقة لا يمكن طمسها ولكن بأسلوب عقلاني خالي

من القذف والشتم، بعد هـذا الحـوار شـكرني أخـي العزيـز وقـال: فلندعو لكل المسلمين بالخير، فقلت: إنشاء الله.

١_ قناة الجزيرة الفضائية_ برنامج تحت المهجر لسنة ٢٠٠٦.
٢_ جريدة الهدى العراقية_ العدد_ ١٧_ لسنة ٢٠٠٦.
٣_ الشيعة في أفريقيا: ١٣٠_ ١٣١.
٤_ دائرة المعارف الحسينية ج٣: ١٣١.
٥_ هذا الحسين عليه السلام: ٢٣٤.
٦_ مجلة العربي الكويتية_ العدد (٢٠١) أغسطس_ ١٩٧٥.

الدولة المزيدية
في العراق

الدولة المزيدية:

هي إحدى دول الشيعة التي أسست في العراق أولا ومن ثمّ توسّع نفوذها حتى شمل مناطق شاسعة من سواحل الخليج العربي، كما خضع إلى سيطرتها العديد من مدن الجزيرة الغربية كمدينة عانة ومدينة تكريت وغيرها من المدن والقصبات التي كانت تشكّل مساحة واسعة من الصحراء الغربية.

أسست هذه الدولة في نهاية القرن الرابع الهجري، أما مؤسس هذه الدولة هو القائد دبيس بن مزيد الأسدي أحد القادة الكبار الذين كانوا يتمتعون باحترام كبير لدى عامة العراقيين وبالخصوص قبيلة بني أسد هذه القبيلة العربية المعروفة في العراق والجزيرة العربية والتي أنجبت العشرات من الشخصيات المرموقة في شتى المجالات من الشجاعة والشعر والرأي السديد، وقد أكرم الباري عزّ وجلّ أبناء هذه العشيرة بأن جعل لها الفخر والعزّ، ألا وهو قيام أبناء هذه القبيلة بدفن الجسد الطاهر للإمام الحسين عليه السلام وآل بيته الأطهار.

كان دبيس الأسدي رجلا تقيًّا، زاهدًا، محبًّا لآل البيت عليهم السلام، مما جعل أن يلتف حوله جمع غفير من أبناء العراق الموالين لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وعلى أثر هذا الأمر طلب منه هؤلاء أن يقوم بتأسيس دولة موالية لمذهب آل البيت عليهم السلام.

بعد مناقشات عديدة مع أعوانه قرّر الإعلان عن قيام هذه الدولة الشيعية التي أسماها بـ(الدولة المزيدية).

ما أن أعلن عن قيام هذه الدولة حتى بايعته القبائل العربية التي ينتمي أبناؤها إلى المذهب الجعفري وبالخصوص قبيلة بني أسد والتي كان القائد دبيس الأسدي أحد زعمائها.

كان من أوّل مهام هذه الدولة الشيعية هو تأمين الطرق المؤدّية إلى مدينة كربلاء المقدسة من قطاع الطرق واللصوص الذين كانوا يقومون بسلب زائري الإمام الحسين عليه السلام.

أما ثاني عمل قام به هو بناء مرقد الإمام الحسين عليه السلام وتشييد المساكن التي خصصها لسكن الزائرين الكرام الذين كانوا يتوافدون على مدينة كربلاء على مدار السنة.

كان الشغل الشاغل لدبيس الأسدي هو رعاية أبناء دولته وتوفير الخدمات اللازمة لهم، ومن أهم الخدمات التي قدّمها لهم هي اهتمامه بتطوير الزراعة وهي المهنة التي كان يمتهنها أكثر أهل العراق، حيث قام بكري الأنهر وإقامة القناطر وبناء السدود وشقّ الطرق وتسليف الفلاحين بالأموال اللازمة حتى يجعلهم مستمرّين برعاية حقولهم ومزارعهم .

واصل دبيس الأسدي تقديم خدماته الجليلة هذه حتى مماته.

بعد وفاته تولّى مسؤولية الدولة نجله صدقة الأسدي الذي سار على نفس السياسة التي سار عليها والده وفي مقدمتها رعاية مرقد الإمام الحسين عليه السلام والقضاء على المجرمين الذين كانوا يعتدون على الزائرين الكرام.

في أثناء تولية الأمر جاءه خير قيام المارق المدعو ضبّة الأسدي بالقيام بالهجوم على مرقد الإمام الحسين عليه السلام ومن ثمّ تخريبه وسرقة محتوياته من السجاد الفاخر والتحفيات التي كانت موجودة في المرقد المقدس.

بعد وصول هذا الخبر جهّز الأمير صدقة الأسدي جيشًا عرمرمًا ضمّ أبرز قادته بعدها توجّه بهذا الجيش نحو قضاء عين التمر التي هرب إليها المجرم ضبة.

ما أن وصل الجيش الأسدي إلى عين التمر حتى بدأ بحملة كبيرة لإلقاء القبض على المجرم ضبّة وأعوانه الذين استعدوا لمقاومة الجيش الأسدي.

دارت معارك عنيفة بين الجانبين أسفرت عن هزيمة أعوان ضبة بعد أن قتل المزيد منهم وأسر الباقين إلا أن المجرم ضبّة تمكّن من الهرب.

هذا من جانب أما من جانب آخر فإن الأمير صدقة الأسدي أنجز عدّة أعمال انصب معظمها في خدمة أبناء دولته ولعل أهم هذه الأعمال هي إنشاءه للعديد من المدارس الدينية التي كانت تدرس بها أفكار المذهب الجعفري، كما قام بالعمل على استقطاب رجال الدين الشيعة من العديد الأقاليم الإسلامية.

وبعد تواجد هؤلاء العلماء الأجلاء في عاصمة الدولة المزيدية وهي مدينة الحلّة الفيحاء قام هؤلاء العلماء الأفاضل بتأسيس حوزة

دينية كبيرة لدراسة الفقه الجعفري، وبهذا أصبحت مدينة الحلة من أهمّ المدن التي تعنى بدراسة الفقه الجعفري وأحكام الإسلام الأخرى.

هذا ولابدّ من الإشارة بأنّ هذه الحوزة الدينية التي كانت في مدينة الحلّة كانت تحت إشراف علماء الشيعة الكبار الذين كانوا قد أسسوا حوزة علمية رائدة في مدينة النجف الأشرف مدينة العلم والعلماء.

أما من الأعمال الأخرى التي قام بها الأمير صدقة الأسدي الذي هي تقوية الجيش وتسليحه وإقامة التحالفات مع العشائر لدرء الخطر الذي قد تتعرض له دولته في المستقبل.

إنّ هذه الخدمات الرائعة التي قدّمها الأمير صدقة الأسدي لأبناء رعيته جعلته موضع حبّ واحترام أبناء الشعب إلى أن ذهب إلى رحمة الله.

بعد وفاته تولّى المسؤولية شقيقه الأمير منصور السدي الذي سار في نفس الطريق الذي سلكه الأمراء المزيديون الذين سبقوه حيث قام بإكمال المشاريع التي أوعز بتنفيذها شقيقه الأمير صدقة.

في أثناء تولية الأمير منصور السلطة قام جماعة من اللصوص بالإغارة على مرقد الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس عليهما السلام وكان ذلك عام ٤٩٨ هجرية.

ما أن علم الأمير منصور بهذا الهجوم الغادر حتى استدعى ابنه عمه القائد المعروف المدعو قريش بن بدران الأسدي وأوكل إليه مهمة

خاصة هي اختيار نخبة من قواته العسكرية والاتجاه نحو كربلاء لإلقاء القبض على هؤلاء الخونة المارقين.

قام القائد قريش الأسدي بإعداد هذا الجيش ومن ثمّ التّوجّه نحو مدينة كربلاء لتعقب العصاة الذين قاموا بهذا العمل الإجرامي المشين.

بعد وصول القوات الأسدية جرى تطويق المدينة المقدسة والبحث عن العصاة وبعد جهد جهيد تمكنت القوات المزيد من قتل المزيدية من هؤلاء وإلقاء القبض على العديد منهم وبهذا أعادت القوات المزيدية الأمن والاستقرار إلى ربوع مدينة كربلاء المقدسة.

بعد عودة القوات المزيدية إلى الحلّة أمر الأمير منصور بتعمير المرقد الحسيني الطاهر وتعويض أبناء مدينة كربلاء عن الأضرار التي لحقت بهم جرّاء الاعتداء الآثم الذي قامت به هذه الفئة الضالة.

إن العمل الرائع الذي قام به الأمير صدقة الأسدي أثار شجون الشعراء الشيعة حيث اثنوا على هذا الإنجاز الكبير في العديد من قصائدهم التي تطرقوا بها إلى الأعمال الجلية التي قام بها الأمراء والسلاطين والولاة الموالين لآل البيت عليهم السلام من حيث تعمير وتطوير المراقد المقدسة لأئمة آل البيت عليهم السلام والحزم والشدّة التي استعملها هؤلاء بحق المجرمين الخونة الذين اعتدوا على مراقد آل البيت عليهم السلام.

كان من هؤلاء الشعراء الشيخ محمد السماوي الذي أرّخ في العديد من قصائده.

الأضرار التي تعرضت لها مراقد آل البيت ﷺ وبالخصوص مرقد الإمام الحسين ﷺ فنظم قصيدة طويلة ذكر فيها معظم الأحداث التي تعرض لها المرقد الحسيني المطهر ومنها هذه القصيدة التي أشار بها إلى الحملة العسكرية التي قام بها الأمير صدقة الأسدي ضدّ المجرمين الذين اعتدوا على المرقد المطهّر فقال:

والحادث الخامس ما أهاجه
بنهب كربلاء بنو خفاجة
وذاك أنهم أتو من غزو
واستطرقوا الطف بفرط زهو
فنهبوا سكانه وفتكوا
وخفروا ذماهه وانتهكوا
فليس الطف عليهم صدقة
وكلهم السيف بهم صدقة
كما سمعته بمعجزات
له فارخه (أيا دعائي)

عاد الأمير صدقة الأسدي إلى عاصمته بعد أن أنجز هذه المهمة الكبيرة، وما أن وصل إلى عاصمته بعد أن أنجز هذه المهمّة الكبيرة، قام بحثّ أتباعه على متابعة المشاريع الخدمية التي كان قد أمر بإنجازها، واستمرّ في متابعة هذه الأمور حتى مماته.

بعد وفاته تولّى مسؤولية الدولة ولده الأمير منصور فسار هذا الأمير على النهج الذي سلكه والده وبالخصوص رعاية العتبات المقدسة

وتأمين الطرق للزائرين الكرام إضافة على إشرافه على مواصلة الأعمال التي أمر والده بتنفيذها فقام الأمير منصور بإنجازها إضافة إلى قيامه بتنفيذ أعمال أخرى تؤدّي إلى خدمة أبناء شعبه وبالخصوص رفع المستوى المعيشي للطبقة الفقيرة وتطوير مستوى الطبقة الوسطى حتى مماته.

بعد وفاته تولّى الإمارة شقيقه بدران بن صدقة الذي كان شابا شغوفا لتقديم أفضل الخدمات لأبناء الشعب حيث جمع حوله المئات من رجال الخير للإشراف على تقديم ما يساعد على تطوير الإمارة وتقديم سبل العيش الكريم لأبناء الإمارة.

هذا من جانب أما من الجانب الآخر فإن الأمير بدران كان من محبي الشعر والعلم مما جعله أن يقوم بتقريب الشعراء والأدباء ومنحهم الأموال والهدايا، كما أنه قام بإنشاء العديد من مراكز العلم التي اشرف عليها العلماء والأدباء الذين نالوا الاهتمام الواسع من هذا الأمير المتنور.

جنّد الأمير بدران نفسه من أجل إسعاد شعبه والعمل على رفع مستواه المعيشي حيث جعل أبواب قصره مفتوحة أمام أبناء البلد فكان يستقبل المئات من أبناء البلاد الذين لديهم مشاكل أو لديهم أفكار صائبة ، فكان يصغي إليهم ويحاول حلّ المشاكل التي كان يعاني منها مواطنيه.

إنّ هذا السلوك السوي جعل مواطني الإمارة المزيدية يكنـون كـل الاحترام لهذا الأمير العادل.

الذي استمرّ في مسيرته هذه التـي نـال استحـسان رعيتـه إلـى أن توفى.

بعد وفاته تولّي الإمارة محمد بن صدقة وهو الشقيق الأصغر للأمير الراحل بدران سار هذا الأمير على نفس النهج الذي سار عليه شـقيقه الأمير بدران بل أنه زاد اهتمامه برجال العلم والأدب حيث كان شاعرا معروفا مما جعله أن يستقطب العـشرات مـن الـشعراء فـي الجزيـرة العربية واستقروا في عاصمة الدولة المزيدية الحلة الفيحاء وهذا دليـل على الاهتمام الواسع الذي لقيه هؤلاء الشعراء من الأمير محمد.

أما من ناحية ما قام به الأمير محمد مـن خـدمات واسـعة لتطـوير الإمارة وازدهار وضعها الاقتصادي فكان كبيرا جدًّا ولعل أهـم الأسباب التي أدت إلى استقرار الوضع الاقتصادي هـو اسـتتباب الأمـن وعـدم حدوث اضطرابات تخلّ بالوضع الأمني، وهذا يعني بان الأموال التـي كانت ستصرف على الجيش ستخـصص لتنفيـذ المـشاريع الخدميـة، وهذا دليل على حنكة أمـراء الدولـة المزيديـة ونجـاحهم فـي حـل مشاكل البلاد الشيء الـذي أدى إلـى أن يعـيش أبنـاء الـشعب حيـاة كريمة مستقرة.

بقي الأمير محمد يتابع سياسته المرنة هذه حتى وافاه الأجل، فخلفه على دفّة الحكم شقيقه الأمير دبيس بن صدقة الذي كـان نـسخة منـه

لأنه كان يعمل جنبًا إلى جنب مع أخيه الأمير محمد وعليه اكتسب من أخيه الخبرة اللازمة في إدارة شؤون الدولة فأدارها على أحسن وجه بل أنه توسّع في تقديم الخدمات حيث قام بزيارات مستمرة إلى المناطق النائية التي كانت تخضع لسيطرة دولته واطّلع خلال هذه الزيارات على ما يعانيه أبناء هذه المناطق من صعوبات ومشاكل، فوعد بحلها بأسرع وقت وهو ما تمّ حيث ما أن عاد إلى عاصمته حتى أمر بتشكيل لجان خاصة لمتابعة حل المعضلات التي كانت تواجه أبناء هذه المناطق وبعد جهود كبيرة قام بها أعضاء هذه اللجان والتي قامت بسفرات عديدة إلى هذه المناطق حلت جميع المشاكل مما زاد تعلّق أبناء الشعب في هذه الدولة الشيعية بأمرائهم وقادتهم.

على أثر قيام الأمير دبيس المزيدي بالجولات المستمرة للمناطق البعيدة التابعة لدولته أصيب بالتعب والإرهاق مما أدّى إلى تدهور صحته ومن ثم عدم قدرته على مواصلة العمل فتنازل عن المسؤولية إلى نجله الأمير علي الذي كان شابًّا يتّصف بالهمّة والعمل الدؤوب، وعلى أثر تولية الإمارة توجّه إلى خدمة دولته وشعبها كما فعل الأمراء الذين تولوا المسؤولية قبله.

كان الأمير علي يستشير والده في كل صغيرة وكبيرة مما جعله أن يكون قادرا على المضيّ قدما في الاستمرار نحو تقدم دولته وازدهارها، لم يمض وقت طويل على تولية الأمير علي المسؤولية حتى أعلن عن وفاة والده وعلى أثر إعلان الوفاة قام الأمير علي

بتشكيل لجنة من كبار رجالات الدولة كان الغرض منها إشراك هذه اللجنة في اتّخاذ القرارات التي كان يصدرها الأمير علي حتى تكون قرارات صائبة يستفيد منها أبناء الشعب لأن أعضاء هذه اللجنة هم من الرجال الأكفاء الذين يمتلكون الخبرة والدراية الواسعة بشؤون البلد، وهذا دليل على أن الأمير علي كان أميرا منفتحا وسعى إلى مشاركة كل الخيرين الذين يرغبون في توفير الأمن والأمان لأبناء الدولة المزيدية.

بقيت الراية الخفاقة التي حملها الأمير على من أجل تطوير إمارته وإسعاد شعبه حتى وافاه الأجل، فقام نجله الأمير مهلهل بحمل هذه الراية والسير بها نحو شاطئ الأمان، في هذه الأثناء كان السلاجقة وهم من سلالة المغول قد تمكّنوا من السيطرة على العراق وما أن تمّ لهم ذلك حتى بدو بإثارة المشاكل أمام الدولة المزيدية واستمر أمراء الدولة السلجوقية بالتحرش والاعتداء على رعايا الدولة المزيدية مما دعى الأمير مهلهل المزيدي إلى أن يأمر قواته بالتّصدّي للجيش السلجوقي.

استعدّ الجيش المزيدي لردع القوات السلجوقية وطردها من الأراضي المزيدية وعليه جرت معارك عنيفة بين قوات الطرفين.

بعد معارك طاحنة تمكّنت القوات السلجوقية من تحقيق بعض الانتصارات حيث تمكّنت من السيطرة على العديد من المناطق الخاضعة للدولة المزيدية.

بعد هذه التطورات أمر الأمير مهلهل أبناء شعبه بالاستعداد لمحاربة قوات السلاجقة وعلى أثر هذا تطوع عشرات الآلاف من أبناء الشيعة للدفاع عن دولتهم، توجّه هؤلاء الفرسان نحو جبهات القتال المتعددة التي قامت القوات السلجوقية بفتحها، بعد وصول القوات المزيدية إلى تلك الجبهات دارت معارك عنيفة بين قوات الطرفين كانت في النهاية لصالح قوات السلاجقة بسبب كثرتها وحداثة تسليحها.

استمرت قوات السلاجقة بالتقدم نحو عمق الدولة المزيدية إلى أن تمكّنت من احتلال عاصمة الدولة وبذلك تمكّنت قوات السلاجقة من القضاء على الدولة المزيدية وبهذا سقطت هذه الدولة الشيعية بعد أن دام حكمها حوالي قرنين ونصف.

هذه لمحة عن التاريخ الحافل لهذه الدولة الشيعية التي قدمت خدمات كبيرة للمذهب الجعفري إضافة إلى الخدمات الرائعة لأبناء هذه الدولة وما ذكر في بطون الكتب توكّد على السمعة الطيبة التي سار عليها أمراء هذه الدولة الذين اتّصفوا بالبلاغة والشجاعة والعلم والأدب والقدرة الفائقة على إدارة دفّة الحكم على أحسن وجه أن تسفك الدماء وتخريب البلاد كما كان يفعل العديد من حكام الدول التي مر بها تأريخنا الإسلامي.

مراجع البحث:

١ـ الكامل في التاريخ ج١٠: ١٧٧ـ ١٧٨.
٢ـ تأريخ أبي الفداء ج٤: ١٦١.

٣ـ الدولة المزيدية في التاريخ ـ عبد الجبار الحسن.
٤ـ آثار الشيعة الإمامية: ١٢١ـ ١٢٦.
٥ـ المنتظم ـ لابن الجوزي ج٩: ٢٠، ٢٧، ٢٣٦.
٦ـ العراق قديما وحديثا: ١٤٠.
٧ـ مختصر تأريخ الحلة: ٩.
٨ـ وفيات الأعيان ج١: ٢٢٩.
٩ـ ثورات الشيعة: ٣٤٥ـ ٣٤٧.
١٠ـ دائرة المعارف الحسينية ج٣: ٤٠٢.
١١ـ تأريخ الشيعة السياسي والثقافي: ٧٤.
١٢ـ مجالي اللطف في أرض الطف: ٥٦.
١٣ـ تراث كربلاء: ٢٦١ـ ٢٦٢.
١٤ـ مدينة الحسين ج٣: ٣٠.
١٥ـ معجم البلدان ج٢: ٢٢٨.
١٦ـ مجلة المنبر الحسيني ـ العددان: ١٢، ١٣، لسنة: ٢٠٠٣.
١٧ـ الأعلام ـ المجلد ٤: ٢٨٧.

الدولة السربدارية
في إيران

الدولة السريدارية:

قبل الحديث عن هذه الدولة الشيعية لابدّ وأن نتحدث عن حركة السريدارية التي كانت اللبنة الأولى لتأسيس هذه الدولة.

جاء في العديد من الكتب التي تحدثت عن هذه الحركة ومن ثم إسهامها في قيام الدولة السريدارية.

يذكر العلامة اللبناني الذائع الصيت السيد الأمين في مستدركه أعيان الشيعة أن أحد رجال الدين الشيعة ويدعى الشيخ خليفة كان يقيم في أحد مساجد سبزوار والذين كانوا يستفيدون من علمه الغزير وشرحه للسور القرآنية الكريمة ، وكان يجتمع حوله عدد كبير من المؤمنين الموالين لآل البيت عليهم السلام وعلى أثر المنزلة الكبيرة التي احتلها هذا الشيخ الجليل في قلوب أبناء مدينة سبزوار تصدّى له بعض من وعّاظ السلاطين الذين كانوا على اتصال دائم بالسلطان المغولي (أرغون شاه) وقام هؤلاء بإرسال كتب ورسائل إلى السلطان يخبرونه بأن هذا الشيخ ينشر البدع على حذر زعمهم في مدينة سبزوار وإن وجوده هناك سيثير الفتنة وإنهم قاموا بإصدار فتوى بقتله.

لم تمض أيام قليلة على إرسال هذه الكتب إلى الحاكم المغولي وإذا بجماعة أو بالأحرى عصابة مجرمة تقوم باغتيال هذا العالم المجاهد، وكان ذلك في ٢٢/ ربيع الأول سنة ٧٣٦ هجرية.

وبهذا تمّ القضاء على حياة هذا العلامة الزاهد الذي أكرمه الله تعالى حيث شيّد له محبوه مزارًا معروفا لا يزال قائمًا إلى يومنا هذا في مدينة سبزوار.

بعد استشهاد هذا العالم الفاضل احتل مكانه أحد تلامذته هو الشيخ حسن الجوري من قرية جور في مدينة نيشابور، قام الشيخ الجوري بنشر تعاليمه وأفكاره السديدة في هذه المنطقة فالتفّ حوله جمع غفير من أبناء منطقته والمناطق القريبة منها وبالخصوص المناطق التي يتواجد فيها الشيعة.

لم يمض وقت طويل على بروز هذا العالم الكريم حتى أخذت وفود الشيعة تتوافد عليه من كل حدب وصوب.

في خلال الاجتماعات التي كان يعقدها الشيخ الجوري مع أبناء الشيعة كان يستمع منهم إلى المظالم والأعمال البربرية التي كان يتعرّض لها الشيعة على أيدي حكام المغول المتعجرفين.

بعد أن جمع الشيخ الجوري هذه المعلومات قام بإرسال رسالة إلى الأمير المغولي محمد بيك بن أرغون يطلب منه رفع هذه المظالم التي كان يتعرض لها أبناء الشيعة.

عند وصول رسالة الشيخ الجوري إلى الأمير المغولي اصدر هذا أمرا بإلقاء القبض على الشيخ الجوري، وما أن صدر الأمر حتى قام جلاوزة الأمير بإلقاء القبض على الشيخ الجوري وإلقائه في السجن وكان ذلك عام ٧٣٨ هجرية.

بعد انتشار خبر اعتقال الشيخ الجوري إلى مسامع رجال الشيعة قام أبناء هذه الطائفة بمظاهرات في العديد من المدن الإيرانية للمطالبة بإطلاق سراح الشيخ الجوري إلا أن الأجهزة القمعية المغولية قمعت هذه المظاهرات واعتقلت الآلاف من أبناء الشيعة وزجهم في السجون المغولية الرهيبة التي كان يوجد بها أعداد كبيرة من أبناء الشيعة.

بعد اعتقال الشيخ الجوري برز عدد آخر من رجال الدين الشيعة كان منهم الأخوين حسن وحسين أبناء الشيخ حمزة أحد أهالي قرية باشتين وكان لهذين الرجلين موقعًا خاصًا في قلوب أبناء هذه القرية لما كان يتمتّعان من سعة العلم ودراية واسعة في الفقه الشيعي.

في أحد الأيام جاء خمسة من كبار رجال المغول إلى هذه القرية ونزلوا صفوفا في منزل أبناء الشيخ حمزة فقام الرجلين بضيافتهم على أحسن وجه إلا أن هؤلاء الضيوف طلبوا في اليوم الثاني من أبناء الشيخ حمزة أن يجلبا لهم الخمر والنساء فما كان من أبناء قرية الشيخين إلا أن يقوما بقتل هؤلاء الأشرار الذين أصروا على تنفيذ طلبهما، بل أنهم هددوا أبناء الشيخ حمزة بالقتل إن لم يلبيا طلبهما.

طبعًا حدث أمر القتل بعد أن يأس أبناء القرية من إقناع هؤلاء بتغيير رأيهم. بل أن هؤلاء الأوباش أعوان المغول قاموا برفع سيوفهم ضدّ أبناء الشيعة الذين تفاوضوا معهم والذين حاولوا إقناعهم للعزوف عن قرارهم.

بعد قتل هؤلاء خرج أبناء الشيعة وهم يهتفون (نحن نحافظ على أعراضنا ونحن مستعدون أن نسلم رؤوسنا إلى المشنقة).

على أثر هذه التظاهرات وانتشار هتافاتهم سمي هؤلاء بـ(سريدار) أي رأس على المشنقة.

بعد حدوث هذه التطورات أصدر الحاكم المغولي لمدينة خراسان أمرا إلى أبناء القرية بضرورة تسليم الذين قاموا بعملية القتل، رفض أبناء القرية تنفيذ هذا الأمر.

على أثر هذا الرفض قام الحاكم المغولي بإرسال كتيبة من عسكره لاعتقال الأشخاص المطلوبين.

بعد وصول خبر إرسال الكتيبة العسكرية من قبل الحاكم المغولي إلى القرية استعدّ أبناء القرية لمقاتلة القوات المغولية، وقام أحد أبناء القرية ويدعى السيد عبد الرزاق العلوي بقيادة أبناء المدينة وأمرهم بالتّصدّي للقوات المغولية المعتدية.

استعدّ أبناء الشيعة لمقاومة هذه القوات وما أن وصلت القوات المغولية ضواحي القرية حتى هجم عليها فرسان الشيعة وبعد قتال ضاري تمكّنوا من إلحاق الهزيمة بالقوات المغولية بعد أن قتلوا معظم أفراد الكتيبة وأسر الباقين.

على أثر هذه الإنجازات الباهرة التي حققها رجال الشيعة أعلن القائد العلوي إطلاق اسم (السريدارية) على حركته وبهذا أصبحت

هذه الحركة حركة عسكرية انظمّ إليها فيما بعد المئات من أبناء الشيعة.

أخذت هذه الحركة بالاتساع شيئًا فشيئًا الأمر الذي اقلق الحكام المغول مما جعلهم أن يبذلوا جهودا مضنية من أجل القضاء عليها.

عقد الحكام المغول الذين كانوا يحكمون المدن الإيرانية اجتماعات عديدة لمناقشة استفحال الحركة السريدارية، وبعد مناقشات ومداولات مستمرة قرر هؤلاء الحكام تشكيل قوّة ضارية لقمع هذه الحركة الشيعية.

تولّى عدد من القادة المغول أعداد هذه القوات وتدريبها تدريبا جيدًا وتسليحها بأحدث الأسلحة ثم إرسالها للقضاء على الحركة الشيعية وصلت القوات المغولية إلى المنطقة التي كان يتواجد بها الثوار الشيعة .

بعد مضيّ عدّة أيّام على وصول القوات المغولية إلى المنطقة التي كانت تعسكر بها القوات الشيعية دارت معارك عنيفة بين الطرفين تكبّد فيها الجانبين خسائر جسيمة إلا أن القوات الشيعية صمدت صمود الأبطال وقد أدّى هذا الصمود إلى النصر ومن ثم هزيمة القوات المغولية.

بعد أن حقّق الثوار الشيعة هذه الانتصارات الباهرة قرر القائد العلوي تطهير الأماكن القريبة من منطقته من فلول القوات المغولية فتمّ له ذلك.

بعد هذه الملاحم البطولية التي سطرتها القوات الشيعية أمر القائد الشيعي عبد الرزاق العلوي إلى توجّه قواته إلى مدينة سبزوار لتحريرها من القوات المغولية فتمّ ذلك بسرعة مذهلة حيث هربت القوات المغولية فور سماعها بقدوم القوات الشيعية.

بعد تحرير مدينة سبزوار توجّهت قوات الثوار نحو مدن جوين وأسفر بين وجاجرم وبيار أرجمند لتحريرها من القوات المغولية.

بعد هذه الانتصارات التي حققها الثوار الشيعة المنضوين تحت الحركة السريدارية أعلن عن تأسيس الدولة السريدارية واتّخاذ مدينة سبزوار عاصمة لها.

كان أوّل عمل قامت به هذه الدولة الشيعية هو سكّ النقود باسم الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

لم يمض وقت طويل على تأسيس الدولة السريدارية حتى أعلن عن وفاة مؤسسها الأمير عبد الرزاق العلوي وكان ذلك عام ٧٣٨ هجرية.

بعد وفاة الأمير عبد الرزاق العلوي خلفه أخوه (وجيه الدين) وكان هذا الأمير يتّصف بالشجاعة والحزم.

بعد تولّي وجيه الدين السلطة قام بقيادة قواته ومن ثم القيام بقتال القوات المغولية التي لم يهدأ لها بال من أجل إسقاط هذه الدولة الشيعية حيث دارت معارك رهيبة من سنة ٧٣٩ إلى سنة ٧٤٥ هجرية، وقد كانت القوات الشيعية مسيطرة في جميع هذه المعارك وقد كان

من أهمّ هذه المعارك ضراوة المعركة التي قادها الحاكم المغولي لمدينة هرات (أرغون شاه جاني).

تصدّت القوات الشيعية للقوات المغولية فدارت بينهما معارك وجولات عنيفة استبسل فيها الثوار الشيعة وقد أسفرت هذه المعركة التأريخية هروب القوات المغولية نتيجة هذه الانتصارات الباهرة قويت شوكة الدولة السريدارية بقيادة الأمير وجيه الدين العلوي وأصبح هذا الزعيم الشيعي من أقوى رجال الدولة السريدارية.

بعد هروب القوات المغولية توجّهت القوات الشيعية نحو مدينة خراسان للسيطرة عليها وقد تمّ ذلك.

أثارت الانتصارات الساحقة لقوات الدولة السريدارية الرعب بين صفوف المغول وأتباعهم الأمر الذي دعى أعداء الدولة السريدارية ولكونها دولة شيعية إلى توحيد صفوفهم من أجل القضاء عليها وبناء على هذه الرغبة قام ملك هرات بقيادة جيش ضخم بعد أن أمدّه الملك المغولي طوغاي تيمور خان الذي تلقت قواته شر الهزائم على أيدي القوات السريدارية بالمواد التموينية والأسلحة الحديثة التي كانت متوفرة في ذلك الوقت بالهجوم على القوات السريدارية إلا أن هذه القوات كانت حذرة جداً حيث تصدّت لقوات الملك الهراتي وبعد معارك ملحمية انتصرت القوات السريدارية.

بعد انتصار القوات السريدارية حدثت مفاجئة كانت لصالح القوات المعادية وهي أن أحد الخونة تمكّن من قتل أحد كبار علماء الشيعة

الأمر الذي أدّى إلى حدوث فزع وخوف في أوساط القوات السريدارية وعلى أثر هذه القضية تمكّنت القوات الهراتية من لملمة شملها ومن ثم الهجوم على القوات السريدارية التي أصيبت بخسائر كبيرة جدًّا.

بعد حدوث هذه التطورات عادت القوات السريدارية لتنظيم نفسها والاستعداد لمقاومة خصومها.

بعد إعداد القوات السريدارية قام الأمير وجيه الدين بقيادة قواته والتقدّم نحو مدينة (آمل) لتحريرها.

في أثناء تحرير هذه المدينة نصب أحد الأعداء كمينًا لاعتقال الأمير وجيه الدين وقد نجح الكمين حيث تم اعتقال الأمير وبعد اعتقاله جرى إعدامه على الفور وكان ذلك عام ٧٤٥ هجرية.

بعد مقتل الأمير وجيه الدين تولّى مسؤولية الدولة الأمير الخواجة شمس الدين.

عند تولّي الأمير شمس الدين هدأت الأمور بعض الوقت وعليه قام هذا الأمير بخدمة العلم والعلماء وإنشاء العديد من المدارس الدينية التي كان يدرس فيها الفقه الجعفري، كما قام بإنشاء العشرات من المساجد إضافة إلى تنظيم شؤون الدولة وغيرها من الأمور.

استمرّ هذا الأمير بأعماله الجليلة تلك إلى أن تمّ اغتياله من قبل أعوان المغول وبذلك انتهت حياة هذا القائد الذي تمكّن من فرض

سيطرته وبقوة على جميع الأراضي التي كانت تابعة لدولته، هذا وقد دام حكمه زهاء خمسة سنوات.

بعد اغتياله تولّى مسؤولية الدولة الأمير شمس الدين يحيى الكرابي.

ما أن تولّى السلطة حتّى تمكّن من إحكام سيطرته على معظم الأقاليم التي كانت تابعة لدولته بالرغم من المصاعب والمتاعب التي أثارها له خصومه المغول والمتعاونين معهم حيث تمكّن من تحقيق انتصارات باهرة على أعدائه وقد تمكّن من القضاء على آخر معقل لحكومة سلالة هولاكو في إيران.

بذل الأمير يحيى جهوداً كبيرة من أجل تطور دولته وأبناء رعيته حيث قام بتنفيذ عدد من مشاريع الري وتقديم المنح والقروض المالية لأبناء دولته وتفقد مواطنيه حيث كان يقوم بزيارات متتالية للمدن والقرى والأقاليم التابعة له، وكان يستمع من أبناء هذه المناطق إلى آرائهم وأفكارهم ومشاكلهم، كما قام هذا الأمير بإنشاء دورا للأيتام وتخصيص رواتب للفقراء المحتاجين وغيرها من الأمور التي كانت تخص أبناء دولته.

استمرّ الأمير يحيى على نهجه القويم هذا إلى أن أعلن عن وفاته.

بعد وفاته تولّى مسؤولية الدولة الأمير علي بن المؤيد الذي يعتبر أحد ابرز رجال هذه الدولة حيث لم يشهد عهده أية مشاكل الأمر الذي جعله يتفرغ إلى إعمار البلد وإنشاء المدارس وشقّ الطرق وتفقّد الرعية.

في أثناء تولّي الأمير علي طلب من أحد كبار علماء الشيعة بالقدوم إلى عاصمة دولته لخدمة المذهب الجعفري.

فقام بالكتابة إلى الشيخ الجليل محمد بن مكّي العاملي كبير فقهاء الشيعة في بلاد الشام رسالة طويلة استهلها بعدّة أبيات شعرية تنمّ عن مدى تبحّره بالعلم والمعرفة ولما كانت هذه الأبيات ذات معنى جميل فقد ارتأينا ذكرها هنا:

بسلام كنشر العنبر المتضوّع
يخلف ريح المسك في كل موضع
سلام يباهي البدر في كل منزل
سلام يضاهي الشمس في كل مطلع
على شمس دين الحق دام ظله
بجد سعيد في نعيم ممتع

أعتذر هذا العالم القدير من المجيء إلى خراسان بسبب أنه كان ممنوعا من مغادرة دمشق لأنه كان تحت الإقامة الجبرية من قبل حكام المماليك الذين كانوا يحكمون دمشق في تلك الفترة، إلا أن هذا العالم الفاضل كتب للأمير متنا فقهيا مختصرا وشاملا سماه (اللمعة الدمشقية) وأرسله إلى الأمير ليكون مصدرا مهما لفقهاء الشيعة في هذه الدولة والشيعة أينما كانوا.

على أثر امتناع العلامة العاملي من القدوم إلى خراسان استدعى علي بن المؤيد مجموعة من رجال الدين الشيعة في دولته وطلب

منهم الإشراف على المدارس الدينية التي أنشئت في العديد من المناطق التابعة لدولته لدراسة الفقه الشيعي والاستعانة بالكتاب الذي أرسله له زعيم الشيعة العلامة العاملي، وهنا لابدّ من الإشارة بأن المماليك قاموا بقتل هذا الزعيم الديني الكبير بعد أن لفقوا تهما باطلة ضدّه لأنه رافضي على حدّ زعمهم.

قام هؤلاء العلماء الأعلام بإدارة هذه المدارس الدينية على أحسن وجه، استمرّ الأمير بأعماله الجليلة في خدمة أبناء بلاده والمذهب الجعفري إلى جاء تيمورلنك في سنة ٧٨٣ هجرية لاحتلال إيران، وقد تظاهر تيمورلنك باحترام الأمير علي بن المؤيد في بداية الأمر إلا أنه سرعان ما قام باعتقاله فيما بعد، بعد أن رفض التعاون معه وقد بقى هذا الأمير الجليل في السجن عشرة سنوات بعدها ثم قتله ظلما وعدوانا.

وباعتقال الأمير علي بن المؤيد ثم القضاء على الدولة السريدارية وهي إحدى دول الشيعة التي أسست في إيران والتي حاول أعداء الشيعة القضاء عليها منذ تأسيسها، هكذا قام أمراء هذه الدولة الشيعية بخدمات جليلة للمذهب الجعفري بالرغم من استمرار المتاعب التي أثارها خصومها الذين تكالبوا عليها منذ أيامها الأولى حيث تعاونت الحكومة الأفغانية والحكومة المغولية وأعوانهم الذين كانوا يمقتون أمراء وأبناء هذه الدولة بسبب كونهم من الروافض على حد زعم وعّاظ السلاطين الذين لم يكونوا سوى موظفين عند حكامهم عكس

رجال الدين الشيعة الذين كانت قراراتهم وأفكارهم تستمدّ من الشريعة الإسلامية السمحة ومن أبناء الفقراء والمعوزين، وهكذا تمكّن الطاغية هولاكو من القضاء على هذه الدولة الشيعية التي ذكرتها كتب التأريخ بصفحات مشرقة مليئة بالفخر والعزّ، ذلك التأريخ المشرف الذي يفتخر به جميع المسلمين الصلحاء لأن هذه الدولة حاربت أولئك المغول الذين كانوا مسلمين بالاسم فقط بينما كان أمراء هذه الدولة الشيعية مسلمين قلبا وقالبا لأنهم كانوا يسيرون وفق السيرة المعطاء التي سار عليها أئمة آل البيت عليهم السلام.

مصادر البحث:

١_ كيف ردّ الشيعة غزو المغول: ٣٥٨_ ٣٦٤.

٢_ مستدرك أعيان الشيعة ج٢: ١٧٧.

٣_ معجم رجال الحديث ج١٨ : ٢٨٦.

٤_ رحلة ابن بطوطة ج١: ٤٢٥.

٥_ ابن بطوطة في أفغانستان: ٤٧.

٦_ الاعلام _ مجلد ٧: ١٠٩.

٧_ شرح اللمعة الدمشقية ج١: ١٤١.

٨_ الذريعة ج١٣: ١٦٤.

٩_ طرائف المقال ج٢: ٤٢٦.

١٠_ الشيعة في التاريخ: ١٢٠.

١١_ الشيعة في العهد المغولي / محمد سعيد الطريحي.

الدولـة الجلائريـة
في إيران

الدولة الجلائرية:

الدولة الجلائرية أحد دول الشيعة التي أسست في القرن السابع الهجري، وكان مؤسس هذه الدولة الشيخ حسن الجلائري والذي اتّخذ من مدينة تبريز عاصمة لدولته.

والجلائريون هم سلالة مغولية أنشأها (حسن بزرك) على أنقاض الإيلخانية.

وهم مجموعة من القبائل الكبيرة التي كانت تسكن شرقي منغوليا وعند نهر (أونق) وكانت هذه القبائل تتكون من شعوب عديدة يرأس كل منها زعيم يتمتّع باحترام أفراد قبيلته.

اختلف الباحثون حول أصل هذه القبائل فاعتبرهم البعض من الأقوام التركية ويذهب آخرون إلى أنهم من نسل المغول من أولاد نوكون من قبيلة (دور ليكين).

والحقيقة أن المعلومات المتوفرة عن أصل القبائل المغولية والتركية ما زالت غامضة بسبب عدم وجود نصوص تاريخية يمكن الاعتماد عليها، كما أن هذه القبائل اختلطت مع بعضها وتشابكت مما يصعب معرفة كل شيء عنها.

إن غزو الأتراك لهذه المناطق أدّى إلى حدوث انقلابات عرقية مختلفة كان أهمها رجحان كفة العناصر التركية على غيرها في أجزاء بلاد ما وراء النهر.

وعليه يمكن اعتبار الجلائريين من الأقوام التركية حسب ما ذكر أغلب الباحثين الذين تعمّقوا في أصول هذه القبائل، اتّصف هؤلاء بالشجاعة الفائقة الأمر الذي أدّى بهم إلى أن يحتلّوا مراكز هامة في الجيش المغولي ومن هؤلاء الزعيم القبلي الكبير (يلكانوبان) وهو الجدّ العلى للجلائريين الذي أصبح أميرًا للجيش في عهد هولاكو إلا أنه لم يساهم مع هولاكو في هجماته التي قام بها على بلاد الأناضول والبلاد العربية.

بعد تولّي يلكانوبان هذا المنصب قام بتعيين العديد من أبناء قبيلته في مناصب عليا في الجيش، والظاهر أنه كان يخطط للمستقبل من أجل أن يتولى أبناء الأسرة الجلائرية الحكم، وهو ما تمّ حيث تمكّن أحفاده من تأسيس الدولة الجلائرية على يد الشيخ حسن الجلائري الذي سنتحدّث عنه وعن السلاطين الجلائريين الذين تولوا الحكم بعده حتى تمّ القضاء عليها من قبل تيمورلنك.

بعد قيام الدولة الجلائرية قام مؤسسها الذي أطلق على نفسه بالسلطان حسن الجلائري بجهود حثيثة من أجل انتشار أفكار المذهب الجعفري وبالخصوص في إيران وأفغانستان والهند والعراق الذي كان أصلا مركزا لهذا المذهب.

قدّم السلطان حسن الجلائري الدعم اللازم لعلماء الشيعة في هذه المناطق من أجل تشييد المدارس والمعاهد الدينية أسوة بما كان يقدّمه رجال السلطة في الدول السنية التي أسست في الماضي

كالدولة العباسية والدولة الأيوبية والدولة السلجوقية والدولة العثمانية وغيرها من الدول التي أسست في تلك الفترة، حيث كان يتمتّع زعماء هذه المذاهب الإسلامية بموقع خاصّ لدى خلفاء وسلاطين هذه الدول.

استمرّ السلطان حسن الجلائري بتقديم الخدمات الجليلة لعلماء المذهب الجعفري ورجال الشيعة إضافة إلى تقديمه الخدمات الإنسانية لفقراء المسلمين في المناطق التي كانت خاضعة لحكمه.

هذا من جانب أما من الجانب الآخر فإن السلطان حسن جعل جلّ اهتمامه هو تقوية الجيش واختيار قادة أكفّاء له.

أما سبب اهتمامه بهذا الأمر فكان هو كثرة الخصوم الذين وحدوا صفوفهم من أجل إسقاط هذه الدولة الشيعية التي شكّلت خطرا عليهم بسبب انتشار الأفكار الشيعية التي كان يعتبرها خصوم الشيعة بأنها أفكار ضاله وإنها تحتوي على الكثير من البدع كما كانوا يزعمون.

إن التحدّي الكبير الذي واجهه الجلائريون من قبل أعدائهم أثار بهم العزيمة مما جعلهم يصمموا على توسيع نفوذ دولتهم، وعليه قام السلطان حسن بإرسال وحدات عسكرية ضاربة من قواته المسلّحة التي أحسن تدريبها للسيطرة على أجزائه من الأراضي التركية والأفغانية وبلاد القفقاس التي كان يطلق عليها في السابق الاتّحاد السوفياتي والتي استقلت بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، بعد قيام

القوات الجلائرية بإخضاع هذه المناطق لسلطتها توطن عدد كبير من أبناء الشيعة في هذه المناطق والتي يوجد بها وإلى يومنا هذا شريحة كبيرة من هؤلاء وبالأخصّ في جمهورية آذربايجان والتي يشكّل فيها الشيعة نسبة ٩٠٪ وجمهورية أوزباكستان التي يشكّل الشيعة فيها نسبة ٤٠٪، كما لا يزال يوجد نسبة لا بأس بها من الشيعة في جمهوريات روسيا الاتحادية وبالأخص جمهورية داغستان وجمهورية الشيشان وجمهورية بلا روسيا وغيرها من المناطق التي تتبع الآن إلى جمهورية روسيا الاتحادية والتي تتمتّع بالحكم الذاتي.

بعد أن بسط الجلائريون سيطرتهم على هذه المناطق فكروا في احتلال العراق.

قام السلطان حسن الجلائري بإعداد جيشه لهذا الغرض، وبعد أن أتمّ استعداداته قام بقيادة قواته بنفسه وتوجّه نحو العراق، وما هي إلا أيام قلائل حتى تمكّن من احتلال جميع الأراضي العراقية حتى وصل إلى مدينة بغداد.

هنا نقف قليلاـ قد يقول القارئ الكريم لماذا لم يقوم أبناء العراق بمقاومة هذه القوات الغازية ؟ـ الجواب: نعم قام أبناء الشعب العراقي بمقاومة هذه القوات إلا أن سرعان ما توقفت هذه المقاومة بسبب كون أن شريحة كبيرة من منتسبي هذا الجيش كانوا من أبناء المذاهب السنية، إضافة إلى أن أغلب قادة الجيش كانوا أيضًا من أبناء تلك المذاهب وعليه لم تحدث أية مشاكل بين هذه القوات وابناء الشعب

العراقي خلال احتلال الجيش للمناطق التي كان يتواجد بها إخواننا السنة.

وهذه سجية تضاف لرجال الشيعة الذين كانوا يتمتّعون بعقلية متنورة والذين كانوا لا يفرّقون بين أبناء المذاهب الإسلامية جمعاء بالرغم من أن هؤلاء كانوا متمسّكين بأفكار المذهب الجعفري، تلك الأفكار الصائبة التي كانت تسعى من أجل وحدة المسلمين وترك البدع.

بعد سيطرة القوات الجلائرية على بغداد عمل السلطان حسن على استتباب الأمن واستثمار موارد العراق الكثيرة لصالح تقوية سلطته وإعداد جيشه.

بعد فرض القانون وإشاعة الأمن قرر السلطان حسن تعيين بعض رجاله الذين يعتمد عليهم لإدارة شؤون المدن العراقية التي استولى عليها.

استمرّ السلطان حسن في عمله إلى أن أعلن عن وفاته، وكان ذلك عام ٧٥٧ هجرية، المصادف: ١٣٥٦ ميلادية.

بعد وفاته عطلت أسواق بغداد حزنا عليه لما كان يتمتّع باحترام أهالي المدينة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم بسبب السيرة الحسنة التي سار عليها.

بعد الانتهاء من مراسيم التشيع جرى دفنه في مدينة النجف الأشرف بناءً على الوصية التي كتبها قبل وفاته بأيام قليلة.

بعد وفاته قام قادته وأركان دولته بمبايعته ابنه السلطان أويس الجلائري الذي سار على نفس السياسة التي رسمها والده السلطان حسن.

شدد السلطان أويس من سيطرته على العراق وضبط أحواله حيث قام بتعيين العديد من أبرز أعوانه حكاما للمدن العراقية، وقد جعل هؤلاء الحكام مرتبطون بالسلطة المركزية في بغداد، بعدها قام باختيار أقرب مساعديه وهو مرجان الدّين وجعله واليا على بغداد وبذلك أصبح مرجان الدين الحاكم الفعلي للعراق نيابة عن السلطان أويس الجلائري الذي عاد إلى عاصمة بلاده تبريز.

بعد تولية الوالي مرجان الدين على العراق قام هذا الوالي بإعداد العدّة لإعلان انفصاله عن الدولة الجلائرية وعليه قام بعزل أعوان السلطان أويس وتعيين أشخاص موالين له كما قام بإعداد جيش خاصّ، وقد ضمّ هذا الجيش عدة آلاف من أعوانه ومريديه.

وصل خبر ما قام به والي بغداد إلى السلطان أويس فما كان منه إلا أن يقود كتيبة من جيشه والتوجّه بها إلى العراق لإخضاع مدينة بغداد لسلطته واعتقال الوالي المتمرّد.

بعد إعداد هذه الكتيبة توجه السلطان أويس نحو الأراضي العراقية ومن ثمّ التوجّه نحو بغداد للسيطرة عليها.

استعدّ مرجان الدين لمحاربة القوات الجلائرية إلا أنه سرعان ما غيّر رأيه بعد أن تفرّق عنه أعوانه وأصحابه.

لما رأى الوالي مرجان الدّين هذا التطور قرر الهرب من بغداد والتوجّه إلى مدينة كربلاء واللجوء إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام.

بعد هروب الوالي دخلت القوات الجلائرية مدينة بغداد دون مقاومة لأن القوات التي كانت تابعة إلى الوالي الهارب أعلنت استسلامها للقوات الجلائرية.

يقول ابن كثير في كتابه: (البداية والنهاية) عن هذا الأمر ما نصّه: (في هذا الشهر_ أي شعبان سنة ٧٦٧ هجرية_ بلغنا استعادة السلطان أويس بن الشيخ حسن ملك العراق وخراسان لبغداد من الوالي مرجان الذي كان نائبه عليها وامتنع من طاعة أويس، فجاء إليه بجحافل كثيرة فهرب مرجان ودخل أويس إلى بغداد دخولا هائلا وكان يوما مشهودًا).

بعد إكمال السيطرة على بغداد من قبل القوات الجلائرية أمر السلطان أويس أتباعه بالبحث عن الوالي الهارب.

قام هؤلاء بالبحث عنه إلا أنهم لم يعثروا عليه، وفي أثناء البحث وصلت إلى السلطان أويس أخبارا تفيد بأن الوالي مرجان الدين قد التجأ إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام.

بعد وصول هذا الخبر إلى السلطان أويس أصدر أمرًا إلى مجموعة من أتباعه بالذهاب إلى كربلاء ومن ثمّ الدخول إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام والتأكّد من صحّة الخبر.

جاء هؤلاء بصورة سريّة وقاموا بالدخول إلى المرقد الحسيني المطهّر وإذا بهم يشاهدون الوالي الهارب وهو لائذاً بقبر الإمام الحسين عليه السلام ويدعو الباري جلّت قدرته أن يحفظه من عقاب السلطان أويس.

عاد هؤلاء ليخبروا السلطان أويس بأنّهم شاهدوا الوالي في الصحن الحسيني.

بعد سماع السلطان أقوال هؤلاء والتأكّد منها قرّر إصدار عفو عن الوالي وإعادة أمواله وعقاراته التي صودرت بأمر السلطان أويس وكان سبب إصدار هذا الأمر هو إكراما للإمام الحسين عليه السلام الذي يتفانى الشيعة في حبه ويبذلون كل ما يملكون من أجل السير على خطاه ونهجه القويم وإحياء ذكرى استشهاده، وما المراسيم التي تجري في جميع أنحاء العالم بهذه المناسبة الخالدة إلا دليل أكيد على حبّ الشيعة لهذا الزعيم والقائد الخالد.

هذه هي قلوب الشيعة قلوب صافية لا يوجد فيها حقد ولا ضغينة، قلوب مملوءة بحب آل بيت محمد صلى الله عليه وآله ، قلوب تجري بها دماء نقية لا تحتوي على أية شوائب أو ضغائن لأنهم يسيرون على نهج آل البيت عليهم السلام.

على أثر إصدار هذا العفو الذي أصدره السلطان أويس للوالي مرجان قرر هذا الرجل إنشاء منارة ثالثة لمرقد الإمام الحسين إيفاءً منه للعهد الذي قطعه على نفسه حيث ذكرت العديد من الروايات

التي دونت في كتب التاريخ التي تحدثت عن مراحل تطور بناء المرقد المنور، إن هذا الوالي كان قد نذر لوجه الله إن هو نال العفو من السلطان أويس فإنه سيقوم بتشييد هذه المنارة والتي اشتهرت فيما بعد بمنارة (العبد) وقد كانت تقع في الزاوية الشرقية من الصحن الحسيني الشريف.

هذا وقد ذكرت هذه الروايات أن الوالي مرجان قد وقّف جميع أملاكه في بغداد وكربلاء وعين التمر وقفا خاصا تصرف عائداته لإدامة وتعمير هذه المنارة.

هذا وقد بقيت هذه المنارة شامخة حتى عام ١٩٣٦م حيث قامت الحكومة العراقية في العهد الملكي بتهديدها بحجة أنّ أسسها قد اصابها الضرر لكن الظاهر أن الحكومة كانت تريد الاستيلاء على العقارات التي أوقفها الوالي مرجان بهذه الحجة، وهكذا تمّ تهديم هذه المنارة العملاقة التي شيدت عام ٧٨٦هجرية .

هذا من جانب أما من الجانب الآخر فإن السلطان أويس قام بتعمير وتوسيع مرقد الإمام الحسين عليه السلام كما قام بتخصيص المبالغ اللازمة لغرض الاستمرار بتنفيذ التعميرات للمرقد المقدس في المستقبل وكانت أعماله هذه ممتعة للأعمال التي كان قد أمر بها والده حسن الجلائري، تلك الأعمال التي كان قد أشرف عليها بنفسه عندما قام بإخضاع العرق لسلطته.

عاد السلطان أويس إلى بلاده بعد أن قام بإخضاع المزيد من المناطق إلى نفوذه حتى أمدت أركان سلطته إلى بحر الخزر، وقد تمكّن من السيطرة على الأراضي الشاسعة بسبب قوّة جيوشه التي أحسن تدريبها وتسليحها.

على أثر توسيع أركان الدولة الجلائرية كثرت على السلطان أويس الفتن والاضطرابات كما حدثت خلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة وجرت صراعات قوية فيما بينهم إلا أنه تمكّن من القضاء عليها بقوة.

بذل السلطان أويس جهودا كبيرة من أجل فرض سيطرته على جميع المناطق التابعة له بالرغم من حدوث المشاكل التي أشرنا إليها.

ظلّت مناطق نفوذه تحت سيطرته حتى الإعلان عن وفاته عام ٧٧٦ هجرية.

بعد وفاته خلفه ابنه السلطان حسين الذي جوبه بخلافات عميقة وحادّة من أبناء عمومته حيث تسلّط العديد من هؤلاء على أهمّ المراكز في الدولة.

هذا من ناحية أما من الناحية الأخرى فإن خلافات جوهرية حدثت بين السلطان حسين وبين إخوته الذين تمكّنوا من السيطرة ، وبمساعدة عدد من أعوانهم على بعض الأقاليم التابعة للدولة الجلائرية.

أعدّ السلطان حسين العدّة لإرسال جيوشه لإخضاع الأقاليم التي سيطر عليها إخوته وأعوانهم.

اختار السلطان عدد من القادة العسكريين الموالين لـه لقيـادة هـذه القوات.

بعد إكمـال الاسـتعدادات توجهـت هـذه الجيـوش إلـى المنـاطق المذكورة، وما أن وصلت إلى تلك المناطق حتى دارت معارك ضارية بين هذه الأطراف ذهب ضحيتها آلاف القتلى والجرحى.

أدّت هذه المعارك إلى تدهور الوضـع الاقتـصادي للـبلاد وتفـشي البطالة وتردّي جميع الخدمات.

بعد تخلخل الوضع الأمني جرت محاولة لاغتيال الـسلطان حـسين أدّت إلى مقتله.

بعد مقتل السلطان حسين تدهورت الأمور وآلت إلى الأسوأ إلا أن الأسرة الحاكمة قامت وعلى عجـل بمبايعـة الـسلطان أحمـد النجـل الأكبر للسلطان حسين.

أصبح السلطان أحمد الحاكم الفعلي للدولة الجلائرية التـي أصـابها الضعف إلا أنه ما أن تولى مقاليد السلطة حتى قام بمساعي حثيثة من أجل إعادة هيبة الدولة وإخضاع الأقاليم التي تمرّدت على السلطة في عهد أبيه إلى سلطته.

جوبهت أعماله هذه بقتال واسع مما جعل السلطان أحمد أن يحثّ جميع أعوانه وأبناء شعبه على التصدي لخطط الانفصال التـي أعلنهـا بعض الذين كانوا تابعين لسلطة الدولة الجلائرية.

أثمرت الجهود التي بذلها السلطان أحمد في إعادة سيطرته على جميع المناطق التي كانت خاضعة إلى سلطته إبّان عهود السلاطين الذين سبقوه من خلال تفاوضه مع الذين تمرّدوا عليه.

بعد استقرار الأوضاع تمّ عقد الصلح بين السلطان أحمد وبين الأمراء الذين اختلفوا معه وعليه اتفق السلطان أحمد على جعل السلطة على العراق مشتركة بينه وبين الأمير عادل آغا، إلا أن عادل آغا طمع بحكومة العراق وقام بالانفراد بالسلطة.

لما علم السلطان أحمد الذي كان قد عاد إلى عاصمة بلاده بهذا الأمر، قرر العودة إلى العراق وإخضاعه إلى سلطته وطرد الأمير عادل آغا.

وصل السلطان أحمد إلى بغداد وقام بطرد الأمير عادل وإعادة سيطرته على بغداد.

بعد أن اطمأن السلطان أحمد من استقرار الوضع في العراق عاد إلى إيران.

بعد عودته بعدّة أسابيع قام القائد تيمورلنك بالهجوم على تبريز عاصمة الدولة الجلائرية، وبعد قتال عنيف بين قوات الطرفين تمكّن تيمورلنك من الاستيلاء على العاصمة تبريز وإلقاء القبض على القادة الجلائريين.

بعد هذه التطورات هرب السلطان أحمد إلى بغداد وبما أن بغداد كانت خاضعة لسلطته فقد استقر بها وبذلك أصبحت بغداد مقرا للحكومة الجلائرية.

بعد عودته بسط نفوذه على بغداد بقوة حتى تكون سدًا منيعًا أمام خصومه وبالخصوص القائد تيمورلنك.

بعد فترة وجيزة من استقرار السلطان أحمد في بغداد قام تيمورلنك بمهاجمة الأراضي العراقية ومن ثم التوجّه إلى بغداد لاحتلالها والسيطرة عليها.

بعد وصول قوات تيمورلنك دارت معارك شرسة بين القوات الجلائرية وقوات تيمورلنك أسفرت عن هزيمة القوات الجلائرية وهروب السلطان أحمد.

هرب السلطان أحمد إلى الشام وما أن وصل إليها حتى قام بإعداد مجاميع من أعوانه لغرض العودة إلى العراق وإعادة سيطرته على بغداد.

بعد إعداد هذه القوة قرر السلطان أحمد التّوجّه نحو بغداد، سارت القوات الجلائرية نحو المدينة وفي أثناء مسيرها كان ينظم إليها عدد من القبائل العراقية.

وصلت هذه القوات إلى ضواحي بغداد ثم قامت بالهجوم على المدينة وتمكّنت من السيطرة عليها وطرد الحاكم مسعود السبزواري الذي كان قد عينه تيمورلنك.

بعد وصول خبر سيطرة السلطان أحمد الجلائري على بغداد إلى القائد تيمورلنك قرر هذا إعادة احتلاله لبغداد وطرد السلطان أحمد منها.

توجّهت قوات تيمورلنك نحو بغداد فجرى قتال شديد بين القوات الجلائرية وقوات تيمورلنك فأسفر ذلك عن هزيمة القوات الجلائرية وهروب السلطان أحمد الجلائري.

بعد مرور عدّة أسابيع على احتلال بغداد من قبل القوات التيمورية أعاد السلطان أحمد الكرّة مرة ثانية بهجوم قواته على مدينة بغداد فتمكّنت من طرد القوات التيمورية، ومن ثمّ السيطرة على بغداد.

بعد هذه الأحداث أمر تيمورلنك أحد أعوانه المدعو شاه محمد بالهجوم على بغداد وطرد الجلائريين منها، وهو ما حدث حيث قام شاه محمد بقيادة القوات التي أعدها إعداد جيدا والهجوم على مدينة بغداد وكان ذلك عام ٨١٤ هجرية ـ ١٤١١ ميلادية وبعد هذا الهجوم الناجح تمكّن من السيطرة على بغداد وبذلك انتهى الحكم الجلائري وتم القضاء على الدولة الجلائرية.

بعد أن تحدثنا عن الوضع السياسي لأمراء الدولة الجلائرية إحدى دول الشيعة كما ذكرنا سابقا نتحدّث عن الوضع الاقتصادي الذي مرت به هذه الدولة وبالخصوص في العراق الذي كان مركزاً مهما لدولتهم، بل أن مدينة بغداد أصبحت العاصمة الفعلية لهذه الدولة لفترة من الزمن.

عمل الجلائريون على تنشيط التجارة الداخلية والخارجية خدمة لمصالحهم فقام السلطان حسن الجلائري مؤسس الدولة بإلغاء الضرائب والرسوم التي كانت مفروضة على التجار، كما أنه عمل على شق الطرق بين دولته والدول المجاورة من أجل تسهيل دخول البضائع وخروجها، وقد جنّد الآلاف من أبناء القبائل العربية لحراسة الطرق التجارية لحماية القوافل التجارية من اللصوص الذين كانوا منتشرين في تلك الفترة، كما عمل على إنشاء أسطول تجاري لنقل البضائع والمسافرين حتى يساهم في انتعاش التجارة وازدهار الوضع الاقتصادي لدولته.

بعد القيام بهذه الإجراءات تطورت التجارة بشكل كبير حيث قام التجار العراقيين بالسفر إلى الصين والهند وبلاد البلقان (بلغاريا_ اليونان_ يوغسلافيا_ ألبانيا) وأواسط آسيا وغيرها من المناطق.

كان هؤلاء التجار يستوردون من هذه الدول التوابل والعطور والأحجار الكريمة والسجاد والقماش والنسيج والحرير، أما المواد التي كان يصدرها العراق فكانت التمور والأسلحة والخيول والمواشي والدهون الحيوانية وغيرها من المواد التي كانت تنتج أو تصنّع في العراق.

انفردت مدينة كربلاء المقدسة عن باقي المدن العراقية بمجال التجارة حيث برز العشرات من كبار تجار كربلاء الذين كانوا يتنقلون

بين البلدان الأجنبية التي ذكرنا قسما منها عند كتابتنا عن هذا الموضوع.

أما أبرز تجار مدينة كربلاء في تلك الفترة والذين أشار إليهم العديد من المؤرخين فكانوا هم التاجر أبو الحسن بن علي الكربلائي والتاجر شمس الدين محمد حسين الكربلائي والتاجر علي بن منصور الكربلائي والتاجر مجد الدين بن إسماعيل الكربلائي، ومن أراد الإطلاع على المزيد من أسماء التجار الكربلائيين فليطالع كتاب: (العراق في العهد الجلائري) تأليف الدكتور: نوري عبد الحميد العاني.

أما سبب انفراد مدينة كربلاء في المجال هو الاهتمام العمراني الواسع الذي كان يجري في هذه المدينة المقدسة ويعود الفضل لهذا الأمر هو اهتمام الأمراء الجلائريين بمرقد الإمام الحسين عليه السلام الشيء الذي ساعد على توجّه مئات الآلاف من الزائرين الكرام وعلى مدار السنة لزيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام.

يذكر الرحالة ابن بطوطة في رحلته عن النشاط التجاري الكبير الذي كان يقوم به تجار مدينة كربلاء ما نصه: (إنه عندما توجّه إلى خوارزم صحبه التاجر علي بن منصور الكربلائي وقد أراد السفر معه إلى الهند لكن جماعة من تجار كربلاء وصلوا خوارزم في طريقهم إلى الصين فسافر معهم، ولما وصل إلى مدينة (المالق) وهي من

أعمال ما وراء النهر وأول بلاد الصين وصل أحد التجار ونزل معه في فندق واحد).

كما اهتمّ الأمراء الجلائريين بالطرق النهرية حيث قاموا بكري الأنهر وإقامة القناطر فوق هذه الأنهر وذلك لتسهيل نقل البضائع ومرور القوافل التجارية.

أما الطرق العامة فقد ذكرنا من قبل أن الجلائريين اهتموا بها اهتماما كبيرًا وخصّصوا أموالا طائلة لتنفيذها وإنجازها .

أما الطرق الخارجية التي تربط العراق بالدول المجاورة ودول العالم الأخرى فكانت عديدة وهي عبر إيران وسوريا وتركيا وكردستان والجزيرة العربية.

بعد أن تحدثنا عن التجارة والطرق التجارية التي شهدها العراق إبان العهد الجلائري.

نأتي ونتحدّث بإيجاز عن المسكوكات والعملات الجلائرية الرصينة.

تظم مجموعة المتحف العراقي ثلاثة دنانير ذهبية من ضرب بغداد المسكوكة الأولى باسم السلطان أويس الجلائري، وقد سكت هذه المسكوكة سنة ٧٦٠ هجرية_ ١٣٥٨ ميلادية بوزن: (٦٦٤/٨ غم) وقطرها (٧/٢١غم) والثانية باسم السلطان حسين الجلائري بوزن (٩٧٨/٠غم) وقطرها (٥/١٤م) والثالثة باسم السلطان أحمد الجلائري بوزن (٣٠٠/٣٤ غم) وقطرها (٢٢م).

كما يوجد في المتحف العراقي أربعة دنانير باسم السلطان أحمد الجلائري، واثنان منها ضرب في بغداد الأول بتأريخ (٧٨٣) هجرية، والثاني بتأريخ (٧٨٨) هجرية.

هذا وتحتوي مجموعة المتحف البريطاني على خمسة مسكوكات ذهبية من ضرب بغداد، اثنتان منها باسم السلطان أويس الجلائري سنة (٧٦٢) هجرية وواحدة باسم السلطان حسين الجلائري سنة (٧٨٢) واثنتان باسم السلطان أحمد الجلائري سنة(٧٧٨) .

أما متحف برلين فيضمّ مسكوكتين أحدهما باسم السلطان حسن الجلائري والثانية باسم السلطان أويس الجلائري، أما متحف (أرمتياج) الروسي فيضمّ سبعة مسكوكات ذهبية تعود للعهد الجلائري.

يتّضح من خلال وجود هذه العملات أن ضرب النقود الذهبية قد ازداد في عهد السلاطين الجلائريين نتيجة تحسّن الوضع الاقتصادي وبالخصوص في العراق.

أما الجيش الجلائري الذي اهتمّ به سلاطين هذه الدولة فكان جيشًا قويا ويتكون غالبيته من العرب والتركمان، وهذا دليل على أن أمراء وقادة هذه الدولة لم يكونوا من العناصر التي تفضّل قومية على أخرى.

هذا ويذكر الأستاذ نوري العاني في كتابه: (العراق في العهد الجلائري) والذي استفدنا منه كثيرا أن معظم القبائل العربية وقفت

إلى جانب السلطان أحمد الجلائري، ويقول أيضا: في جانب آخر أن السلطان أحمد الجلائري لما هرب من بغداد بعد هجوم قوات تيمورلنك على مدينة بغداد وتمكّنه من احتلالها، قامت القبائل العربية بدعوته بالعودة إلى العراق وعليه قرر العودة.

وما أن عاد حتى قدمت له هذه القبائل الدعم العسكري والمادي فتمكّن السلطان أحمد من السيطرة على بغداد وطرد الوالي الذي كان قد عينه تيمورلنك وكان ذلك عام (٧٩٦) هجرية.

بعد هذا السرد التاريخي عن الدولة الجلائرية وسلاطينها نأتي هنا ونتحدث بإيجاز عن ما قام به سلاطين هذه الدولة في خدمة الشريعة الإسلامية.

جاء في العديد من الكتب التي تحدثت عن تاريخ هذه الدولة وأمرائها، إن الذين تولوا مسؤولية الحكم في هذه الدولة قاموا بإنشاء المزيد من المدارس الدينية ولجميع المذاهب الإسلامية .

وليس للمذهب الجعفري فقط، كما أنهم قاموا ببناء وتعمير جميع المراقد المقدسة في العراق ولجميع المذاهب الإسلامية أيضا حيث جرى تعمير مراقد الأئمة الأطهار في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة والكاظمية وسامراء.

كما أنهم اهتموا بتعمير مرقد الإمام أبي حنيفة والشيخ عبد القادر الكيلاني والإمام أبي يوسف وسيد أحمد الرفاعي وغيرها من مراقد أئمة إخوتنا أبناء السنة.

لكنني أعجب من أقوال بعض المؤرخين والكتاب الذين يزعمون بأن زعماء المذاهب الإسلامية السنية قد هشموا خلال فترة حكم هذه الدولة وأن أمراء الجلائريين كانوا يسيئون للخلفاء، وأنا أردّ على هؤلاء، دفاعا عن أمراء الدولة الجلائرية، فإنهم قد ذهبوا وانتهت دولتهم إلا أننا نذكر الحقيقة فنقول أن أمراء هذه الدولة كانوا من المعتدلين ومن الذين يكنون الاحترام لكل المسلمين دون تفريق والدليل على قولي هذا هو الكتابة التي وضعت على المسكوكات والعملات التي أصدروها حيث كتبت أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة على هذه العملات، ومن أراد التأكّد من قولي هذا فليذهب إلى المتحف العراقي لكي يشاهد هذه المسكوكات ويطّلع عليها كي يتأكّد من صحة أقوالي هذه.

في ختام البحث يمكننا القول بأن الدولة الجلائرية دولة شيعية نموذجية قدّمت خدمات جليلة ورائدة لعامة المسلمين وليس لأبناء الشيعة فقط حيث تمتّع أبناء المذاهب الإسلامية الخمسة (الجعفري، المالكي، الحنفي، الشافعي، الحنبلي) بكامل الحرية في تأدية طقوسهم الدينية والمراسيم والتقاليد التي يسير عليها أبناء هذه المذاهب وفي جميع الأقاليم الإسلامية التي خضعت لسلطة الجلائريين.

وإن هذه الدولة لم تكن دولة طائفية كما يزعم بعض المؤرّخين والكتاب حيث لم نقرأ أو نسمع بأن أمراء هذه الدولة وجيوشها قاموا بأعمال ضدّ المسلمين بكافة مذاهبهم بما فيهم الخوارج الذين كفروا

الإمام علي عليه السلام الرمز الكبير للشيعة، وهذا وسام شرف يفتخر به الشيعة الذين يتعرضون الآن لهجمة شرسة من قبل الذين لا يريدون للإسلام والمسلمين الوحدة والوئام والسلام.

مصادر البحث:

١_ تأريخ آل جائر_ فارسي_ لشيرين بياني: ٣٦.
٢_ الشيعة في العهد المغولي: ١٨.
٣_ البداية والنهاية ج١٤: ٣٢٠.
٤_ العراق قديما وحديثا: ٢٤_ ٢٦.
٥_ رحلة ابن بطوطة: ٢٨٩.
٦- العراق في العهد الجلائري_ الدكتور نوري عبد الحميد العاني.
٧_ تجارة العراق: ٢٥٩.
٨_ زبدة التواريخ: فارسي: ١٦٧.
٩_ موسوعة العتبات المقدسة_ قسم كربلاء: ٢٦٦.
١٠_ مدينة الحسين ج١: ٣٤.
١١_ دائرة المعارف الحسينية ج٣: ٤٠٣.
١٢_ تاريخ كربلاء والحائر الحسين: ١٨٦_ ١٩٠.
١٣_ تراث كربلاء: ٨١.
١٤_ مجلة الدليل الإسلامي_ العدد(٦٢٠) : ٨.
١٥_ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة_ لابن الغوطي: ٣٣٣_ ٣٤٥.

١٦ـ نقود الدولة الجلائرية المحفوظة في المتحف العراقي ـ مجلة سومر ـ العدد(٢٩) لسنة ١٩٧٢.

١٧ـ نقود الدولة الجلائرية ـ مهاب البكري: ٢٣٢.

مملكة الجك
في كشمير

مملكة الجك:

هذه المملكة إحدى دول الشيعة التي أنشئت في إقليم كشمير المتنازع عليه الآن بين الهند وباكستان والذي تسكنه غالبية مسلمة وقسم من الهندوس والبوذيين، وتشكل نسبة الشيعة حوالي ٤٠٪ ، ظهر اسم (الجك) وهي قبيلة كبيرة تسكن هذا الإقليم على مسرح الأحداث السياسية بشكل مؤثر في عهد السلطان فتح بن أدام سنة (٨٨٨ هجرية)، حيث تعاون عدد من رموز هذه القبيلة على تأسيس دولة شيعية عرفت بـ(مملكة الجك).

كان أبرز أبناء هذه القبيلة السياسي المحنك (كاجي جك) كما وصفه أستاذنا الفاضل والكاتب القدير محمد سعيد الطريحي ابن مدينة العلم والأدب مدينة النجف الأشرف وابن الأسرة العلمية المعروفة بـ(آل الطريحي) وهي من الأسر المعروفة في مدن الفرات الأوسط وتنحدر من قبيلة بني أسد وصاحب مجلة (الموسم) الرائدة التي تصدر في هولندا والذي أتحفنا بمواضيع مجلته الرائعة ومنها مقاله القيم حول مملكة الجك الذي استفدنا منه كثيراً.

قام الزعيم الجكي بتأسيس هذه المملكة عام (١٥٤٢) ميلادية، ما أن أعلن عن قيام هذه الدولة حتى أصدر أمرا باعتبار المذهب الجعفري مذهبا رسميا لهذه الدولة.

تعاقب على حكم هذه المملكة عدد من السلاطين أو الملوك وقد كان الزعيم (جاكي جك) موضع احترام هؤلاء المسئولين الذين كانوا يعتبرونه المنظِّر الحقيقي لسياسة المملكة.

لعب هؤلاء الساسة دورا مهما في استتباب الأمن وازدهار الوضع الاقتصادي والمعيشي لأبناء كشمير والمناطق الأخرى التي كانت تابعة لها.

يعتبر السلطان شمس الدين الثاني الذي خلف أخوه السلطان إسماعيل صهر ـ جاكي جك) أحد ابرز سلاطين هذه المملكة والذي استمدّ قوته من خلال الدعم الكبير الذي قدمه له كاجي جك.

حاول عدد من الذين لم ترق لهم السياسة العادلة التي سار عليها هذا السلطان العادل إلى إثارة القلاقل بوجه السلطة وعلى أثر هذه التطورات قرر الزعيم (جاكي جك) مغادرة البلاد تجنبا من إراقة الدماء التي ستقع بين أبناء الشعب الواحد.

ما أن انتشر خبر مغادرة الزعيم جاكي جك حتى قام أحد علماء السنة الكبار والذي كان يحظى باحترام كبير من جميع أبناء كشمير بالطلب من الزعيم جاكي جك العودة إلى البلاد على الفور.

على أثر هذا الطلب عاد الزعيم جاكي جك إلى البلاد وكان باستقباله مجموعة من وجهاء المملكة وفي مقدمتهم العالم الجليل.

كان جاكي جك يعتبر الحاكم الفعلي لهذه المملكة كما ذكرنا أثناء البحث إلا أنه كان هناك سلاطين تعاقبوا على حكم هذه المملكة

لكنهم كانوا يستشيرون الزعيم جاكي جك في كل صغيرة وكبيرة تخصّ شؤون المملكة وأبنائها.

بعد وفاة السلطان شمس الدين الثاني تولّى المسؤولية نجله السلطان إبراهيم الثاني إلا أن حكمه لم يدم سوى أربعة أشهر حيث حدثت بعض التطورات إذ أعلن قسم من عشائر كشمير الثورة ضدّ السلطة وقد دعم هؤلاء مجموعة من الزعماء الذين كانوا غير مرتاحين من سياسة الدولة وهؤلاء هم أبناء (بابر المغولي) الذين سبق وإن كان مسيطرًا على حكم البلاد قبل قيام المملكة الشيعية.

تمكّن هؤلاء الثوار من السيطرة على السلطة بعد معارك طاحنة قادها الزعيم الشيعي جاكي جك مما اضطره إلى أن يغادر البلاد مع مجموعة من زعماء الشيعة.

لم يهدأ الزعيم جاكي جك من مقاومة خصومه حيث استعدّ لمقاتلتهم إلا أنه لم يتمكّن من إزاحتهم وإبعادهم عن السلطة حيث ظلوا مسيطرين عليها إلى أن خلع (غازي جك) أحد أتباع الزعيم الشيعي جاكي جك السلطان إسماعيل شاه الذي نصّب من قبل أتباع (بابر المغولي).

بعد خلع إسماعيل شاه بعدّة أشهر ارتقى السلطة أحد زعماء قبيلة الجك هو السلطان (حسين جك) وكان ذلك عام (٩٧١) هجرية.

دام حكم السلطان حسين جك سبع سنوات أعاد خلالها السلطة إلى زعماء الشيعة إلا أنه عانى من متاعب كثيرة بسبب المؤامرات

التي حاكها ضدّه إمبراطور الهند المغولي لكن أهل البلاد وقفوا مع السلطان حسين جك فتمكّنوا من إفشال هذه المؤامرات.

في خضمّ هذه الأحداث أعلن عن وفاة السلطان حسين جك فتولّى السلطة السلطان (علي جك) وقد دام حكمه زهاء تسعة سنوات عمل خلالها على استتباب الأمن والاهتمام بأحوال أبناء الشعب وحلّ الخلافات بين المذاهب الإسلامية التي افتعلها أصحاب النفوس الضعيفة والتي كانت تجري بتوجيه من إمبراطور الهند المغولي.

من الأعمال القيّمة الأخرى التي قام بها هذا السلطان هي تعيينه للسيد إبراهيم البيهقي أحد أكبر زعماء الأخوة السنة في البلاد بمنصب رئيس الوزراء، وقد كان هذا العالم الجليل من الرجال الأجلاء الذين يتمتعون باحترام كبير من لدن جميع أبناء كشمير، عمل الاثنان على إقامة دعائم السلم في البلاد وبذلك تمكّن من القضاء على الخلافات والمشاكل التي سبق وأن افتعلها أعداء الإسلام والمسلمين.

في هذه الثناء حاول أتباع الشاه السابق القيام بمحاولة انقلابية للسيطرة على زمام السلطة إلا أن القبائل الشيعية تمكّنت من دحر المتآمرين وتشتيت شملهم.

في عام (٩٨٧) هجرية توفّى السلطان علي جك وقبل وفاته كان قد أوصى إلى نجله يوسف جك.

تولّى يوسف جك السلطة بعد وفاة والده وما أن تـولّى المسؤولية حتى جوبه بثورة ضدّ سلطته فتصدّى لها إلا أنه لم يتمكّن من القضاء عليها بسبب الدعم الكبير الذي تلقّاه الثوّار من إمبراطور الهند، وعلى أثر ذلك قرّر مغادرة البلاد.

لم يمض وقت طويل على مغادرته البلاد أن سرعان ما تولى السلطة الزعيم الديني البيهقي، فما كان من هذا الرجل الذي تولي المسؤولية إلا أن يطلب من السلطان العودة، فتخوّف من العودة فتولى السلطة ابن عمه (لاهور جك) غير أن قبيلة الجك كانت غير راضية على هذا الأمر وعلى أثر ذلك حدثت خلافات بين أبناء قبيلة الجك.

بعد اجتماعات عديدة بين أبناء القبيلة تنازل لاهور جك عن السلطة فتولى الحكم يوسف قام الذي عاد إلى البلاد بعد أن أقنعته قبيلته بعد عودة السلطان يوسف جك بخدمات جليلة لأبناء البلد الذين عانوا الكثير من المشاكل بسبب حدوث بعض القلاقل التي كانت مستمرة بين أفراد القبائل الكشميرية والتي كانت تقع بسبب التحريض الذي كان يقوم به ضدّ زعماء الشيعة زعماء الهند المغول.

في هذه الأثناء هدّد إمبراطور الهند بإسقاط حكومة الجك الشيعية إن لم يدفع حكامها الهبات إلى حكومة الهند حيث كانت هذه الحكومة تمتلك جيشا كبيرا جدًّا تهدد به مملكة الجك باستمرار.

بعد حدوث هذه الأمور قرر السلطان يوسف جك السفر إلى الهند لوضع حدّ للتهديدات الهندية.

ما أن وصل السلطان يوسف حتى عقد اجتماعا مطولا مع أمبراطور الهند لوضع حدّ لهذه التهديدات والاتفاق على حل لصالح الدولتين، لما علم ابن السلطان يوسف بسفر أبيه إلى الهند لمفاوضة إمبراطورها قرر عزل أبيه وتولي السلطة بنفسه وبذلك انتهى حكم السلطان يوسف الذي دام حوالي ستة سنوات.

تولى السلطان يعقوب السلطة بعد عزل أبيه وقام بتغيير معظم الوزراء الذين كانوا يعملون مع أبيه.

على أثر هذه التطورات قام إمبراطور الهند بالتدخّل بشؤون المملكة لغرض إضعافها، وكان من أعماله تلك هي إرساله مبعوثا عنه لإبلاغ السلطان يعقوب بعدّة شروط كان الغرض منها هو الحدّ من سلطات السلطان.

كان من ضمن الشروط طلب إمبراطور الهند من السلطان يعقوب السماح بتدخّل الإمبراطور في الأمور الدينية وإعطاء الحق له بتعيين الوزراء وعدم إسناد أي مركز لوجهاء كشمير دون الرجوع إليه.

رفض السلطان يعقوب مطالب الإمبراطور هذه، وعلى أثر الرفض أصدر إمبراطور الهند المغولي أمرا إلى أحد قادته العسكريين بالتوجّه إلى كشمير على رأس قوّة عسكرية كبيرة لإسقاط الحكومة الجكية.

بعد وصول هذا الخبر إلى السلطان يعقوب استعدّ مع أفراد قبيلته والقبائل الشيعية الأخرى لمقاتلة هذه القوات الغازية.

بعد مضيّ عدّة أيام على توجّه القوات الهندية إلى كشمير وتمكّنت من احتلال أجزاء من الأراضي الكشميرية فتصدّت لها القوات الكشميرية، وبعد قتال ضاري وعنيف تمكّنت القوات الهندية من السيطرة على الوضع وهزيمة القوات الكشميرية.

على أثر ذهه الأحداث انسحبت القوات الكشميرية لترتيب وضعها حيث لم يترك السلطان الشيعي يعقوب جك بلاده ترزح تحت سيطرة القوات الهندية فقام بإعداد الكثير من أبناء القبائل الكشميرية سنّة وشيعة وتدريبها وتزويدها بالمال والسلاح ومن ثم انضمامها للقوات الكشميرية لغرض مقاومة القوات الهندية.

بعد أن تأكّد السلطان يعقوب جك بمقدرة قواته على استعادة زمام الأمور أمر قواته بالهجوم على القوات الهندية فقامت هذه القوات بمباغتة القوات المعتدية، وعلى أثر هذا الهجوم جرت معارك ضارية بين الطرفين أسفرت عن إلحاق الهزيمة بالقوات الهندية وإعادة السيطرة على الأراضي الكشميرية.

وهكذا تمكّنت القوات الشيعية وبمساندة القبائل المتحالفة معها من أبناء الأخوة السنة من هزيمة القوات الهندية في هذه المعركة الحاسمة التي وقعت في منطقة (جير واني) وقد سميّت هذه المعركة باسم هذه المنطقة.

لم يمرّ وقت طويل على استعادة السلطان يعقوب جك سلطته حتى قام إمبراطور الهند المغولي بإعادة الكرّة مرّة أخرى لاحتلال

كشمير وإسقاط هذه الدولة الشيعية التي أزعجته كثيرًا إلا أنه فشل أيضا.

بعد أن فشل إمبراطور الهند من إسقاط مملكة الجك قرر القيام بمكيدة خبيثة هي تجنيد عدد من الكشميريين الذين كانوا لا يرغبون في سيطرة رجال الشيعة على السلطة والذين كانوا يقيمون في الهند.

استدعى الإمبراطور هؤلاء وقام بدعمهم بالمال والسلاح ومن ثمّ مساندة القوات الهندية لهم.

بعد تلقي هؤلاء الخونة الدعم المالي والعسكري من إمبراطور الهند قرروا دخول الأراضي الكشميرية المتاخمة للهند بعد أن تعاون معهم عدد من العملاء.

بعد دخول قوّات المتآمرين الأراضي الكشميرية تصدّت قوّات السلطة لهم حيث حدث قتال بين هؤلاء المرتزقة والقوات الكشميرية الرسمية ولما كانت قوات المتآمرين مدعومة من دولة قوية فقد تمكنت من دحر القوات الكشميرية وإيقاع أفدح الخسائر بها ومن ثمّ السيطرة على زمام السلطة.

بعد سيطرة القوات الحليفة للقوات الهندية تمكّنت من اعتقال السلطان يعقوب جك وأخذه أسيرا إلى الهند وزجّه في السجن الذي قضى نحبه فيه.

وهكذا أسقطت مملكة الجك الشيعية وبهذا انتهت هذه الدولة الشيعية الرائدة التي قدّمت خدمات جليلة للإسلام والمسلمين حيث

عمّ الرخاء والاستقرار أرجاء هذه المملكة بالرغم من المتاعب والصعوبات التي قام بها خصوم الشيعة إلا أن سعة صدر حكّام هذه المملكة جعلتهم يتعاملون مع الناس بروح تسودها المحبة والألفة لإقامة حكم عادل يحترم جميع الأديان والمذاهب والملل .

إن السياسة الرشيدة التي سار عليها سلاطين هذه الدولة الشيعية جذبت قلوب جميع أبناء الأقاليم التي كانت خاضعة لهذه المملكة والذين كانوا ينتمون إلى ديانات عديدة منها البوذية والهندوسية والمسيحية والمجوسية إضافة إلى المسلمين ولما كان سلاطين هذه المملكة من أصحاب العقول النيّرة فقد نالوا استحسان وتقدير جميع أبناء هذه الديانات وهذا دليل على مقدرة زعماء الشيعة من رجال دين ورجال سياسة على إدارة شؤون المسلمين بأحسن وجه.

بعد أن تحدثنا عن هذه الدولة الشيعية لابدّ وأن نتحدّث عن ذلك الرجل القدير والعالم الفاضل الذي كان له الفضل الكبير في انتشار أفكار المذهب الجعفري في شبه القارّة الهندية ومنها منطقة كشمير ألا وهو العلامة الكريم شمس الدين العراقي أحد فضلاء العراق وأحد زعماء الشيعة الكبار والذي يعد المؤسس الحقيقي للوجود الشيعي في كشمير وبقية الأقاليم الهندية.

ينحدر هذا العالم الجليل من أسرة علوية شريفة، سافر إلى كشمير في الربع الأخير من القرن الهجري التاسع وما أن وصل إلى هناك

حتى بدأ ببثّ دعوته وبالخصوص في قبيلة (الجك) التيّ كانت أحد أكبر القبائل الكشميرية والتي كانت تدين بالديانة البوذية.

بذل السيد الجليل العراقي جهودًا كبيرة من أجل دعوة أبناء كشمير إلى اعتناق الدين الإسلامي، وبعد جهود مضنية تمكّن من أن يحول أبناء قبيلة (الجك) إلى الإسلام وموالاة آل البيت عليهم السلام ، وكان في مقدمة أبناء هذه القبيلة الذين أعلنوا إسلامهم الزعيم (كاجي جك) الذي لعب دورا رياديا في انتشار أفكار المذهب الجعفري فيما بعد وتأسيس الدولة الشيعية في كشمير.

إن الأعمال العظيمة التي قام بها هذا الزعيم الشيعي الكبير لم ترق لبعض من ضعفاء النفوس فقاموا بتأليب حاكم كشمير في تلك الفترة الملك محمد شاه على هذا الرجل الصالح الذي اتهموه بإثارة البدع وغيرها من الأمور التافهة التي اتّهموا بهذا هذا الرجل المصلح، على أثر هذه الاتهامات الباطلة التي نسبوها لهذا العلامة الفاضل أمر الملك محمد شاه باعتقاله ومن ثمّ نفيه إلى خارج كشمير، ما أن علم أبناء كشمير بهذا الأمر حتى قاموا بإعلان الثورة ضدّ الملك ومن ثمّ الهجوم على القصر الملكي والإمساك بالملك وإبعاده عن السلطة.

بعد قيام أبناء الشيعة بخلع الملك المذكور أسندت السلطة إلى الملك فتح شاه الذي كان قد خلعه الملك المخلوع من قبل.

بعد حدوث هذه التطورات قام الملك الجديد باستدعاء العالم الشيعي الكبير شمس الدين العراقي إلى القصر الملكي والاعتذار منه

ثم أمر الملك الجديد بتخصيص أحد القصور الملكية لتكون مقراً دائمًا له.

عاد شمس الدين العراقي إلى ممارسة أعماله الجليلة بنشر الدعوة الإسلامية في العديد من المناطق التي كان يسكنها عدد من القبائل التي كانت تدين بالبوذية والهندوسية فتمكّن من إقناع كثير من أبناء هذه القبائل على الدخول إلى الدين الإسلامي.

جاء في الأخبار أن حوالي (٣٤) ألف من الهندوس والبوذيين دخلوا الإسلام خلال شهر واحد.

على أثر هذه الجهود الخيرة التي بذلها شيخنا العراقي في مجال نشر الدعوة الإسلامية والانتماء إلى مذهب آل البيت عليهم السلام أصبح المذهب الجعفري أحد أشهر المذاهب الإسلامية في إقليم كشمير.

أزعجت هذه الجهود التي قام بها شيخنا العراقي بعض من وعّاظ السلاطين الذين لا يريدون الخير والعزّة لديننا الإسلامي والذين يسهرون من أجل تفرقة المسلمين وشقّ صفوفهم بالقيام بمحاولة لقتل هذا المجاهد الكبير.

نجحت مساعي هؤلاء الخائبين حيث تمكّنوا من غسل دماغ عدد من الشباب المغرر بهم وطلبوا منهم اغتيال الشيخ العراقي وهو ما تمّ حيث قام هؤلاء الأوغاد بتنفيذ مهمتهم الخسيسة في عام ٩٢٨ هجرية وتمكّنوا من قتل هذا العالم الجليل وبوفاته خسر المسلمون في شبه

القارة الهندية أحد أكبر علماء المسلمين الذين بذلوا الكثير من أجل نشر المبادئ الإسلامية وتوحيد كلمة المسلمين.

وهكذا رحل هذا العالم الفاضل الذي كان له دور عظيم في نشر أفكار المذهب الجعفري في إقليم كشمير وبقية الأقاليم في شبه القارّة الهندية والذي يعود له الفضل الأول في تأسيس أول دولة شيعية في كشمير هي مملكة الجك هذه المملكة الخالدة التي قدّمت خدمات قيمة للمسلمين عامة ولأبناء المذهب الجعفري خاصّة.

مراجع البحث:

١_ الشيعة في شبه القارة الهندية_ للعلامة محمد لاهوري: ٣٣_ ٣٩.

٢_ أعلام الشيعة في العالم _ للسيد محمد الزنجاني: ٨٧_ ٨٩.

٣_ مجلة الموسم الهولندية_ العددان_ ٤٩، ٥٠، لسنة ٢٠٠٢.

٤_ قبائل كشمير _ للشيخ محمد جامو: ٣٧_ ٤١.

٥_ من أعلام الشيعة الخالدين_ للسيد عزّ الدين اللكنهوي: ٧٧_٨٣.

٦_ هؤلاء هم الشيعة _ محمد حسين الشيرازي: ١٣_ ١٩.

٧_ حركات شيعية_ عبد الأعلى الحسيني: ١٠٠_ ١١٠.

مملكة أوده
الـهند

مملكة أوده:

هذه المملكة الشيعية تأسست في الهند في بداية القرن الخامس عشر الميلادي، وقد تكونت هذه المملكة من عدد من الأقاليم والمناطق التي كانت تسكنها القبائل الشيعية إضافة إلى القبائل الأخرى من أتباع المذاهب الإسلامية الأربعة كما كانت تظمّ عدد من القبائل التي كانت من أديان مختلفة كالبوذية والهندوسية والسيخ والمسيحية واليهودية، إلا أن القبائل المسلمة كانت أكثر عددًا من هذه القبائل.

كان أغلب سكان المناطق التي تكوّنت منها هذه المملكة على علاقة وطيدة مع المرجعيات الدينية الشيعية في مدينتي النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة وقم المقدسة.

بعد الإعلان عن تأسيس هذه الدولة اختيرت مدينة (لكنهو) عاصمة لهذه المملكة، كما اختير (الملك محمد خان) أول ملكا لها.

بعد تولّيه السلطة قام الملك بتنظيم شؤون دولته وكان أوّل عمل قام به هو تشكيل جيش منظّم انضمت إليه شريحة كبيرة من أبناء العشائر الشيعية التي كانت تسكن المنطقة منذ أمدٍ بعيد، كما أمر الملك بإقامة حكومات مصغّرة لإدارة شؤون المناطق التابعة لدولته.

بذل الملك محمد خان جهودًا كبيرة على العمل من أجل تثبيت أركان الدولة وتوفير لقمة العيش الكريمة لأبناء شعبه حتى وافاه الأجل في عام ١١٥٢هـ

بعد وفاته خلفه على السلطة الملك (أبو منصور خان) الذي دام حكمه إلى عام (١١٦٧) هجرية، وقد عمّ الرخاء والأمن خلال حكمه ربوع المملكة حيث كان يسهر من أجل إحقاق العدل ورعاية الفقراء والاهتمام بحقل الزراعة والعمل على ازدهارها لأنها كانت من أكثر المهن التي يعمل بها أبناء البلاد، هذا من جانب أما من الجانب الآخر فإن هذا الملك كان من المولعين بالاهتمام بالطقوس الدينية للمذهب الجعفري وخاصّة ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام حيث قام بتشييد العشرات من الحسينيات التي كانت تقام فيها مراسيم العزاء الحسيني إضافة إلى تقديم الدّعم المادّي لإقامة هذه الشعائر، ومن أعماله الجليلة الأخرى هي إرساله العشرات من المعماريين المهرة إلى كربلاء لغرض تعمير المرقد الحسيني المطهّر، كما كان يرسل سنويا مبالغ مالية كبيرة لصرفها وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين الساكنين في مدينتي كربلاء والنجف الأشرف، ومن الأعمال الأخرى التي قام بها تجاه المراقد المقدّسة لدى الطائفة الشيعية هي إرساله عدد من المصاحف الكريمة الثمينة إلى خزانة المرقد الحسيني، كان منها مصحفا شريفا تحتوي كل صفحة منه على ثلاثة عشر سطرا، وكان السطر الثالث في كل صفحة مذهبا، وقد أشارت مجلة المجمع العلمي العراقي التي كانت تصدرها الحكومة العراقية في الخمسينيات إلى هذا الأمر.

ظلّ الملك أبو منصور مهتما اهتماما واسعا في شؤون بلاده ولعلّ أهم أمر عمل على تحقيقه طيلة فترة حكمه هو العمل على إقامة روابط متينة بين جمع القبائل في مملكة مسلمة وغير المسلمة حيث لم يحدث أي خلاف أو نزاع بين هذه القبائل وهذا دليل على روح الأخوّة والتسامح التي كان زعماء الشيعة يعملون من أجلها، وهنا لابدّ من الإشارة بأن علماء الشيعة قد اهتموا بهذا الجانب حيث لم نقرأ أو نسمع بأنّ أحد من علماء ورجال الشيعة أصدر فتوّة أو أمرا تشكك في أية ملّة كانت مسلمة أو غير مسلمة، وهذه سجية تضاف إلى السجايا والفضائل التي اتّصف بها هؤلاء الرجال الكرام.

استمرّ الملك أبو منصور السير على هذه السياسة الصائبة حتى وافاه الأجل، فخلّفه على السلطة الملك (آصف الدولة) فكان حازما في إدارة شؤون مملكته حيث أرادها على أحسن وجه، وتابع شؤون مملكته بصدر مفتوح وعقيلة منفتحة، وقد ولع هذا الملك منذ صباه بحبه للشعر والأدب والعلماء، حيث أغدق عليهم أموالا طائلة إضافة إلى قيامه بتشييد عدد كبير من المدارس العلمية والدينية لتدريس أصول وفقه المذهب الجعفري، إضافة إلى المذاهب الإسلامية الأخرى.

وعلى أثر اهتمامه بهذه المدارس وتقريبه للعلماء توجّه عدد كبير من أبناء العراق وإيران والهند وكشمير وأفغانستان ودول آسيا الوسطى الإسلامية للدراسة في هذه المدارس.

ظلّ الملك آصف الدولة يعمل وبجدّ على تطوّر بلاده وازدهارها في جميع المجالات وخاصّة العمرانية والثقافية حتى وفاته.

عند الإعلان عن وفاته عمّ الحزن جميع أرجاء المملكة بسبب حب الشعب له وبعد انتهاء مراسيم التشييع أعلن عن تولّي الملك (شجاع الدولة) الذي سار على سيرة الملوك الذين سبقوه بل أنه زاد عليهم من جانب اهتمامه بمراسيم العزاء الحسينية التي يجمع أبناء الشيعة على إحيائها أينما كانوا.

وقد أمر الملك شجاع الدولة بإنشاء حسينية ضخمة في العاصمة (لكنهو) لتكون مقرًّا دائما لإقامة هذه المراسيم الحسينية، إضافة إلى قيام مراسيم العزاء الأخرى بذكرى وفاة الأئمة الأطهار سلام الله عليهم، كما كان يقام في هذه الحسينية مراسيم الاحتفال بعيد الغدير، وهو اليوم الذي تمّ تنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وقد حضر الرسول هذه البيعة وكان صلى الله عليه وآله أوّل من بايع الإمام علي عليه السلام ثمّ تبعه الصحابة الكرام، وقد كان في مقدّمة هؤلاء عمر بن الخطّاب وطلحة بن الزبير والزبير بن العوّام وأبي بكر الصّديق وغيرهم.

استمرّ الملك شجاع الدولة في أعماله الجليلة تلك التي لم تقتصر على الشيعة فقط بل أنّه أمر ببناء عدد من المدارس لأبناء المذاهب الإسلامية الأخرى والأديان غير المسلمة التي كانت تعيش بحرية تامة في هذه المملكة، وهذا دليل على الذهنية المنفتحة لهذا الملك الذي

أحبّه أبناء دولته حبا جمًّا، حيث كان يعمل على ضرورة إعطاء حريّة الرأي واحترام جميع البشر على اختلاف عقائدهم وأديانهم وهو ما نادى إليه رمز الشيعة الأول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قال وهو يوجّه القائد الكبير مالك الأشتر عندما أرسله إلى مصر حيث قال له: (أنظر إلى الرعية فإنهم أما إخوة لك في الدين أو إخوة لك في الخلق).

بقي الملك شجاع الدولة محبوبا من قبل أبناء شعبه حتى وفاته فخلفه على السلطة الملك (آصف الدولة) الذي كان محبًّا لأعمال الخير ومساعدة الفقراء، وقد عمل على إنشاء المزيد من دور الأيتام إضافة إلى قيامه بتخصيص رواتب للعوائل المحتاجة، ومن الأعمال الأخرى التي اهتمّ بها قيامه بإنشاء دورا للمسنين والعجزة، وقد تابع هذا الأمر بنفسه حيث كان يقوم بزيارة هذه الدور بين الحين والآخر.

أما أهمّ عمل قام به طيلة فترة حكمه هو إقامة حوارات عديدة بين زعماء المذاهب الإسلامية شيعة وسنّة لتقريب وجهات النظر، وقد نجحت هذه الحوارات في الاتفاق بين علماء هذه المذاهب على العمل من أجل توحيد المسلمين ونبذ الخلافات، كانت نتيجة هذه الجهود هو زيادة التزاوج بين الشيعة والسنة وهذا أمر يستحقّ الثناء عليه، ومن هنا ندعو المسلمين كافّة إلى العمل على جعل هذه القضية موضع اهتمام جميع المسلمين والعمل على تفعيلها حتى يكون المسلمين يداً واحدة، لأن أعداء الإسلام توحّدوا من أجل تمزيق

وحدة المسلمين، ظل الملك آصف الدولة يعمل من أجل توحيد كلمة المسلمين حتى وافته المنية.

بعد وفاته تولّى مسؤولية الحكم الملك (منير الدولة) الذي اتّصف بالعبادة والزهد مما جعله أن يستقطب الكثير من رجال الدين الشيعة إلى المملكة وعليه أصبحت العاصمة (لكنهو) مقرًّا لتواجد المئات من كبار رجال الدين الشيعة ومن مختلف البلدان الإسلامية، هذا من ناحية أما من الناحية الأخرى فإنه أوكل إلى مجموعة من أقرب رجال الدولة إلى متابعة شؤون الرعية والعمل على الاهتمام بإعمار البلاد وتطويرها.

وقد كان الملك (منير الدولة) يتابع هذه الأمور بنفسه، هكذا كان عمله الدءوب ينصبّ من أجل ازدهار مملكته وخدمة الدين الإسلامي ورعاية المذهب الجعفري ورجاله الكرام الذين قدّموا خدمات كبيرة للدين الإسلامي.

بقي الملك (منير الدولة) يرعى العلم والعلماء والاهتمام بشؤون مملكته حتى أعلن عن وفاته، فخلفه على السلطة الملك (محمد علي أوده)، بعد توليه المسؤولية اتّجه إلى تقوية جيش بلاده وخاصّة بعد قيام القوات البريطانية بالتدخّل في شؤون المنطقة بعد ضعف الدولة العثمانية حيث قامت القوات البريطانية باحتلال العديد من الجزر الواقعة في بحر عُمان وجزيرة سيلان وجزر أخرى في المحيط الهادي والأطلسي وغيرها من مناطق العالم، بعد تقوية الجيش قام

الملك بتحسين الوضع الاقتصادي للملكة الذي تدهور بعض الشيء بسبب عدم سقوط الأمطار، حيث أمر بمنح الفلاحين أموالا لتحسين وضعهم المعيشي.

بينما الملك منهمكا في معالجة الوضع الاقتصادي المتدهور أعلن عن وفاته، وبعد الإعلان عن وفاته تولّى الحكم الملك (أمجد علي) بعد استلامه الحكم بذل المزيد من الجهد من أجل انتعاش اقتصاد المملكة الذي كان يعاني من الأضرار التي نتجت بسبب عدم سقوط الأمطار كما ذكرنا حيث سار وفق النهج الذي سلكه الملك الذي سبقه والذي عمل جاهدًا على رفع المستوى المعيشي لبناء المملكة، وقد نجح في ذلك حيث ما أن تولّى السلطة حتى سقطت أمطارا كثيفة وكان ذلك بفضل دعاء العلماء الأعلام الذين توسّلوا بالباري عزّ وجلّ أن ينعم ببركاته على هذه البلاد بكرامة الإمام الحسين عليه السلام عنده، وقد تزامن ذلك الوقت بقرب حلول شهر محرم الحرام الذي استشهد فيه الإمام الحسين عليه السلام .

بعد هطول الأمطار استبشر الناس خيرا وعليه تمكّن المزارعون من الاستفادة من هذه الأمطار التي درّت عليهم أرباحا كبيرة بسبب وفرة المياه وانتشار العشب الذي غطّى مساحات واسعة من أراضي المملكة.

نشط الملك (أمجد علي) في جميع المجالات التي كانت تعود بالخير على بلاده حتى وافاه الأجل.

تولّى السلطة بعده الملك (يحيى بن شجاع) فقاد بلاده نحو الإعمار والعمل على توفير الأمن والأمان وإشراك جميع أبناء البلاد في مسؤولية الحكم سواء المسلمين وغير المسلمين، وقد تابع بنفسه المشاريع العمرانية التي كانت تنفّذها الدولة حيث كانت لديه خبرة في هندسة العمارة الإسلامية، ومن الأعمال الجليلة التي أقامها هي إنشاؤه لمسجد ضخم في العاصمة، وقام هو بنفسه بمتابعة أعمال الريازة الإسلامية حيث كان يبقى مع العمال والبنائين إلى ساعات متأخرة من الليل، بل أنه كان يعمل معهم واستمرّ على هذا المنوال إلى أن تمّ الانتهاء من بناء هذا المسجد الفخم والذي لا تزال آثاره باقية إلى اليوم والذي يعدّ من معالم التراث الإسلامي الفاخر.

كان الشغل الشاغل لهذا الملك هو الاهتمام ببناء المساجد وإنشاء المدارس الدينية والاهتمام برجال الدين الكبار وبقى على هذا المنوال حتى ألمّ به مرض عضال أقعده في بيته إلا أنه كان يتابع أمور الدولة حتى أعلن عن وفاته.

حلّ محله في الحكم ملوك ضعفاء إلا أنهم كانوا موضع احترام أبناء المملكة وظل الوضع هكذا حتى تولّى السلطة الملك (محمد علي اللكنهوي) الذي يعتبر الملك التاسع لهذه المملكة، قام هذا الملك بخدمات كثيرة للمملكة منها العمل على متابعة أعمال رجال دولته الذين اتّهم قسم منهم بعدم المبالاة، فما كان منه إلا أن يتابع أعمال هؤلاء، وقد قام بطرد قسم منهم بعد أن علم بعدم كفاءتهم في

تولّي بعض المسؤوليات، ومن أعماله الأخرى هـي تحـديث تـسليح الجيش وفتح المجال لأبناء المملكة إلى الانخراط في صفوفه وخاصّة بعد أن أخذت القوات البريطانيـة بإثـارة المـشاكل فـي العديـد مـن المناطق الهندية حتى يتسنّى لها سهولة السيطرة عليها وخاصّة بعد أن قامت القوات البريطانية باحتلال أجزاء عديدة من الأراضي الهندية.

جاهد الملك (محمد علي اللكنهوي) مـن أجـل تقويـة دفاعـات بلاده والعمل على توفير الأمن والأمـان لأبنـاء المملكـة حتـى وفاتـه بصورة مفاجئة.

بعد حدوث هذا الأمر قام أركان الدولـة بعقـد اجتماعـات متتاليـة لاختياره ملكا جديدًا، وبعد مناقشات واجتماعات عديدة جرى تعيين الملك (أمجد الثاني) ملكا جديدا للملكة.

بعد تولّي الملك أمجد المسؤولية عمل على المحافظة على وحـدة البلاد التي حـدثت فيهـا بعـض القلاقـل بـسبب تـدخّل المـسئولين الإنجليز الذين تمكنوا من احـتلال مـساحات واسـعة مـن الأراضـي الهندية، كما ذكرنا وبعد جهود كبيرة تمكّن الملك من الـسيطرة علـى زمام الأمور.

لم يدم حكم الملك (أمجد الثاني) سوى بضع سنوات حيث أعلن عن وفاته.

تولّى مسؤولية الدولة بعد وفاة الملك أمجد الملـك (محمـد منيـر الدولة) فكان رجلا تقيا ورعا تفرّغ للعبادة والتقرب إلى الله عزّ وجـل

وإلى الاهتمام بعلماء المذهب الجعفري ورعاية الشعائر الحسينية إضافة إلى الاهتمام بشؤون مملكته.

وظل يعمل في هذا الاتجاه حتى وافاه الأجل حيث لم يدم حكمه مدّة طويلة بسبب مرضه.

عند الإعلان عن وفاته تولّى حكم البلاد (الملك واجد علي) الذي يعتبر أخر ملوك مملكة أوده، فما أن تولّى السلطة حتى بدأ الإنجليز الذين تمكّنوا من احتلال جميع أراضي الهند باستثناء مملكة أوده، بعد توليه السلطة بدأت القوات البريطانية بإثارة المشاكل الداخلية في مملكة أوده، وقد تمكنت من تجنيد بعض من ضعفاء الناس الذين لعبوا على وتر الطائفية وقد تمكّن هؤلاء من العمل على تمزيق المسلمين ومن ثمّ تمزيق وحدتهم.

بينما كانوا هؤلاء العملاء يعملون على زعزعة أمن المملكة قامت القوات البريطانية باحتلال بعض أراضي المملكة إلا أن القوات الشيعية تصدّت للقوات البريطانية وتمكّنت من إيقاع أفدح الخسائر بها لكن كثرة الجيوش البريطانية وحداثة تسليحها مكنت هذه القوات من احتلال أراضي المملكة ومن ثمّ إسقاط هذه الدولة، وبهذا تكون مملكة أوده آخر دولة شيعية تمّ القضاء عليها من قبل الأعداء الطامعين بأرض المسلمين.

بعد قيام قوات الاحتلال البريطاني من إسقاط هذه الدولة الشيعية استولت على الأموال التي أوقفت من قبل المملكة والتخصيصات

لبناء وتعمير مراقد الأئمة الأطهار في العراق الأمر الذي جعل من رجال وأبناء الشيعة إلى إعلان النفير العام ومن ثمّ التظاهر والطلب من الحكومة البريطانية رفع يدها عن هذه الأموال.

على أثر المطالب الشعبية هذه رضخت الحكومة البريطانية لمطالب الشيعة فقامت بتحويل قسم من هذه المبالغ إلى الحكومة العثمانية والتي قامت بدورها أيضا بالاستيلاء على قسم منها وإرسال قسم قليل من هذه المبالغ لصرفها على تعمير المراقد الشيعية وبالأخصّ مرقد الإمام الحسين عليه السلام.

وهكذا تمّ القضاء على مملكة أوده التي بذل ملوكها جهودًا كبيرة جدا من أجل حماية المذهب الجعفري الذي كان عرضة للخطر جراء أعمال بعض الفئات الضالة التي كانت تريد النيل من هذا المذهب ورجاله إلا أن الباري حفظ هذا المذهب وزعمائه، وها هم أبناءه ورجاله وعلماءه بألف خير رغم المحن والمصائب التي تعرض لها عبر التاريخ، هذا سرد تاريخي سريع عن آخر مملكة شيعية أسست في الهند.

مراجع البحث:

١ـ الشيعة في الهند: ١٠٠ـ ١٢٠.

٢ـ آثار الشيعة الإمامية ج٤: ٧٧٠.

٣ـ الأعلام للزركلي ج١: ٧١.

٤ـ هذا الحسن: ٢٠٠.

٥ـ مدينة الحسين ج٣: ١٥٢ـ ١٧٢.

٦ـ تراث كربلاء: ٦٠.

٧ـ تاريخ كربلاء وحائر الحسين:

٨ـ دائرة المعارف الحسينية ج٢: ١٥٤، ج٣: ٤٩.

٩ـ بغية النبلاء في تاريخ كربلاء: ٧٧.

١٠ـ مجلّة المجمع العلمي العراقي ـ العدد: (٢٢).

الدولة الصفوية
في إيران

الدولة الصفوية:

الدولة الصفوية إحدى دول الشيعة التي أسست في بداية القرن العاشر الهجري ومؤسس هذه الدولة هو إسماعيل بن حيدر بن جنيد بن صفي الدين، وينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

يعتبر السيد إسماعيل أول ملوك الدولة الصفوية ومؤسس الدولة الحقيقي قاد السيد إسماعيل أتباعه والموالين له من أبناء الشيعة ومحبّي آل البيت عليهم السلام، فألّف منهم جيشًا كبيرًا، وبعد أنّ أعدّ هذا الجيش إعداد كاملا قاده بنفسه وتوجّه به نحو العديد من المناطق للسيطرة عليها، وكان قد بدأ بمدينة شيراز إحدى المدن الإيرانية الكبيرة، فتمكّن من السيطرة عليها، وكان ذلك عام ٩٠٥ هجرية.

بعد استقراره بعض الوقت في مدينة شيراز، توجّه عام ٩٠٦ هجرية نحو مدينة تبريز وتمكّن من السيطرة عليها.

في عام ٩٠٧ توجّه نحو مدينة همدان وقام باحتلالها وبعد احتلاله لهذه المناطق مكث في مدينة تبريز لغرض استراحة قواته، ومن ثمّ إعادة تنظيمها حتى يقوم بإخضاع مناطق أخرى لسيطرته.

في عام ٩٠٩ هجرية توجّه نحو مدينة بلان وتمكّن من السيطرة عليها.

في عام ٩١٢ هجرية توجّه نحو منطقة ديار بكر وقام بإخضاع هذه المدينة التي كانت تخضع للسيطرة التركية.

بعد أن قام السيد إسماعيل بالسيطرة على هذه المدن قام بتقوية جيشه وإعادة تنظيمه ومن ثم تسليحه بأسلحة حديثه لغرض إعداده إعدادًا جيدًا حتى يتمكّن من إخضاع مناطق أخرى لسيطرته.

في عام ٩١٤ هجرية قرّر التوجّه نحو العراق للسيطرة عليه وإخضاعه لحكمه، توجهت القوات الصفوية بقيادته نحو العراق وما أن دخلت هذه القوات حتى تصدت لها القوات العثمانية التي كانت تحكم العراق، فدارت معارك ضارية بين الجانبين، تكبّد الفريقان خلالها خسائر فادحة.

على أثر القتال العنيف الذي دار بين القوات الصفوية والعثمانية استدعى إسماعيل الصفوي قوات إضافية لقواته، وبعد مضيّ فترة قصيرة جاءت قوات كثيفة لمساعدة القوات الصفوية.

بعد وصول هذه القوات تمكّنت القوات الصفوية من إيقاع الهزيمة بالقوات العثمانية التي ولت هاربة.

بعد إنجاز هذه الانتصارات توجهت القوات الصفوية نحو مدينة بغداد وتمكّنت من احتلالها وكان ذلك عام ٩١٤ هجرية.

عند تمكن القائد إسماعيل الصفوي من السيطرة على العراق اتّسعت دولته حيث ضمت كلّ من إيران وبلاد الأفغان والعراق ومناطق من الأراضي التركية.

بعد دخول القوات الصفوية إلى بغداد قام بعض من المفسدين بأعمال كان القصد منها إثارة النّعرة الطائفية باعتبار أن الصفويين من

الشيعة، وأن أتباع العثمانيين من السنّة، إلا أن حنكة وسعة صدر رجال الشيعة والسنة تمكّنوا من التّصدّي لهذه الأعمال التي افتعلها ضعفاء النفوس، حيث قام نقيب العلويين السيد دراج النقيب وهو من كبار رجالات الشيعة في تلك الفترة بدور كبير في تهدئة الأمور، ومن الأعمال الجليلة التي قام بها هذا السيد الجليل هي إدراج أسماء عدّة آلاف من خدمة المراقد المقدسة لدى الطائفة السنية في سجلاته الخاصة واعتبار هؤلاء من التابعين له، وبذلك فوّت الفرصة على بعض من الجنود الصفويين الذين أرادوا قتل هؤلاء بسبب وشاية قسم من العملاء على أن هؤلاء يعملون ضدّ القوات الصفوية، وهكذا أنقذ هذا السيد الفاضل بحكمته وحلمه أرواح هؤلاء الأبرياء.

بعد سيطرة القوات الصفوية على العراق استعدّ أتباع الدولة العثمانية من المماليك والجركس وبقايا القوات العثمانية والموظّفين التابعين للدولة العثمانية إضافة إلى عدد من الذين يبغضون أبناء الشيعة بإثارة الاضطرابات والمشاكل بوجه القوات الصفوية، الأمر الذي دعى بالقوات الصفوية القيام بحملات عسكرية للقضاء على هؤلاء.

عند استقرار القوات الصفوية في العراق قام القائد إسماعيل الصفوي والعديد من قواته بزيارة المراقد المقدسة حيث توجّه إلى زيارة الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام، وبعد الانتهاء من زيارته خصص المبالغ المالية لتعمير المرقدين المقدسين ثم توجّه بعد ذلك

نحو مدينة النجف الأشرف وقام بزيارة مرقد الإمام علي عليه السلام وبعد أداء مراسيم الزيارة خصص مبالغ مالية طائلة لتعمير المرقد المقدس وإنشاء بيوت لاستراحة الزائرين الكرام.

خشيت الدولة العثمانية من أن يكون وجود القوات الصفوية في العرق هو فقدانها السيطرة على هذا البلد، إضافة إلى المناطق الأخرى التي سيطرت عليها القوات الصفوية.

بعد مناقشات واجتماعات عديدة عقدها أركان السلطة العثمانية في أسنطبول قرّر هؤلاء القادة إعداد جيش ضخم للهجوم على القوات الصفوية لغرض إعادة السيطرة على العراق.

باشر القادة الأتراك بإعداد هذا الجيش حيث تمّ استدعاء عدد كبير من القوات العثمانية المتواجدة في العديد من المناطق الخاضعة للدولة العثمانية، بعد استدعاء هذه القوات جرى تدريبها تدريبا جيدا وتحديث أسلحتها.

عند إتمام هذه الأمور قرّرت القيادة التركية إرسال هذا الجيش مع نخبة من ابرز القادة الأتراك إلى العراق لاحتلاله مرة أخرى وطرد القوات الصفوية.

وصلت أخبار أعداد هذا الجيش التركي إلى مسامع القائد الصفوي إسماعيل فما كان منه إلا أن يستعدّ لقتال هذا الجيش حيث قام باستدعاء المزيد من قواته التي كانت مرابطة في العديد من المدن الإيرانية.

بعد مضيّ عدّة أسابيع وصلت القوات الصفوية التي طلبها القائد إسماعيل، وبعد مجيء هذه القوات أتمّت القوات الصفوية استعدادها لمحاربة القوات التركية التي كانت قد توجّهت إلى العراق.

ما أن دخلت هذه القوات الأراضي العراقية حتى اصطدمت معها القوات العثمانية، وبعد قتال دامي تمكّنت القوات الصفوية من إلحاق الهزيمة بالقوات التركية.

على أثر الهزيمة الساحقة التي أصيبت بها القوات التركية عقدت القيادة العليا للقوات العثمانية اجتماعا عاجلا ضمّ العشرات من القادة العسكريين الكبار لمناقشة هذه القضية الهامّة.

استمرت الاجتماعات بين مسئولي الدولة العثمانية الكبار حيث درسوا السبل الكفيلة للوقوف بوجه المدّ الشيعي الذي أقلقهم كثيرًا.

انتهت الاجتماعات بقرار حاسم هو أن يقوم السلطان العثماني سليم الأول بقيادة جيش كبير والتوجّه به نحو الأراضي الإيرانية لاحتلال بعض المدن الإيرانية للضغط على القوات الصفوية التي كانت تحتلّ العراق بالانسحاب منه.

تمكّنت القوات التركية من احتلال مدينة تبريز الإيرانية، وما أن دخلت القوات التركية حتى أمر السلطان سليم الأول بإبادة الآلاف من أبناء الطائفة الشيعية، كما قامت القوات التركية بإبادة كل من تراه إضافة إلى تهديم الأسواق التجارية وحرق المزارع العائدة لأبناء الشيعة، وهنا لابدّ من الإشارة بأن السلطان العثماني سليم الأول كان

قد اصدر أمرا من قبلُ إلى ولاته في العديد من الأقاليم الإسلامية التابعة للسلطة العثمانية بإبادة الشيعة، وقد تطرقت العشرات من كتب التأريخ المعتبرة إلى هذه الأعمال البربرية.

عند وصول خبر استيلاء السلطان سليم الأول على مدينة تبريز قرّر الشاه إسماعيل التّوجّه إلى مدينة تبريز على رأس جيش كبير لطرد القوات العثمانية من الراضي الإيرانية.

بعد وصول القوات الصفوية إلى ضواحي مدينة تبريز جرى قتال ضاري بين القوات العثمانية والقوات الصفوية أسفر عن هزيمة القوات العثمانية التي كانت قد تدهورت أمورها بسبب شدّة برودة الجو وقلّة المواد التموينية، وقد ساعدت هذه الأمور على بثّ روح الهزيمة بين أفراد القوات العثمانية.

بعد هذه الهزيمة المرّة التي أصابت القوات التركية أصيب الشاه إسماعيل بتعب وإرهاق كبير أدّت إلى وفاته.

بعد الإعلان عن وفاة الشاه إسماعيل تولّى الحكم ابنه الشاه طهماسب، وبعد توليه السلطة واجهته العديد من الاضطرابات والقلاقل التي كان يقف وراء إشعالها عملاء الأتراك.

انتهز الأتراك انشغال الشاه طهماسب بالقلاقل التي حدثت في بلاده مما جعلتهم أن يستعدّوا لاحتلال العراق مرة أخرى.

جهّز الأتراك قواتهم لهذه المهمّة الصعبة حيث اختارت القيادة العسكرية التركية أكفأ قادتها كما أنها اختارت أفضل الكتائب والألوية العسكرية لتنفيذ هذه المهمة.

بعد الانتهاء من إعداد هذه القوات توجّهت إلى العراق وكلها عزيمة لتحقيق هدفها.

استعدّت القوات الصفوية لمقاتلة هذه القوات، ولم تمض عدّة أيام حتى وصلت القوات التركية إلى المناطق التي كان يتواجد بها الجيش الصفوي.

عند وصول هذه القوات جرت معارك عنيفة جدا بين قوات الطرفين أسفرت في النهاية من هزيمة القوات الصفوية واستيلاء الأتراك مرة أخرى على العراق.

ذكرنا أثناء البحث أن أركان السلطة العثمانية أقلقها نموّ المدّ الشيعي وعليه فقد حسبت لهذا الأمر ألف حساب، ومن هذه الأمور هي قيام السلطان العثماني سليمان القانوني بقيادة الجيش العثماني الذي توجّه نحو إعادة احتلال العراق، وهذا دليل واضح على أن الانتصارات الشيعية قد أدخلت الخوف في قلوب الساسة العثمانيين الأمر الذي جعل سلاطين آل عثمان يقودون العساكر للقضاء على قوات الدول الشيعية حتى لا تتمكّن هذه الدولة من التوسّع الذي سيشكل خطرا عليهم.

لو نظرنا إلى العشرات من المعارك الحاسمة التي وقعت في العديد من الأقاليم التابعة للدولة العثمانية لرأينا بـأن قـادة العـساكر العثمانيـة كانوا من كبار الضبّاط، ولم يتوجّه أي سلطان من السلاطين العثمانيين بقيادة القوات العثمانية في هذه المعارك باستثناء المعارك التي خاضتها القوات العثمانية ضدّ القوات الشيعية، وما قيادة القوات العثمانيـة مـن قبل السلطانين سليم الأول وسليمان القانوني إلا دليل أكيد على أهمية الموضوع.

نعود إلى موضوع بحثنا، بعد أن تمكّن الـسلطان سـليمان القـانوني من سحق القوات الصفوية وإعـادة الـسيطرة العثمانيـة علـى العـراق، تظاهر السلطان القانوني بأنـه يرغـب بزيـارة الإمـام الحـسين عليه السلام والإمام علي عليه السلام، كما أنه قام بزيارة مرقد أبي حنيفة حتى يتظـاهر بأنه سلطان معتـدل، وأنـه يحتـرم جميـع المراقـد المقدّسـة لجميـع الطوائف الإسلامية.

بعد عودة القوات الصفوية إلى إيران قـام الـشاه طهماسـب بإعـادة تنظيمها حتى تكون جاهزة لردع الأتراك الذين لا يرغبون بوجود دولة شيعية قوية تشكل خطرا عليها في المستقبل، في خضمّ هذه الأحداث أعلن عن وفاة الشاه.

وبوفاته خسرت الدولة الصفوية أحد أعمدتها الكبـار الـذين بـذلوا الكثير من أجل تطوّر وتقدّم الدولة الصفوية.

بعد وفاته تولّى السلطة ابنه الشاه عباس وكان هذا رجلا حازما حيث تمكّن من السيطرة على شؤون بلاده، بعد أن قضى على العديد من الاضطرابات، وبهذا أعاد هيبة الدولة.

بعد فرض السيطرة التامة على الدولة من قبل الشاه عباس اتّجه نحو تعمير المرافق العامة وإنشاء السدود وإقامة العشرات من المشاريع العمرانية التي تخدم أبناء الشعب.

كما قام الشاه عباس بإنشاء العشرات من الجامعات العلمية التي استقطبت المئات من العلماء الأعلام للطائفة الشيعية الذين أخذوا بالتّدريس في هذه الجامعات والمدارس والمعاهد الدينية.

على أثر توسّع هذه الجامعات الدينية التي ازدحمت بآلاف الطلبة الذين توجّهوا إليها من العديد من المناطق الإسلامية استدعى الشاه عباس عدد من كبار رجال الدين الشيعة من النجف الأشرف ومن كربلاء المقدسة ومن مدينة حلب للإشراف على هذه المدارس التي أعطت مزيدا من الحرية في ظل الحكم الصفوي الذي اتّهمه بعض من المؤرّخين بأنه كان حكما طائفيا.

أنا أسأل هنا، هل أن الحاكم إذا اهتمّ بشؤون مذهبه هو طائفي ؟ وهل أن الحاكم الذي يقوم بتشييد الجامعات العلمية لتدريس فقه المذهب الذي ينتمي إليه أنه كان طائفيا ؟ وهنا نقول أن الخلفاء العباسيين اهتموا بالمذاهب الأربعة، وأن الأيوبيين اهتموا بهذه

المذاهب أيضا، وأن السلاجقة اهتموا بهذه المذاهب الأربعة فقط، وأن العثمانيين اهتموا بهذه المذاهب الأربعة فقط.

فهل يعني بأن هؤلاء طائفيون؟.

إنّ هذه التّهم باطلة فالكلّ أحرار وأن أي إنسان له الخيار في اختيار المذهب الذي يرغب بالانتماء إليه.

استمرّ الشاه عباس في سياسته هذه التي لم تعجب الأتراك فحاولوا الوقوف بوجهه وإثارة الاضطرابات ضدّه حيث أرسل السلطان العثماني جيشا تركيا زاد تعداده على مائة ألف مقاتل، وقد حاول هذا الجيش الدخول إلى الأراضي الإيرانية لغرض احتلال قسم من هذه الأراضي، إلا أن القوات الصفوية تصدّت لهذا الجيش واشتبكت معه في معارك ضارية أسفرت في النهاية من دحر الجيش التركي، بعد قتل المزيد من أفراده واسر الآلاف منه.

في خضمّ هذه الأحداث كان الشاه عباس يعدّ العدّة لإعادة بعض الأراضي التي كانت تابعة له والتي تمكّنت القوات العثمانية من احتلالها خلال هجومها في زمن الشاه طهماسب.

عندما أيقن الشاه عباس بمقدرة قواته على استعادة تلك الأراضي قام بقيادة هذه القوات ومقاتلة القوات العثمانية التي كانت متواجدة في هذه المناطق، وبعد قتال شرس تمكّنت القوات الصفوية من طرد القوات العثمانية من هذه المناطق، وبذلك نجحت القوات الصفوية من تحرير أراضيها من القوات العثمانية.

بعد نجاح الشاه عباس بإعادة سيطرته على جميع الأراضي التي كانت خاضعة لسلطته، اتّجه نحو تنظيم شؤون دولته التي أتعبتها الحروب فقام بإصلاح الوضع الاقتصادي الذي تردّى بعض الشيء بسبب المعارك التي خاضها الجيش الصفوي ضدّ القوات العثمانية، كما قام الشاه عباس بتنظيم شؤون موظّفي الدولة وإعادة تنظيم الجيش وتسليحه، وبهذا خطت البلاد في أيامه خطوات واسعة نحو التقدّم والازدهار وخاصّة بعد أن قرّر إقامة علاقات سياسية وتجارية مع دول أوربا مما ساعد على تبادل المعلومات وإرسال البعثات من قبل الطرفين وإقامة العديد من المشاريع العمرانية والخدمية من قبل الأوربيين والصينيين والهنود.

أما اهتمامه بزعماء المذهب الجعفري فكان كبيرا جدّا حيث جعلهم قريبين منه كما أمر بتشييد بيوتا خاصة لهم إضافة إلى إغداق الأموال الوفيرة عليهم حتى يكونوا عونا للفقراء والمحتاجين الذين لا يتمكّنون من الوصول إلى مسئولي الدولة.

أما اهتمامه بالفقه الجعفري فكان كبيرا أيضا، حيث قام بجلب العديد من الخطاطين البارعين وأمرهم بتدوين آراء وأفكار وفقه المذهب الجعفري، وتنظيم ما كان يكتبه هؤلاء الخطاطون على شكل كراريس وتوزيعها بين الناس للإطّلاع عليها، ومن ثمّ العمل بها لمن يرغب أن يكون من معتنقي المذهب الجعفري.

هذا من جانب ومن الجانب الآخر فإن الشّاه عباس كان قد امر بإنشاء العديد من المدارس الدينية لأبناء المذاهب الأخرى كما أنه خصّص مبالغ لصرفها على إدامة هذه المعاهد والمدارس، كما أنه أوعز للدوائر بتسهيل مهام وأعمال علماء المذاهب الإسلامية الأربعة وتقديم الدعم اللازم لهم.

بقى الشاه عباس يرعى العلم والعلماء والسهر على تطوّر وتقدم دولته من خلال إشرافه الشخصي على كل ما يتعلق بهذه الأمور، أما من الأعمال التي انفرد بها الشاه عباس دون غيره هي تأكيده على إعطاء حريّة الأديان الأخرى السماوية وغير السماوية التي كان لها مريدون في إيران كالمسيحية واليهودية والزرادشتية والهندوسية، حيث خصّص المبالغ الطائلة لدعم رجال الدين لهذه الأديان كما أنه سمح بتشييد المراكز الدينية لها أيضا كما أنه كان يتفقّد أحوال أبناء هذه الديانات ويقوم بحلّ المشاكل التي كانت تواجه أبناء هذه الديانات.

إن الأعمال الجليلة هذه جعلت من الشاه عباس موضع احترام وتقدير أبناء شعبه وظلّ في هذا الموقع حتى وافته المنية عام ۱۰۲۸ هجرية، بعد انتشار خبر وفاته أصيب أبناء البلاد بصدمة قوية فحزن عليه رعايا الدولة قاطبة مسلمين وغير مسلمين.

بعد أن تحدّثنا عن ما قام به الشاه عباس من أعمال كثيرة استفاد منها أبناء دولته نأتي هنا ونتحدّث عن ما ذكره رجال الفكر عن هذه الشخصية الشيعية.

يقول شاهين مكاريوس في كتابه: (تاريخ إيران) ما نصّه: (حظيت البلاد في أيامه خطوة واسعة إلى العظمة والتقدّم، فكثرت التجارة مع الإفرنج، وتردد التجار والسائحون إلى البلاد، وتوطّدت العلاقات الطيبة مع دول أوربا وسلطان الهند، وشاد الصروح الضخمة وزين المدائن، وأمر بالعدل وترك من الآثار العظيمة ما يخلد الذكر، بخاصة في أصفهان التي ليس لها مثيل في الشرق).

ويقول المفكّر مصطفى حجازي في (صفحات عن إيران) ما نصه: (وقد نشط الشاه عباس الكبير في إقامة علاقات سياسية مع دول أوربا مما ساعد على تبادل المعلومات الصحيحة بين إيران وأوربا، وكان عباس الكبير يبدي روح التّسامح الديني نحو غير المسلمين، وكان يهتمّ بترقية إيران صناعيا، وقد احضر ثلاثمائة من الصناع الصينيين المهرة في صناعة الخزف مع عائلاتهم ليعلّموا الصناع الإيرانيين الجودة في هذه الصناعة، أما الصناعات الأخرى فإن صناعة السجاد قد بلغت في عهد الصفويين حدًّا من الروعة والإتقان كان أساسًا لتفوقها الكبير).

هذه بعض من أقوال رجال الفكر في هذه الشخصية الجبارة والحازمة.

بعد وفاته تولّى عدد من أولاده وأحفاده إدارة شؤون الدولة وكان هؤلاء أمراء ضعفاء باستثناء حفيده الشاه عباس الصفوي الذي كان له شأنا كبيرًا حيث كان زعيما حازما وقائدًا بارعا، عاشت الدولة في ظله في أمان واستقرار بسبب سياسته المرنة والحازمة في نفس الوقت، ومن أهمّ أعماله أنه تمكّن من عقد مصالحة مع الدولة العثمانية كان على أثرها عدم حدوث نزاع عسكري مع الدولة العثمانية الأمر الذي أدّى إلى تطوّر الصناعة وانتعاش التجارة بفضل استقرار الأوضاع الداخلية، وبقي أمراء الدولة الصفوية يحكمون البلاد حتى عام ١١٤٨ هجرية.

حيث انتهى عهد هذه الدولة الشيعية الرائدة في السنة المذكورة.

هذا سرد مختصر لهذه الدولة الشيعية التي بذل ملوكها جهودا كبيرة في خدمة المذهب الجعفري ورعاية علماء المذهب إضافة إلى أن ملوك هذه الدولة قاموا بصرف أموالا طائلة لإعمار وتطوير المراقد المقدسة للأئمة الأطهار عليهم السلام في العراق وإيران والحجاز. هذا وقد أشرف ملوك وأمراء هذه الدولة الشيعية بأنفسهم على تعمير المراقد المطهرة وتخصيص المبالغ اللازمة لها لإظهارها بالمظهر اللائق هذا بالإضافة إلى أن ملوك هذه الدولة وولاتها اتّصفوا بسعة الصدر والتسامح الديني حيث لم يتعصبوا بالمذهب معين بالرغم من محاولات عدد كبير من المسيئين وأصحاب النفوس الضعيفة الذين بذلوا جهودا كبيرة من أجل إثارة النعرات الطائفية البغيضة.

وهكذا كان هؤلاء القادة أناسًا طيبين يمتلكون دراية واسعة وعقل راجح وإسلام حقيقي أداروا شؤون بلادهم بحكمة ورأي سديد أسفر عن تقدّم الدولة واستقرار الأمن في ربوعها.

هذه صورة واضحة عن ذلك التاريخ المشرق لهذه الدولة الشيعية التي بذل قادتها المزيد من الجهود من أجل إعلاء كلمة الإسلام والمسلمين، إلا أن هناك نفرا ضالاً من الذين يروّجون لإثارة النعرة الطائفية تنكّروا للأعمال الجليلة التي قام بها قادة هذه الدولة الذين ينحدرون من الأسرة العلوية الطاهر واتهموهم بالطائفيين، وقد انتشرت هذه التسمية في الوقت الحاضر حيث قام أحد رجال المعارضة العراقية القدماء المدعو مشعان الجبوري بتأسيس قناة فضائية أسماها ب(الزوراء) وأخذ يكيل الشتائم لأبناء الطائفية الشيعية في العراق وبقية أنحاء العالم بأنهم أحفاد أولئك الصفويين متهما زعماء المنظمات والأحزاب الشيعية العراقية الذين ينحدرون من أسر علوية معروفة ومن عشائر عربية كبيرة التي لها شأن واضح في تأريخ العراق الحديث، وسأذكر هنا عدد من الأسماء التي اتّهمها مشعان الجبوري بالصفويين الجدد ومن هذه الأسماء السيد إبراهيم الجعفري الذي ينحدر من أسرة علوية معروفة تدعى بآل الإشيقر التي يرجع نسبها إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، أما الأستاذ نوري المالكي فهو ينحدر من قبيلة بني مالك القبيلة العربية المعروفة في الجزيرة العربية، وهذا الأستاذ هو حفيد الثائر والشاعر الوطني محمد

حسن أبو المحاسن أحد قادة ثورة العشرين في العراق التي حدثت ضدّ الإنجليز عام ١٩٢٠م ، أما الأستاذ أحمد الجلبي فهو من قبيلة طيّ القبيلة المعروفة والشهيرة في الجزيرة العربية، أما والد وأعمام الجلبي فقد كان لهم دور كبير في الحكومة في العهد الملكي، حيث تولى العديد من أعمام السيد الجلبي مناصب وزارية عديدة، أما عبد العزيز الحكيم فهو نجل آية العظمى السيد محسن الحكيم زعيم الشيعة في العالم في القرن الماضي، أما الأستاذ بهاء الأعرجي فهو ينحدر من أسرة علوية كبيرة لها شأن كبير في العراق، أما السيد مقتدى الصدر فهو سليل أسرة علوية علمية لها تأريخ وطني معروف، أما الأستاذ هادي العامري فهو من قبيلة بني عامر أحد أشهر قبائل الجزيرة العربية والتي أنجبت العشرات من الشعراء والأدباء والفرسان، أما كبار رجال الدين للطائفة الشيعية في العراق فهم ينحدرون من سلالة النبي العربي محمد بن عبد الله ﷺ فالسيد السيستاني من سلالة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام والسيد الحكيم من سلالة الإمام الحسن عليه السلام وآل الصدر فهم من سلالة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام والسادة آل بحر العلوم وآل الصافي وآل الغريفي وآل الحيدري وآل القبانجي وآل الموسوي وآل الشهرستاني وآل الصافي وغيرهم ممن يتولون الآن المناصب العليا في الدولة فهم من العرب الإقحاح والمشجرات الموجودة لدى هذه الأسر الكريمة تثبت قولي هذا ، وهنا أحب أن اذكر بأنني عندما أذكر هذه الحقائق لا أريد

الدفاع عن أحد كما أحب أن أذكر بأنني رجل يعمل في العمل التجاري وليس لي أية علاقة لا بالسلطة الحاكمة ولا بالأحزاب والمنظمات الدينية والله على قولي شهيد، وإنما ذكرت ذلك كي أوضّح للقارئ الكريم بأن أقوال مشعان الجبوري هذا لا أساس لها من الصحة وأن الغرض منها تشويه الحقيقة والإساءة للعديد من الأسر الشيعية التي يتولى أبناءها بعض المسؤوليات في الدولة العراقية، والسبب واضح لأن الدولة العراقية قد أصدرت قرارا بإحالة المدعو مشعان الجبوري إلى القضاء وقد صدرت من القضاء العراقي مذكّرة توقيف بحقه وفي أثناء إعدادي لهذا الكتاب أصدرت المحاكم العراقية حكما بالسجن لمدة ٣٠ سَنة على مشعان الجبوري، كما أصدرت المحكمة قرارا آخر هو الحكم على نجله لمدّة عشرة أعوام، وأنا أستغرب من موقف مشعان الجبوري هذا، فمن المعروف أنه كان متلهفا للعودة إلى العراق، وقد شارك في العملية السياسية وأصبح نائبا في مجلس النواب العراقي إلا أنه سرعان ما اختلف مع القيادة العراقية بسبب قضية أثارتها الحكومة العراقية ضدّه والله أعلم من صحتها وهنا أنا لا أريد أن أتّهم السيد مشعان الجبوري لأني أعرفه بأنه أحد قادة المعارضة الذين عملوا ضدّ النظام السابق وكان نشطا في هذا المجال، وقد اطّلعت على عدّة أعداد من الجريدة التي كان يصدرها في دمشق كما أنه وللأمانة نقول كان من المقربين للرئيس الراحل حافظ الأسد وأنه لديه دور كبير في حثّ رجال المعارضة على توحيد الصفوف

من أجل إسقاط نظام صدام وهذه حقيقة وأمانة تأريخية يجب أن نذكرها وفي نظري هذا موقف يستحق الأستاذ مشعان الثناء عليه.

إلا أنه كان على الأستاذ مشعان الجبوري وهو ابن العراق ومن الذين ينتمون إلى عشيرة عربية عريقة لها تاريخ مجيد في خدمة بلدنا العراق العزيز أن يساهم في بناء العراق وليس أن يعمل على تمزيق وحدة العراق وإثارة النعرات الطائفية البغيضة لأنه رجل كريم وله دور كبير في شرح معاناة أبناء العراق إبان النظام السابق، إلا أنني أعجب من هذه الطفرة السريعة التي جعلت هذا الرجل الذي كان يجاهد من أجل تخليص أبناء العراق من نظام الطاغية أن يغير مساره وآراءه بهذه السرعة ويكون خصما لدودا لإخوانه وزملائه الذين عمل معهم في المنافي، وكم لاقى أستاذنا مشعان الجبوري من ألم الغربة وملاحقة أزلام النظام البائد، وقد علمت بأنه قد تعرض لمحاولات اغتيال عديدة قام بها أزلام النظام السابق ضدّه، وهذا دليل على أن النظام السابق كان منزعجا من الدور الذي كان يقوم به السيد مشعان ضدّه.

ومن هنا أدعو الأستاذ الجبوري بأن يعدل عن رأيه باتهام شيعة العراق بالصفويين وأن يعمل على وحدة الشعب العراقي لإقامة حكومة وطنية يشارك فيها جميع طوائف أبناء الشعب العراقي باختلاف أفكارهم السياسية ومعتقداتهم الدينية، وأملي كبير في الأستاذ مشعان أن ينتبه إلى هذا الأمر لأن هكذا أعمال تزيد من تفرقة أبناء الشعب العراقي بل تساهم على زرع الشقاق والفرقة بين مختلف

شرائح الشعب العراقي الصابر المجاهد الذي عانى الأمرّين على يد أزلام السلطة البائدة.

وأملي بالأستاذ الجبوري كبير بأن يمدّ يده لإخوته الذين عمل معهم كثيرا وفي أصعب اللحظات من أجل الإطاحة بالنظام السابق، وقد شاهدت الأستاذ الجبوري من على العديد الفضائيات وبعد سقوط النظام الصدامي بقليل كيف كان متحمّسا عن مظلومية الشعب العراقي وكيف كان يتحدّث عن الأعمال البربرية التي تعرّض لها أبناء الشعب العراقي على أيدي أزلام السلطة الصدامية وأتذكّر كيف ردّ الأستاذ مشعان الجبوري على أحد المصريين الذي تهجّم على أبناء العراق وكان ذلك من خلال قناة العربية وغيرها من القنوات التي نشطت في إجراء اللقاءات مع زعماء المعارضة العراقية الذين عادوا إلى الوطن فور سقوط النظام وكان منهم أستاذنا الجبوري.

قد يقول القارئ الكريم ما علاقة هذا الكلام عن الأستاذ مشعان الجبوري واصل الموضوع هو الحديث عن تاريخ الدولة الصفوية.

فالجواب ـ هو أنني أردت أن أقول بأن بعض من الناس يتهمون شيعة العراق بالصفوية علما بأن شيعة العراق هم قبائل عربية معروفة لا غبار عليها وأن هذه القبائل الكريمة أنجبت المئات من الرجال الكرام الذين ساهموا في بناء تاريخ مشرف لعراقنا العزيز، وسأذكر هنا بعض من هذه القبائل إتماما للفائدة.

قبيلة بني كعب، قبيلة آل عامر، قبيلة خفاجة، قبيلة آل ياسر، قبيلة الدعوم، قبيلة بني حسن، قبيلة آل فتلة، قبيلة الضوالم، قبيلة شمّر، قبيلة بني أسد، قبيلة آل إزيرج، قبيلة بني سعد، قبيلة بني طرف، قبيلة العكيلات، قبيلة بني تميم، قبيلة ربيعة، قبيلة طي، قبيلة المسعود، قبيلة المطير، قبيلة الأكرع، قبيلة اليسار، قبيلة السواعد، قبيلة بني لام، قبيلة آل إبراهيم، قبيلة الشبانيين، قبيلة آل مراد، قبيلة النصاروة، قبيلة كنانة، وغيرها من القبائل العربية التي سكنت العراق منذ مئات السنين، علما بأن هذه القبائل نزحت من الجزيرة العربية واستقرّت في العراق لغرض مجاورة مراقد الأئمة الأطهار والولاة الصالحين.

هذا وقد تبوء الآلاف من أبناء هذه القبائل مناصب عليا من الدولة العراقية منذ تأسيسها وحتى اليوم.

مصادر البحث:

١ـ أعيان الشيعة ـ ج١١.

٢ـ تاريخ إيران: ١٠٠ـ ١١٠، ١١٧.

٣ـ الأدب في إيران: ٢٠.

٤ـ أربعة قرون من تاريخ العراق: ١٧.

٥ـ عقيدة الشيعة: ٧٧.

٦ـ دول الشيعة في التاريخ: ٨٥.

٧ـ تاريخ العراق بين احتلالين ج٣: ٣٣٥.

٨ـ تاريخ الشيعة: ١١٠.

٩_ مدينة الحسين ج٢: ٩٧.

١٠_ تراث كربلاء_ ٨٠.

١١_ لمحات تاريخية عن كربلاء: ٦٤.

١٢_ بغية النبلاء في تاريخ كربلاء: ١١٠.

١٣- صفحات من تاريخ إيران: ١٥٣.

١٤_ ثورات الشيعة: ٣٤٩_ ٣٥٣.

١٥- محنة الأكثرية في العراق: ٣٢_ ٣٣.

١٦_ بغية النبلاء في تاريخ كربلاء: ٧٣.

١٧_ دائرة المعارف الحسينية ج٣: ٤٠٥.

١٨_ نشوء وسقوط الدولة الصفوية_ كمال السيد.

١٩_ الشيعة في العهد المغولي: ٢٣.

٢٠_ مجلة ينابيع العراقية_ العد_ (١٧) لسنة: ٢٠٠٧.

٢١_ العراق قديما وحديثا: ٢٧_ ٢٨.

٢٢_ معادن الجوهر ج٢: ١٣٢.

٢٣_ الموسوعة العربية الميسرة_ المجلد ١: ١٦٠.

الدولة القاجارية
في إيران

الدولة القاجارية:

الدولة القاجارية إحدى دول الشيعة التي أسست في إيران، وقبل الحديث عن هذه الدولة وتاريخها لابدّ وأن نتحدّث وبإيجاز عن قبيلة القاجاريين.

هذه القبيلة إحدى قبائل التركمان التي كانت تقيم في إيران، وهي من القبائل الكبيرة التي ينتمي إليها عشرات الآلاف من الرجال الذين اتّصفوا بالشجاعة وقوّة الشأن مما جعل لزعماء هذه القبيلة أن يكون لهم شأن كبير في تاريخ إيران.

يعتبر السلطان محمد حسن خان مؤسس الدولة القاجارية في إيران والذي كان زعيما للقاجاريين وأميرا لهم من أهم الشخصيات القاجارية.

بذل هذا الزعيم القاجاري جهودًا كبيرة من أجل تأسيس دولته، حيث تمكّن من جمع شمل أبناء عشيرته الكبيرة والمنتشرة في أنحاء عديدة من إيران.

بعد لملمة شمل العشيرة وبالتعاون مع زعماء القبيلة الآخرين تمكّن الزعيم محمد حسن خان والذي أطلق عليه لقب السلطان، بعد سيطرته على زمام الأمور من تأسيس الدولة القاجارية، وكان ذلك عام ١٧٦٠م، تمكّن القاجاريون من السيطرة في بداية تأسيس دولتهم على منطقة جيلان ومازندران وهما من المناطق الكبيرة والمهمّة في إيران

ثم بدأت بالتوسّع حتى شملت معظم أنحاء إيران وقسم من الأراضي الأفغانية.

عمل مؤسس هذه الدولة على ضبط أمور دولته والسيطرة عليها بقوّة حيث تمكّن من تشكيل جيش قويّ أوكلت إليه مهمة حفظ الأمن وحماية الحدود، والقضاء على التمرّد الذي قامت به بعض القبائل التي رفضت تولّي القاجاريين السلطة .

نجحت هذه القوات من السيطرة على جميع أنحاء إيران والمناطق الأخرى التي لم تكن خاضعة لسلطتها.

بعد استتباب الأمن وإحكام السيطرة على جميع أنحاء البلاد تفرّغ السلطان محمد خان إلى الاهتمام بالخدمات العامة وإنشاء المدارس الدينية التي كانت تهتم وتتخصّص بالفقه الجعفري كما أنه أمر بتشييد المدارس والمعاهد الدينية لأبناء المذاهب السنية أسوة بالمذهب الجعفري.

استمرّ السلطان محمد خان بتقديم أفضل الخدمات لأبناء شعبه والعمل على تقوية جيشه إلى أن اغتيل من قبل مجموعة من خصومه.

بعد مقتله تولّى شؤون الدولة نجله السلطان أغا محمد خان وكان حازما وكفوءاً ويتّصف بالشجاعة، وعند توليه السلطة بعدّة أيام قاد جيشه وتوجّه لإخضاع منطقة كرمان التي أعلنت التمرّد بعد الإعلان

عن مقتل السلطان السابق، دخلت القوات القاجارية بقيادة السلطان الشاب منطقة كرمان.وتمكّنت من السيطرة عليها بسهولة.

بعد إعادة السيطرة على هذه المنطقة عاد إلى عاصمة بلاده، بعد أن زار العديد من المدن التي كانت خاضعة لسلطته وقام بنفسه بتفقّد هذه المدن والاستماع إلى مطالب أبنائها التي وعد بحلّها.

بعد انتهاء جولته اجتمع مع أركان الدولة وتباحث معهم حول الأمور التي تهمهم وفي أثناء اجتماعه مع أركان دولته اقترح عليهم نقل عاصمة الدولة من مدينة أصفهان التي كانت قد أصبحت عاصمة الدولة القاجارية من قبل.

وافق المجتمعون على نقل العاصمة إلى مدينة طهران وعليه أصبحت العاصمة الحالية هي عاصمة الدولة القاجارية.

بعد انتقاله للعاصمة الجديدة توجّه شاها لإيران بعد أن قبض على البلاد بيد من حديد وفرض سيطرته على جميع الأراضي الإيرانية دون استثناء، كما أنه تمكّن من القضاء على جميع أنواع التمرّد الذي قامت به العديد من القبائل الإيرانية بسبب نموّ التفرقة الطائفية التي افتعلها خصوم الشيعة بدعم أعداء الإسلام الذين كانوا يتحينون الفرص لتفرقة وحدة المسلمين وبثّ الفرقة فيما بينهم كما يفعل اليوم أعداء الدين الذين يتلقّون الدّعم من المنظمات الصهيونية المعادية للإسلام.

شعر أبناء الشعب الإيراني بالأمان في ظلّ الحكم القاجاري حيث كان السلطان أغا محمد والذي أطلق عليه بعد انتقاله للعاصمة الجديدة طهران لقب(الشاه) بالأمن والاستقرار بسبب حزمه أولا وحبه للعلم والعلماء ثانيا وسهره على تحسين الوضع الاقتصادي للبلد ومساعدته للفقراء الذين أسس لهم جمعيات ومؤسسات لرعايتهم وحلّ مشاكلهم وتقديم المساعدات المالية لهم.

هذا من جانب أما من الجاني الآخر فإنه جعل جلّ اهتمامه هو تحسين الوضع الزراعي وإنشاء القناطر وتطهير الأنهر وإقامة السدود وغيرها من الأمور التي تساعد على تقدم الحقل الزراعي.

إنّ هذه الأعمال ساعدت على نموّ الزراعة بشكل كبير مما جعل أبناء هذه الشريحة الواسعة يعيشون حياة هانئة ومستقرّة.

ظلّ الشاه أغا محمد يسير في هذا الاتجاه الإصلاحي حتى تمّ قتله على يد أحد عبيدة الذي كان مدفوعا من قبل خصوم الشاه.

بعد الإعلان عن مقتله أعلن عن مبايعة نجله الشاه بابا خان والذي لقب فيما بعد بـ(فتح علي).

بعد توليه حكم البلاد سار الشاه فتح علي على نفس السياسة التي سار عليها والده حيث حكم البلاد على أحسن وجه، كما أنه قام بتقريب العلماء والأدباء والشعراء حتى أصبحت العاصمة طهران مقرًّا لآلاف العلماء والمفكّرين ومن شتّى أنحاء البلاد وعلى أثر تواجد

هؤلاء انتشر الوعي الثقافي حتى أصبحت العاصمة طهران من المدن الإسلامية الكبيرة التي تعنى بالثقافة الإسلامية.

أما من الأمور الأخرى التي اتّصف بها الشاه فتح علي هي اشتهاره بالعدل بين الناس حيث كان يطلع على ما كان يقوم به الحكام والولاة والقضاة، كما أنه أمر بفتح أبواب قصره أمام أبناء شعبه الذين يشعرون بالظلم حيث خصّص يوم الجمعة من كل أسبوع يومٌ للمواجهة وعليه كان يقوم المئات من أبناء البلاد بمقابلته وشرح مشاكلهم التي كان يأمر بحلّها ومتابعتها.

إن هذه الأعمال الجليلة التي قام بها السلطان فتح علي جعلت منه أن يكون يحضى بالاحترام والحب من قبل أبناء البلاد ولكلّ القوميات.

في خضمّ هذه الأعمال الفاضلة التي كان يقدّمها الشاه فتح علي قام نفر ضال من الذين لم ترق لهم هذه السياسة الحكيمة بالهجوم عليه وقتله.

لما علم أبناء البلد بعملية اغتياله عمّ الحزن والأسى جميع أنحاء البلاد، حيث خرجت الجماهير إلى الشوارع وهي تطالب برأس المجرم الذي قام بهذا العمل الغادر، بعد إكمال مراسيم التشييع جرى حمل جثمان الشاه إلى كربلاء، وتمّ دفنه في صحن الإمام الحسين عليه السلام بناءً على وصيته، بعد انتهاء مراسيم الدّفن اجتمع زعماء الأسرة القاجارية وقاده البلد وقرروا مبايعة ولده الشاه محمد

الذي كان محبوبا من قبل أبناء البلاد حيث كان يشرف في زمن والده على العديد من المشاريع الخيرية والجمعيات الدينية التي كانت تقدم خدمات جليلة وكثيرة لأبناء الطبقات الفقيرة.

بعد توليه السلطة انتهج سياسة معتدلة مع جميع القوميات العديدة التي تكون الشعب الإيراني، ومن المعروف بأن إيران تضم عدّة قوميات أهمها (الفرس، العرب، الأكراد، الأتراك، البلوش) وغيرها من القوميات التي تعيش بأمان وصفاء وإلى يومنا هذا.

إن السياسة الصائبة التي سار عليها الشاه محمد أكسبته ودّ أبناء بلاده مما جعله أن يحظى بمنزلة خاصة عند جميع سكّان إيران.

كانت من أهمّ الأعمال التي قام بها الشاه محمد هي اهتمامه بالمراقد المقدسة التي كان يتوافد على زيارتها الملايين من أبناء الشعب الإيراني، وكانت في مقدمة المراقد المقدسة التي اهتم بها اهتمامًا خاصا مرقدي الإمام علي بن أبي طالب والإمام الحسين عليهما السلام، حيث قام بتخصيص المبالغ اللازمة لتعمير هذين المرقدين المقدسين كما أنه أرسل عشرات المعماريين المتخصصين بالريازة الإسلامية إلى مدينتي النجف الأشرف وكربلاء المقدسة للإشراف على الأعمال الجارية في المرقدين المقدسين.

هذا من جانب أما من الجانب الآخر فإنه أشرف شخصيا على تعمير وتطوير مرقدي الإمام الرضا عليه السلام ومرقد السيدة

معصومة عليها السلام وبقية المراقد المقدسة لأبناء وأحفاد الأئمة الأطهار المنتشرة في المدن والقرى الإيرانية الشاسعة.

أما الأعمال الخدمية فكان يأمر بتنفيذها لخدمة أبناء الشعب الإيراني، فكانت كبيرة جدا لا مجال لذكرها هنا مخافة للإطالة.

أما اهتمامه بالمدارس الدينية فكان كبيرا جدا حيث شيدت في زمانه العشرات من هذه المدارس التي كان يدرّس فيها المئات من الطلبة ومن مختلف الدول الإسلامية وخاصّة الأفغان والهنود والأتراك.

ظل الشاه محمد يواصل خدمات جليلة هذه حتى أعلن عن وفاته.

وبوفاته خسر الشعب الإيراني أحد قادته الكبار الذي لم يشهد عهده أي تمرّد أو عصيان.

بعد وفاته أعلن عن مبايعة الشاه ناصر الدين الذي سار وفق السياسة التي سار عليها الشاه الذي سبقه حيث قام بتنفيذ المشاريع التي كان قد أمر بتنفيذها الشاه محمد بل أن الشاه ناصر الدين وسّع هذه الأمور وبالأخصّ المدارس الكبيرة التي استقطبت العشرات من كبار رجال الدين الشيعة ومن مختلف البلاد الإسلامية وبالأخصّ العراق مركز الشيعة حيث ذهب العديد من كبار علماء الشيعة في العراق إلى إيران للتدريس في هذه المدارس الدينية التي أصبحت فيما بعد من الحوزات العلمية الرئيسية للمذهب الجعفري.

ومن الأمور الأخرى التي كانت تشغل بال الشاه ناصر الدين هي العمل على تطوير وتعمير مرقد الإمام الحسين عليه السلام حيث قام

وعلى رأس حاشية كبيرة من كبار أركان دولته بالتوجّه إلى مرقد الإمام الحسين عليه السلام والإشراف بنفسه على إعمار المرقد المطهّر بعد أن جلب معه أموالا طائلة خصّصها لتعمير المرقد وتطويره وإنارته، كما أنه جلب معه أجود أنواع السجاد وفرشه في الروضة الحسينية المقدسة، كما أنه جلب معه ما يقارب من ثلاثمائة رجل من أشهر المعماريين والمهندسين المتخصّصين بالعمارة الإسلامية، وخصّص أماكن سكن لإقامة هؤلاء الذين أوكل إليهم مهمّة إعمار الروضة الحسينية والعباسية المقدستين وتغليف جدران الروضتين بالكاشي الكربلائي الجميل المنتظر إضافة إلى تغليف داخل الروضتين المقدستين بالمرايا والمينة والآيات القرآنية الكريمة.

بعد تفقّد المرقدين المقدسين في كربلاء من قبل الشاه ناصر الدين توجّه نحو مدينة النجف الأشرف لزيارة مرقد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعد إتمام مراسيم الزيارة أمر مجموعة من المعماريين الذين جلبهم من إيران بالبقاء في المرقد المقدس لإجراء الترميمات التي يحتاجها المرقد المطهّر.

بعد القيام بهذه الخدمات الجليلة للمراقد المقدسة في العراق غادر الشاه ناصر الدين العراق عائدًا إلى بلاده.

بعد عودته بوقت قصير غادر إيران لزيارة العديد من الدول الأوربية التي كان يسعى إلى زيارتها من أجل إقامة علاقات تجارية بين هذه الدول وبين بلاده وخلال زيارته لهذه الدول التي كانت في عام

١٨٧٣م عقد مع حكوماتها اتّفاقيات تجارية عديدة ساهمت في انتعاش الوضع الاقتصادي في إيران.

بعد عودته إلى إيران استعدّ للتّصدّي للحركة البهائية التي بدأت تنتشر في إيران، وهذه الحركة انشقّت عن الدين الإسلامي وادّعى قادتها بأنهم جاءوا مبشّرين إلى الإنسانية وأنهم مرسلون من قبل الباري عزّ وجلّ لإنقاذ البشرية على حدّ زعمهم.

على أثر انتشار أفكار هذه الحركة التي بدأت تشكّل خطرا على الدين الإسلامي وبالأخصّ في إيران حيث اعتنق أفكار هذه الحركة جمعٌ غفير من الناس الذين ليست لديهم دراية واسعة بالمبادئ الإسلامية والذين يطلق عليهم اصطلاح (الجهال) .

في خضمّ هذه التطورات طلب الشاه ناصر الدين من كبار علماء الدين الاجتماع والتباحث حول هذه القضية الهامّة.

قام العلماء الأعلام يعقد اجتماعات مطوّلة لبحث هذه القضية التي شغلت بال رجال العلم والفكر في معظم الدول العربية والإسلامية.

بعد مداولات عديدة قرّر العلماء إصدار فتوى تكفّر البهائيين وتدعو إلى اعتقال كل من يروّج لهذه الأفكار والطلب ممن حمل هذه الأفكار بالبراءة منها.

على أثر إصدار هذه الفتاوى أمر الشاه ناصر الدين شاه بشن حملة واسعة لاعتقال زعماء الحركة البهائية الذين تصدّوا بقوّة للقوات الحكومية حيث دارت معارك واشتباكات عنيفة بين معتنقي الأفكار

البهائية وبين القوات الحكومية التي تصدّت وبقوة لهؤلاء، بعد جهد جهيد تمكّنت القوات الحكومية من السيطرة على الموقف واعتقال المزيد ممن حمل أفكار البهائية .

استمرت قوات الحكومة في تعقّب هؤلاء حتى تمكّنت في النهاية من اعتقال زعيم الحركة المدعو محمد الشيرازي.

بعد اعتقال زعيم الحركة أمر الشاه ناصر الدين شاه بتشكيل محكمة تضمّ مجموعة من كبار قضاة إيران لمحاكمته.

عقدت هذه المحكمة عدّة جلسات أسفرت في النهاية عن إصدار حكم الإعدام في الشيرازي.

بعد إصدار الحكم وقّع عليه الشاه ناصر الدين، وما أن وقّع عليه حتى جيء بالشيرازي لتنفيذ الحكم فيه وتمّ التنفيذ أمام حشد جماهيري كبير جاء لمشاهدة عملية التنفيذ.

لم تمض فترة طويلة على تنفيذ حكم الإعدام بالزعيم البهائي حتى قام أحد أتباع البهائية بمحاولة لاغتيال الشاه ناصر الدين، وقد تمكّن هذا الشخص من تنفيذ جريمته حيث هجم على الشاه أثناء قيامه بإحدى جولاته، وبهذا تمّ القضاء على حياته التي كانت زاخرة في تقديم الخدمات تلو الخدمات لأبناء شعبه ولمراقد الأئمة الأطهار عليهم السلام.

بعد اغتياله خلفه ولده الشاه مظفر الدين الذي حدثت في زمانه المزيد من الاضطرابات والانقسامات بين صفوف الشعب الإيراني

بسبب منحه للدستور الإيراني الصلاحيات الواسعة التي أدّت إلى حدوث مشاكل بينه وبين كبار رجال الدين الشيعة الذين قالوا بأن هذا الدستور حرب على الدين وأنه يسيء إلى الإسلام، وعلى أثر هذه التطورات عمّت الفوضى جميع أنحاء البلاد حيث تظاهر أبناء الشعب الإيراني معلنين الولاء لرجال الدين ومطالبين الشاه بإلغاء الدستور أو تعديل بنوده، على أثر قيام هذه التظاهرات الجماهيرية استدعى الشاه مظفر الدين زعماء المعارضة وحاول إقناعهم إلا أن هؤلاء أصرّوا على رفضهم للعديد من بنود الدستور.

بعد فشل الشاه بإقناع زعماء المعارضة طلب عقد اجتماع مع كبار رجال الدين الذين كانت لهم اليد الطولى بالسيطرة على الشارع الإيراني، حضر الاجتماع عدد كبير من رجال الشيعة وقام الشاه بمحاولات عديدة للضغط على هؤلاء من أجل إقناعهم إلا أنهم أصرّوا على مواقفهم.

أصرّ الشاه على عدم إجراء أي تغيير في بنود الدستور الأمر الذي أدّى إلى استمرار المظاهرات الشعبية في جمع أنحاء البلاد، أدّت هذه التطورات إلى تدهور الوضع الاقتصادي والأمني مما جعل الشاه مضفر الدين يذعن لمطالب الشعب وعليه اقترح تعديل بعض بنود الدستور وعلى أثر هذه الموافقة هدأت الأمور، إلا أنه لم تمض أسابيع على هذه التطورات وإذا بالقصر الملكي يعلن عن وفاة الشاه مظفّر الدين وكان ذلك سنة ١٩٠٧م.

بعد الإعلان عن وفاته تولّى أمور الدولة الشاه محمد علي الذي ركن إلى الانعزال وعدم الاهتمام بشؤون الدولة الإيرانية .

إن هذه السيرة التي سار عليها الشاه محمد علي جعلت من أبناء الشعب الإيراني يعلنون التذمّر من هذه السياسة التي انتهجها.

بعد انتشار اليأس بين صفوف الشعب الإيراني من ابتعاد الشاه محمد علي عن مسؤولياته أعلنت الأسرة الحاكمة عن خلعه، وكان ذلك سنة ١٩٠٩م.

بعد خلعه جرى تعيين ابنه الشاه أحمد الذي كان يبلغ من العمر تسعة أعوام بدلا عنه وقد أنشأ مجلس وصاية من قبل الأسرة القاجارية لرعاية الشاه الصغير وإدارة شؤون الدولة لحين بلوغ الشاه الجديد السن القانوني الذي يتيح له حكم البلاد.

استمر مجلس الوصاية في إدارة شؤون الدولة إلى سنة ١٩٢٣م في هذه السنة قام أحد ضباط الجيش الإيراني المدعو رضا الكبير بانقلاب عسكري وبدعم من الإنجليز ، وعلى أثر هذا الانقلاب سيطر هذا الضابط الذي أطلق عليه لقب الشاه رضا الكبير على أمور البلاد، وبهذا تمّ القضاء على الدولة القاجارية التي دام حكمها ما يقارب مائة وستون عام.

هذه لمحة عن تاريخ هذه الدولة الشيعية وتاريخ ملوكها الذين قدّموا خدمات جليلة للمذهب الجعفري من خلال تشييد المدارس الدينية والاهتمام برجال الدين الشيعة، وتعمير المراقد المقدسة لأئمة

الشيعة في إيران والعراق إضافة إلى الأعمال الخيرية الأخرى التي قدّمت خلال تاريخ هذه الدولة والتي شملت قيام المشاريع العمرانية الكبيرة التي استفاد منها غالبية الشعب الإيراني الذي يشكّل غالبيته من المذهب الجعفري، إضافة إلى رعاية أبناء البلاد الفقراء من خلال تقديم الأموال والمساعدات والهبات التي كان يأمر بتقديمها ملوك وحكام هذه الدولة الشيعية.

أما ما تحدثنا عنه من حدوث اضطرابات ومشاكل خلا حكم بعض الملوك هذه الدولة فهذا أمرٌ مألوف حيث أن إيران يسكنها قوميات عديدة، وملل كثيرة وأن هؤلاء لابدّ وأن تكون لهم أماني وتطلعات وأفكار تختلف عن غيرهم من أبناء القوميات الأخرى، ولو نظرنا إلى العديد من دول العالم التي تسكنها قوميات وأديان ومذاهب متعددة لرأينا حدوث الكثير من المشاكل والاضطرابات التي تؤدّي إلى حدوث أزمات وقلاقل وغيرها من الأمور إلا أن الشيء المهم الذي يجمع القوميات المختلفة في إيران هو الدين الإسلامي، وعليه فإن قوميات إيران الكثيرة متحابّة ومتعاونة ومتعاضدة بسبب اعتناقها لهذا الدين القويم الذي يدعوا إلى الوحدة والتعاون، ونبذ العنف وهو ما يجري الآن في إيران، حيث استقرار الأوضاع وانتعاش الاقتصاد ونموّ الحركة العلمية، وأن الذي ساعد على توفّر هذه الأمور هو تعلّق الشعب بدينه الخالد الإسلام العظيم، فاتنا أن نذكر بأن السياسة الصائبة التي سار عليها الملوك القاجاريين أثارت حفيظة سلاطين

الدول العثمانية الذين افتعلوا الأزمات ضدّ هذه الدولة الشيعية وبناء على هذه الأحداث حدثت معارك عنيفة بين القوات القاجارية والقوات العثمانية أسفرت عن إلحاق الهزيمة المعتدين كما أن الروس قاموا بالتحرش والاعتداء على حدود الدولة القاجارية فتصدّى لهم الشعب الإيراني المسلم وتمكن من دحر هذه القوات الغازية بعد معارك عنيفة فقدت على أثرها القوات الروسية المزيد من القتلى والجرحى والأسرى.

مراجع البحث:

١ـ المقتطف ـ مجلد ٦٧: ٥٣٩.

٢ـ تحفة العالم: ٣٠٩.

٣ـ الذريعة ج١٢: ٢٦٠.

٤ـ إيران الحديثة: ١٤٢ـ ١٣٢.

٥ـ تراث كربلاء: ٦٥، ٨٢.

٦ـ تاريخ الشيعة ـ السياسي ـ الثقافي الديني ج٢: ٤٣٠.

٧ـ مدينة الحسين ج٢: ٣١٥.

٨ـ المنتظم الناصري ج٣: ٣١٥.

٩ـ دائرة المعارف الحسينية ج٣: ٤٢، ٢٤٤.

١٠ـ تاريخ كربلاء وحائر الحسين: ٦٧.

١١ـ تاريخ إيران: ٢١٨- ٢٣٠.

الخاتمة

لقد تتبّعنا في هذه الدراسة تاريخ تأسيس دول الشيعة الرائدة منذ استشهاد الإمام علي عليه السلام وحتى عهد قريب، وكيف قام رموز الشيعة بتأسيس هذه الدول بعد أن لاقوا الأمرّين من خلال الجهود المضنية التي بذلوها عند قيامهم بهذا العمل العظيم الذي أثار حفيظة حكام الدول التي نمت وترعرعت في ظلّ حكمهم الجائر الأفكار الشيعية دون أن يتمكنوا من القضاء على تلك المحاولات التي بذلها زعماء ورجال الشيعة ألا وهي زرع البذرة الأولى لتأسيس تلك الدول العملاقة التي خدمت الشريعة الإسلامية السمحة وأزالت عقدة الخوف من قلوب المحبين والموالين لآل بيت محمد صلى الله عليه وآله.

لقد حاول الحكام بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام والذين جاءوا بعدهم من الحكام القساة الوقوف بوجه هذه الدول، ومن ثمّ القضاء عليها إلا أن رجال الشيعة وأبناءهم الأشاوس تصدّوا لهذه المحاولات بعزيمة قويّة لا تلين، وتمكّنوا من إفشال تلك المحاولات، ومن يقرأ دراستنا هذه بإمعان سيطلع على تلك المؤامرات الخبيثة التي حيكت من قبل خصوم الشيعة من أجل القضاء على دولهم التي انتشرت في العديد من الأقاليم الإسلامية.

بدءًا بأفغانستان ثم المغرب ثم إيران ثم اليمن ثم العراق ثم سوريا ومصر ثم كشمير ثم الهند ثمّ الأندلس، وغيرها من البلاد الإسلامية الواسعة.

وهكذا أثبت الشيعة وجودهم الكثيف على الساحة الإسلامية رغم تعرضهم المستمر للإبادة الجماعية على أيدي الحكام الذين تعاقبوا على حكم البلاد الإسلامية والذين حكموا شعوبهم بالحديد والنار بدءًا بالعهد الأموي ثم العباسي ثم الأيوبي ثم السلجوقي ثم المغولي ثم العثماني ثم عهود الاستعمار الغربي والإسرائيلي وعهود وعّاظ السلاطين الجدد.

فهنيئًا لشيعة آل البيت عليهم السلام هذا الجهاد البطولي الذي أذهل الأعداء، ورحم الله تلك الرموز الشيعية التي وقفت بوجه أعتى الطغاة، والمغفرة لشباب الشيعة الذين زينوا صفحات التاريخ بدمائهم الزكية ومواقفهم البطولية.

لقد أضاءت تلك الدماء الطاهرة الطريق للثائرين الذين رفعوا راية الثورة ضدّ حكام الجور الذين سرقوا البسمة من شفاه الجماهير المسلمة المظلومة التي تعرضت لأبشع أنواع العذاب على أيدي الحكام القتلة الذين تلطّخت أيديهم القذرة بتلك الدماء العطرة التي سالت على درب الحرية ذلك الدرب الذي شقّه ثوار الشيعة من خلال انتفاضاتهم وثوراتهم التي أقلقت الحكام الظلمة.

المصادر العربية

١_ الكامل في التاريخ_ لابن الأثير.

٢_ تاريخ الطبري_ لابن جرير الطبري.

٣_ رحلة ابن بطوطة_ للرحالة ابن بطوطة.

٤_ مروج الذهب_ للمسعودي.

٥_ الأعلام_ للزركلي.

٦_ عمدة الطالب_ لابن عنبة.

٧- المجدي_ للنسابة العمري.

٨_ تاريخ الشيعة_ للشيخ المظفري.

٩_ الكامل _ للحرزي.

١٠_ التحف في شرح الزلف_ مجد الدين المؤيدي.

١١_ ثورات العلويون_ لمهدي عبد الحسين النجم.

١٢_ كيف ردّ الشيعة غزو المغول_ للشيخ علي الكوراني.

١٣_ الشيعة في العهد المغولي_ محمد سعيد الطريحي.

١٤- مستدرك أعيان الشيعة/ السيد محسن الأمين.

١٥_ معجم رجال الحديث_ الإمام أبي القاسم الخوئي.

١٦_ الذريعة في تصانيف الشيعة_ آقا بزرك الطهراني.

١٧_ شرح اللُّمعة الدمشقية/ للشيخ العاملي.

١٨_ الطرائق/ للسيد ابن طاووس الحسني.

١٩ـ الشيعة في التاريخ ـ محمد حسين الزين العاملي.
٢٠ـ ثورات الشيعة ـ سعيد زميزم.
٢١ـ دول الشيعة في التاريخ ـ محمد جواد مغنية.
٢٢ـ أعيان الشيعة ـ محسن الأمين.
٢٣ـ الزيدية في موكب التاريخ ـ جعفر السبحاني.
٢٤ـ المنتظم ـ لابن الجوزي.
٢٥ـ تاريخ أبي الفداء ـ لابن أبي الفداء.
٢٦ـ تاريخ الشيعة السياسي والثقافي ـ صائب عبد الحميد.
٢٧ـ الدولة المزيدية في التاريخ ـ عبد الجبار الحسن.
٢٨ـ تراث كربلاء ـ سلمان هادي آل طعمة.
٢٩ـ مدينة الحسين ـ محمد حسن الكليدار.
٣٠ـ تاريخ كربلاء وحائر الحسين ـ عبد الجواد الكليدار.
٣١ـ آثار الشيعة الإمامية.
٣٢ـ مجال اللطف بأرض الطّف ـ الشيخ محمد السماوي.
٣٣ـ دائرة المعارف الحسينية ـ الشيخ صادق الكرباسي.
٣٤ـ تاريخ الدولة الفاطمية ـ الدكتور حسن إبراهيم.
٣٥ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ جمال الدين أبو المحاسن.
٣٦ـ الحاكم بأمر الله ـ الدكتور محمد عنان.

٣٧ـ تاريخ الإسلامي السياسي والثقافي والاجتماعي ـ الدكتور حسن إبراهيم.

٣٨ـ الخطط ـ للمقريزي.

٣٩ـ الأزهر في ألف عام ـ محمد عبد المنعم خفاجة.

٤٠ـ الشيعة والحاكمون ـ محمد جواد مغنية.

٤١ـ اتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين ـ للمقريزي.

٤٢ـ الأدب في ظل بني بويه/ للشيخ الغنماوي.

٤٣ـ هذا الحسين ـ سعيد رشيد زميزم.

٤٤ـ محنة الأكثرية في العراق ـ الشيخ ناصر الأسدي.

٤٥ـ الجماعات والفرق الإسلامية ـ سعيد رشيد زميزم.

٤٦ـ طائفة الإسماعيلية ـ تاريخها ـ نظمها.

٤٧ـ الشيعة في غيران ـ رسول جعفريان.

٤٨ـ مجمع الأنساب.

٤٩ـ التاريخ الإسلامي ـ دروس وعبر ـ السيد محمد تقي المدرسي.

٥٠ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ـ مجموعة من الباحثين.

٥١ـ الشيعة في العهد المغولي ـ محمد سعيد الطريحي.

٥٢ـ البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ـ أحمد بن يحيى المرتضى.

٥٣ـ اليمن عبر التاريخ ـ أحمد شرف الدين.

٥٤_ هذه هي اليمن_ عبد الله أحمد الثور.

٥٥_ تاريخ اليمن_ عبد الواسع اليماني.

٥٦_ اليمن تحت حكم الإمام أحمد_ الدكتور أحمد عبيد داغر.

٥٧_ تاريخ العراق بين احتلالين_ عباس العزاوي.

٥٨_ لمحات تاريخية عن كربلاء_ سعيد رشيد زميزم.

٥٩_ بغية النبلاء في تاريخ كربلاء_ السيد عبد الحسين آل طعمة.

٦٠_ نشوء وسقوط الدولة الصفوية_ لكمال السيد.

٦١_ مقاتل الطالبيين_ للمسعودي.

٦٢_ تاريخ ابن خلدون_ لابن خلدون.

٦٣_ الفرق بين الفرق_ أبو منصور البغدادي.

٦٤_ الدر النفيس في مناقب إدريس.

٦٥_ الاستقصى لأخبار دول المغرب الأقصى.

٦٦_ البداية والنهاية_ لابن كثير.

٦٧_ العراق في العهد الجلائري_ الدكتور نوري عبد الحميد العاني.

٦٨_ تجارة العراق_ عبد الحميد نوري.

٦٩_ أضواء وآراء_ الدكتور عبد الرحمن الكيالي.

٧٠_ الأعلاق الخطيرة_ لابن شداد الحلبي.

٧١_ آثار آل محمد في حلب_ الشيخ إبراهيم نصر الله.

٧٢_ فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين_ مصطفى الشكعة.

٧٣_ خطط الشام _ محمد كرد علي.

٧٤ـ سيف الدولة الحمداني ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي.
٧٥ـ معالم حلب الأثرية ـ عبد الله الحجار.
٧٦ـ نهر الذهب في تاريخ حلب ـ الشيخ كامل الغزّي.
٧٧ـ رأس الحسين من الشهادة إلى الدفن ـ الشيخ حسين النصراوي.
٧٨ـ الزيدية والإمامية جنبا إلى جنب ـ السيد محمد حمود العمري.
٧٩ـ أئمة اليمن ـ محمد بن محمد اليحيى.
٨٠ـ الأمويون بين الشرق والغرب ـ الدكتور محمد السيد الوكيل.
٨١ـ تاريخ الشيعة بين المؤرّخ والحقيقة ـ الدكتور نور الدين الهاشمي.
٨٢ـ الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ ـ هاشم معروف الحسني.
٨٣ـ تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة ـ الدكتور عبد الله الفياض.
٨٤ـ تأريخ اليمن السياسي ـ محمد بن يحيى الحداد.
٨٥ـ التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن ـ أشواق أحمد غليس.
٨٦ـ تحرير الأفكار ـ بدر الدين الحوثي.
٨٧ـ تاريخ اليعقوبي ـ أحمد بن أبي يعقوب.
٨٨ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ـ حسن الأمين.
٨٩ـ الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية ـ حميد بن أحمد المحلي.
٩٠ـ الدعامة في تثبيت الإمامة ـ يحيى الهاروني.

٩١ــ الزيدية ــ الدكتور أحمد محمود صبحي.

٩٢ــ الزيدية في اليمن ــ بدر الدين الحوثي.

٩٣ــ الزيدية نظرية وتطبيق ــ علي عبد الكريم شرف الدين.

٩٤ــ سير أعلام النبلاء ــ محمد بن احمد الذهبي.

٩٥ــ سيرة الهادي إلى الحق ــ يحيى بن الحسين ــ علي بن محمد العباسي.

٩٦ــ شرح نهج البلاغة ــ لابن الحديد المعتزلي.

٩٧ــ الشيعة والتشيع ــ محمد جواد مغنية.

٩٨ــ صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث ــ الدكتور محمد عوض الخطيب.

٩٩ــ الغدير في الكتاب والسنة ــ عبد الحسين الأميني.

١٠٠ــ مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ــ الدكتور حسين عبد الله العمري.

١٠١ــ مؤلفات الزيدية ــ أحمد الحسيني.

١٠٢ــ مناقب آل أبي طالب ــ لابن شهر آشوب.

١٠٣ــ المنجد في الأعلام ــ مجموعة من الباحثين.

١٠٤ــ المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي ــ إصدار مركز الرسالة ــ قم.

١٠٥ــ نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ــ محمد بن محمد الصنعاني.

١٠٦ـ بحار الأنوار ـ محمد باقر المجلسي.
١٠٧ـ جهاد الشيعة ـ الدكتورة سميرة الليثي.
١٠٨ـ أصل الشيعة وأصولها ـ الشيخ محمد حسن كاشف الغطاء.
١٠٩ـ زيد الشهيد ـ عبد الرزاق المقرم.
١١٠ـ الشيعة بين الشاعرة والمعتزلة ـ الدكتور عبد الله الفياض.
١١١ـ الإمام زيد ـ أبي زهرة.
١١٢ـ الحركات السرية في الإسلام ـ محمود إسماعيل.
١١٣ـ فرق الشيعة ـ للنوبختي.
١١٤ـ أدب الشيعة ـ عبد الحسيب طه.
١١٥ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ـ فخر الدين الرازي.
١١٦ـ حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية لمدن العراق ـ الدكتور محمد جابر عبد العال.
١١٧ـ عقائد الإمامية ـ محمد رضا المظفر.
١١٨ـ تاريخ الشيعة ـ محمد حسين المظفر.
١١٩ـ عقائد الشيعة الإمامية ـ هاشم معروف الحسني.
١٢٠ـ الجذور التاريخية للشعوبية ـ الدكتور عبد العزيز الدوري.
١٢١ـ الشيعة والدولة القومية ـ حسن العلوي.
١٢٢ـ هوية التشيّع ـ الدكتور الوائلي.
١٢٣ـ الشيعة في الإسلام ـ محمد حسين الطباطبائي.
١٢٤ـ الأزهر في ألف عام ـ محمد عبد المنعم خفاجة.

١٢٥ــ تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام ــ علي مصطفى الغرابي.

١٢٦ــ فاطمة الزهراء والفاطميون ــ عباس محمود العقاد.

١٢٧ــ تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ــ الدكتور علي الخربوطلي.

١٢٨ــ تاريخ الفرق الإسلامية ــ علي مصطفى.

١٢٩ــ مع الشيعة الإمامية ــ محمد جواد مغنية.

١٣٠ــ الشيعة الإمامية ـ عبد العزيز جواهر.

١٣١ــ النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ــ للمقريزي.

١٣٢ــ نظرية الإمامة في تطور العراق السياسي ــ الدكتور أحمد صبحي.

١٣٣ــ دور الشيعة في تطور العراق السياسي ــ عبد الله النفيسي.

١٣٤ــ ثورات في الإسلام ــ الدكتور علي الخربوطلي.

١٣٥ــ الفصول المهمة في معرفة الأئمة ــ لابن الصباغ.

١٣٦ــ الغلو والفرق المغالية في الحضارة الإسلامية ــ عبد الله سلوم السامرائي.

١٣٧ــ المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية ــ حسين معتوق.

١٣٨ــ الشذرات الذهبية في الأئمة الاثني عشرية ــ شمس الدين بن طولون.

١٣٩ــ تاريخ الدولة العباسية ــ محمد الخضري.

١٤٠_ فجر الإسلام_ أحمد أمين.

١٤١_ ضحى الإسلام_ أحمد أمين.

١٤٢_ ثورة زيد بن علي_ ناجي الحسن.

١٤٣_ تاريخ آل سلجوق_ علي بن يوسف القفطي.

١٤٤_ النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب_ محمد جمال سرور.

١٤٥_ الإسماعيلية وتاريخهم السياسي حتى سقوط بغداد/ طه أحمد شرف.

١٤٦_ الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن_ حسين الحرازي وحسن سلمان.

١٤٧_ ثورات في الإسلام_ د. علي الخربوطلي.

١٤٨_ البيان المغرب_ لابن عذاري.

١٤٩_ تاريخ الدولة العباسية_ محمد الخضري.

١٥٠_ ابن بطوطة في أفغانستان_ خليل الله خليلي.

١٥١_ الهزارة والأفغانيون_ عبد علي الحائري.

١٥٢_ الشيعة في مصر من عهد الإمام علي إلى الإمام الخميني_ صالح الورداني.

١٥٣_ البدر الطالع_ للشوكاني.

١٥٤_ بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب_ محمد شكري الآلوسي.

١٥٥_ بلوغ المرام في شرح مسك الختام_ حسين أحمد العرشي.

١٥٦_ المقتطف من تاريخ اليمن_ عبد الله كريم الجرافي.

١٥٧_ تاريخ الدعوة الإسماعيلية_ مصطفى غالب.
١٥٨_ تاريخ الدول الإسلامية_ بالجداول المرضية_ أحمد بن زيني.
١٥٩_ تاريخ العلويين_ محمد أمين غالب الطويل.
١٦٠_ تواريخ آل سلجوق_ عماد الدين الأصبهاني.
١٦١_ تاريخ الموصل_ سلمان صائغ الموصلي.
١٦٢_ صبح الأعشى_ للقلقشندي.
١٦٣_ مطالع البدور في منازل السرور_ علاء الدين الغزولي.
١٦٤_ نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب_ للمقري.
١٦٥_ طبقات فقهاء اليمن_ عمر بن علي الجعدي.
١٦٦_ غاية المرام_ محمد داود البازلي.
١٦٧_ كشف أسرار الباطنية_ محمد مالك الحمادي.
١٦٨_ مرآة الزمان_ لسبط ابن الجوزي.
١٦٩_ يتيمة الدّهر _ للثعالبي.
١٧٠_ سلوة الأنفاس_ محمد جعفر الكناني.
١٧١_ بلاغات النساء_أحمد بن طيفور.

الصحف والمجلّات

١ـ مجلة المنبر الحسيني اللبنانية ـ العددان ـ ١٢، ١٣ ـ لسنة ٢٠٠٣.

٢ـ مجلة المنار العراقية ـ العدد٣ ـ لسنة ٢٠٠٣.

٣ـ مجلة تراثنا الإيرانية ـ عدّة أعداد فصلية.

٤ـ مجلة الموسم الهولندية ـ العددان ٤٩، ٥٠ لسنة ٢٠٠٢.

٥ـ مجلة الدليل الإسلامي السورية ـ العدد (٦٢٠) لسنة ٢٠٠١.

٦ـ مجلة العرفان اللبنانية ـ عدّة أعداد لسنة ١٩٦٦.

٧ـ جريدة الاتّحاد العراقية ـ عدة أعداد للسنوات: ١٩٨٩ ـ ١٩٩٩.

٨ـ جريدة الرافدين العراقية ـ العدد ٢٨ لسنة ١٩٩٨.

٩ـ جريدة البينة العراقية ـ عدة أعداد.

١٠ـ جريدة الهدى العراقية ـ عدّة أعداد.

١١ـ مجلة المرشد العراقية ـ عدّة أعداد.

١٢ـ مجلة العربي الكويتية ـ عدّة أعداد.

١٣ـ مجلة المرشد السورية ـ عدّة أعداد.

١٤- مجلة لغة العرب العراقية ـ عدّة أعداد.

١٥ـ مجلة الكتاب العراقية ـ عدّة أعداد.

١٦ـ مجلة ينابيع العراقية ـ العدد ١٧ لسنة ٢٠٠٧.

المصادر الأجنبية

١ـ الخوارج والشيعة ـ يوليس فلهاوزن ـ ترجمة عبد الرحمن بدوي.

٢ـ تاريخ الشعوب العربية ـ كارل بروكلمان ـ ترجمة حمزة طاهر.

٣ـ أربعة قرون من تاريخ العراق ـ ستيفن لونكريك ـ ترجمة جعفر الخياط.

٤ـ تاريخ الأدب العربي ـ كارل بروكلمن ـ ترجمة حامد العلي.

٥ـ مختصر تاريخ العرب ـ سيد أمير علي ـ ترجمة منير بعلبكي.

٦ـ مطالع الأنوار- محمد زرندي ـ ترجمة عبد الجليل سعد.

٧ـ رحلتي إلى العراق ـ جميس بكنهغاهام ـ ترجمة سليم طه التكريتي.

٨ـ أصول الإسماعيلية ـ لويس برناردت ـ ترجمة جاسم الرجب.

٩ـ الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية ـ فون جريم ترجمة الدكتور طه بدر.

١٠ـ من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ـ بندلي جوزي.

١١ـ العقيدة والشريعة في الإسلام ـ جولد تسهير ـ ترجمة علي عبد القادر.

١٢ـ تاريخ العرب ـ الدكتور فيليب حتى ـ ترجمة مبروك نافع.

١٣ـ عقيدة الشيعة ـ داويت رونلدسون ـ ترجمة عبد القادر سلام.

١٤ـ السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ـ فن فلوتن، ترجمة ـ عبد القادر إبراهيم.

١٥ـ النظم الإسلامية ـ موريس عود فردا ـ ترجمة صالح الشماع.

١٦ـ الخلافة ـ توماس أرنولد ـ ترجمة جميل معلي.

١٧ـ نظرات في الإسلام ـ ر ـ ب ـ دوزي ـ ترجمة كامل الكيلاني.

١٨ـ تاريخ إيران ـ مكاريوس ـ ترجمة محمد جواد علي.

١٩ـ زبدة التواريخ ـ حافظ أيرور ـ فارسي ـ ترجمة: عبد الرحيم علي.

٢٠ـ تاريخ آل جلائر ـ شيرين بياني ـ فارسي/ ترجمة: عبد الله رحمي.

٢١ـ تاريخ جهانكشاي ـ فارسي/ ترجمة: رضا باقري.

٢٢ـ الحشاشون ـ لبرنار لويس/ ترجمة: محمد العزب.

٢٣ـ الشيعة في شبه القارة الهندية ـ محمد اللاهوري ـ ترجمة عباس غلام.

٢٤ـ قبائل كشمير ـ الشيخ محمد جامور ـ ترجمة عباس غلام.

٢٥ـ من أعلام الشيعة الخالدين ـ عزّ الدين اللكهنوي ـ ترجمة هاشمي غلامي.

٢٦ـ تاريخ العرب العام ـ للمستشرق سيديو ـ ترجمة أمجد حسين.

٢٧ـ إيران الحديثة ـ بيتر إيفري ـ ترجمة حسنين عباس.

كتب المؤلف

١ـ لمحات تاريخية عن كربلاء ـ بغداد ـ مطبعة الجاحظ ـ ١٩٨٩.

٢ـ رجال العراق والاحتلال البريطاني ـ بغداد ـ مطبعة منير ـ ١٩٩٠.

٣ـ هذا الحسين ـ بيروت ـ مؤسسة البلاغ.

٤ـ رجال حول الحسين ـ بيروت ـ مؤسسة البلاغ.

٥ـ العباس بن علي ـ جهاد وتضحية ـ بيروت ـ مؤسسة البلاغ.

٦ـ كرامات الإمام الحسين عليه السلام ـ بيروت ـ مؤسسة الفكر الإسلامي.

٧ـ كرامات الإمام العباس عليه السلام ـ بيروت ـ مؤسسة البلاغ.

٨ـ ثورات الشيعة ـ بيروت ـ مؤسسة الثقلين ـ دار القارئ ـ ٢٠٠٦.

٩ـ رجال حول علي بن أبي طالب ـ بيروت ـ مؤسسة البلاغ ـ ٢٠٠٧.

١٠ـ كربلاء وثورة العشرين ـ بيروت ـ مؤسسة الثقلين ـ ٢٠٠٧.

١١ـ الفرق والجماعات الإسلامية ـ بيروت ـ مؤسسة البلاغ.

كتب في طريقها إلى النور

١ـ عروبة التشيع.

٢ـ محنة الشيعة.

٣ـ فرق الشيعة.

٤ـ رجالات الشيعة.

٥ـ نساء الشيعة.

٦ـ قالوا في الحسين عليه السلام.